

خَلِيلُ شَرْفِ الدِّينِ

الموسومة في الأدب بين الميسرة

أبو العنّاهية  
حسن بن ثابت  
الأعشى

منشورات  
دار ومكتبة الهلال  
بيروت

تجرام



سور الزينة



الموسوعة الأدبية الميسرة

٧

# أبو العتاهية

## من الرفض إلى القبول

تأليف

الأستاذ خليل شرف الدين

مشراف

دار ومكتبة الهلال

بيروت

- جميع حقوق النقل والاقتباس  
وإعادة الطبع محفوظة  
لمكتبة الهلال  
طبعة جديدة منقحة  
١٩٨٧

بيروت - بلال عبد - شارع مركزية بنابية برج الضاحية  
ملكه دار الهلال تلفون ٨٣٦٩٨١ - ٤٦٣٥٥٧  
ص. ب. ٥٠٠٣ / ٥٠٣ برقية مكتهلال

## استهلال

انسان وضيع، في عرف العصر وتقاليده  
الارستوقراطية الحاكمة. لكنه، في عرفنا، رفيع  
ومغاير. . تعلق بالشعر، وتطاول بالموهبة، حتى دنا  
من القمة، وتحدى كالباشق، بغث الطير. . من  
خلفاء وامراء وشعراء، ونقاد وحراس وزن وقافية. .

بائع جرار؟ ما هم! ما دام الذي يبيع الجرة،  
قادرا على شراء المجرة، والتريع بالشعر، والحرية،  
على عرش الشهرة، وبالتحدي والرفض، على متن  
الخلود. . اخذوا عليه تهتكه ومجونه وتماديه، فمتَّهوه  
وسفهوه. . حتى في زهده بؤذوه. . وأخذ عليهم  
تسترهم، وتدليسهم، وكل ما هم فيه. . فانتخى  
عليهم بالفن، وتميز عنهم، بالصراحة والجرأة  
والتخطي. .

ثم انحنى امام القدر الغالب، والإله القادر، في  
توبة نصوح.. ضج بها شعره، كما اعتلج كيانه..  
فتظهر، في المجون، بالشعر.. وفي التوبة، بالصدق،  
ربما، وحرقة الندم.

فمثل عصره أصدق ثميل، بأصرح تعبير،  
وتواروا هم خلف تفاهاتهم ومحدوديتهم، فلم يثلوا  
شيئا..

عما بالمغايرة والرفض وتائق الشاعرية، لقبه  
المفروض، ليصبح رمزا من رموز التصعلك  
المرفوض، والموان المكذوب، الملتصق بأسرته،  
ومهته، زورا وبهتانا..

فاذا به يتأبى على كل ذلك، بالرفض الشاعر، او  
الشعر الراض.. وليجيء هذا الشعر، على طريقته  
هو، وقد قيامه، وذائقته الفنية الخاصة.. لا على  
طريقة وقياس وذائقة نقاد عصره وقواعد خليله..

وحين مر، في أكثر قصائده، بالوزن، فلم  
«يشقلبه» وبالقافية، فلم «يجريطها» فقد كان ذلك رغبا  
عنه.. حتى اذا مشى على رسله وتناول الشعر من

كمه» كما يقول، جرى شعره مجرى الطبع، وفاض  
حتى غمر القياس، وطغى على العرف، وتخطى كل  
قيد، أو كاد.. وكان، حقاً، «أكبر من العروض»..

لعله كان، كجراره، في ضحالة القاع.. ما  
إن تعباً الجرة حتى تفيض.. لا كالغدير أو الصهريج،  
تترسب فيه الوحول، وتتأسن المياه، فلا تفيض..

وها نحن نعالجه بين فتكه وزهده، بين رغبته  
ورهبته، ثم بين زهده وزهد الآخرين، علنا نتغلّد  
إلى حقيقته، كما هي، لا كما أرادها المشوهون...

المؤلف





## أبو العتاهية

من هو؟

هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن  
كيسان، ينسب الى قبيلة عنزة بالولاء، وكنيته ابو  
اسحاق، وامه ام زيد بنت زياد المحاربي، مولى بني  
زهرة. يقول البستاني في روائعه (رقم ١٠): «إن  
أصل اجداد الشاعر من نصارى عين ثمر، بالحجاز او  
قرب الانبار. فلما فتح خالد بن الوليد (سنة ١٢ .)  
مدينة عين ثمر، سبي كيسان جد أبيه مع جماعة من  
الصبيان، فاستوبه عباد بن رفاعة العنزي من أبي  
بكر، فاعتقه، فانتسب الى عنزة». «ذلك على عادة  
من اسلم من أهل الذمة، كما سيفعل كثيرون منهم  
كأبي تمام مثلاً»<sup>(١)</sup>.

---

(١) هذا رأي بعض المشرقين في حقيقة نسب أبي تمام أما المحققون  
العرب كصاحب الأغاني فإنه يجعل من أبي تمام عربياً أصيلاً.

أبو:

كان القاسم والد أبي العتاهية حجاماً، مما زاد في ضعة نسب الشاعر، في نظر العصر، فاضطر أبو العتاهية (١) وهو المتعلم على عصره، كما سنرى، إلى أن يرد هذا العار المزعوم بقوله:

ألا انما التقوى هي العز والكرم  
وجبك للدنيا هو الفقر والعلم

(١) عتاهية لقب غلب عليه، أطلقه عليه الخليفة المهدي حين قصده الشاعر من الكوفة، لرده المهدي قائلاً أنت تسلم متعلق ممت... فاستمرت له كنية غلبت عليه، دون اسمه وكنيته، واشتهر بها... قال الاصمغاني: ويقال للرجل المتعلق عتاهية، كما يقال للرجل الطويل شتاهية. ويقال أبو عتاهية (بإسقاط الألف واللام)، الأخفى ٢/٤. وقيل بل لقب كذلك، لأنه كان يحب الشهرة وللجور، والتمت به. وجاه له لسان العرب: رجل ممت إذا كان عاقلاً معتدلاً في خلقه... لكن ابن منظور يرجع التمه بمعنى الجور، لو ما يقرب منه. قال: كان الشاعر قد تمته (أي كلفه) بجلية للمهدي، واحتفل بضيافته. فعرس عليها المهدي أن يزوجه له. فلبت. واسم الجليلة حبة. ومنه ترجع صحة هذه الرواية عن الرواية الأولى. وقيل لقب بذلك لأنه كان مضطرباً. وقيل لأنه كان يرمى بالزنى الخ... لما لفتة عتاهية فقد كانت اسماً لا لقباً محسباً، كحسان بن عتاهية والي مصر سنة ١٢٧ هجرية. وابن دريد العالم اللغوي الشهير (٣٢١هـ) كان اسمه محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن جشم (الفهرست ص ٩٧ ووليات الأعيان ١/٤٩٧).

وليس على عبد نقي نقبصة  
إذا صحح التقوى، وإن حاك أو حجم

لكن العصر، ومقاييس العصر، كانت أقوى من  
الشاعر، فالتصقت به ضمة النسب، كما  
التصق اللقب.. وهذا والبة بن الجباب الشاعر  
الملاجن عجو أبا العتاهية، فيقول:

كان فمنا يكنى أبا إسحاق  
وبها الركب سار في الألفاق  
فتكنى معنوهنا بعته  
بأها كنية اتت باتفاق

وواضح، من هذا المجهاء، ومن سيرة أبي  
العتاهية، أن شاعرنا كان في أول شبابه مهتكا، ومن  
عصبة اللجان التي حل رأسها والبة هذا وأبو نواس.  
وحين تزهد، كان من الطيبي أن يجبر العصبة،  
ويشدد بأعمالها وأوزارها. كما كان من الطيبي  
كذلك، أن عجو رئيس العصبة التي ظلت ساحرة في  
غيرها، متقلبة بخطأها بين الكوفة وبغداد.

سمته:

كان أبو العتاهية طويل القامة، رقيق

التكوين. يصفه الاغاني نقلا عن محمد بن موسى بأنه كان قضييفا (أي دقيق العظم، قليل اللحم)، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة جمدة<sup>(١)</sup> وهيئة حسنة، ولباقة وحصافة<sup>(٢)</sup> ورشاقة في الحركة، والايحاء. روى عبد الله بن المعتز، انه كان ضعيف البنية، ويضيف المسعودي، الى ذلك، قوله: وكان مليح الوجه، مليح الحركات، حلوا الانتشاء، شديد الطرب.

### أصله النبطي:

كان أبو العتاهية نبطي الأرومة عنزي الولاء. فمن هم هؤلاء النبط أو الانبساط. وهل من صلة روحية وراثية تصله بهم؟

نشأ في العصور الجاهلية، غير دول الجنوب، بضع دويلات زهت في شمال الجزيرة وأواسطها، وكان ازدهار هذه الدويلات الشمالية، كازدهار شقيقاتها دول الجنوب يعتمد على التجارة. وكانت

---

(١) تلكرتنا وفرتنا هذه الجمدة، بوفرة للتي الجمدة الشفراء التي ذكرها في بواكير شعره عندما كان في المكتب العلوي بالكوكة قال:  
لا أحسن الوفرة حتى ترى معشودة الضفرين يوم التوالع

(٢) مروج الذهب ٢٤/١٣

أقدم هذه الدولات مملكة الأنباط . واعتمادا على عامل الوراثة الذي لا شك فيه ، فانا لا نستغرب ان يحترف والد أبي العنابية الحجامة وبيع الجرار ، وأخوه التجارة. <sup>(١)</sup> وينسج شاعرنا على منوال أبيه وأخيه ، فيحترف مثلهاا الحجامة وبيع الجرار ، بادىء امره ثم لا يرى ضميرا في ذلك .

والانباط كانوا عربا على ما يرجح الدكتور حقي<sup>(٢)</sup> اما ما جاء في سفرأيوب من أن «نبايوت» و«نبتاي» و«نبتو» في الاشورية ، هم الانباط فمغلوط ، وليس صحيحا ، يضيف الدكتور حقي . اذن هم من العرب على الأرجح ، وكانت عاصمتهم البتراء<sup>(٣)</sup> في شرقي الاردن . ازدهرت مملكة البتراء في ختام القرن الرابع قبل الميلاد ، وظلت نحو اربعمئة سنة تشغل مركزا على طريق القوافل الذي يقطع الصحراء واصلا

---

(١) على حد قوله : اتا جرار القوافل ، واتي جرار التجارة (الاخالي ١٠/٤) وكان اسم اخيه زيدا .

(٢) تاريخ العرب المطول / ص ٨٧

(٣) بتراء : كلمة يونانية ، ومعناها الصخر (حقي : ٨٨)

بين سبأ في الجنوب، وبين ثغور بحر الروم (١).  
 وكان أوج ازدهارها أيام عبيدة، أو أبوداس الثاني  
 (٩٨-٩٠ ق. م.)، وخاصة أيام حارثة أو الحارث  
 الرابع، وكانوا يتكلمون العربية التي لم يكن لها حروف  
 تكتب في تلك الايام، فلخذ الانباط صور الكتابة  
 الآرامية عن جيرانهم في الشمال.. وما لغة القرآن،  
 ولغتنا الحاضرة، سوى من ذلك الحرف  
 النبطي. (٢)

عل هذا يكون ابو العتاهية ذا أصل عربي شمالي  
 صريح، فلماذا انتسب الى عنزة، أو لحم بالولاء؟

تلك كانت عادة عند المسلمين العرب الاقحاح،  
 وليست قانونا، ان يعمد النمي، حين يريد ان  
 يُسلم، الى تغيير اسمه أو تعريبه، وابدال اسم عائلته  
 باسم قبيلة من القبائل العربية. وهو ما كان يسمى  
 الانتساب بالولاء. يقول البستاني في «روائعه»  
 المضغوطة، ان أصل اجداد هذا الشاعر من نصارى  
 عين عمر (قرب الأنبار). فلما فتح خالد بن الوليد (١٢)

(١) المصدر نفسه ص ٩٢

(٢) المصدر نفسه ص ٩٣

هجرية) هذه المدينة سُمي كيسان جد والد أبي  
العتاهية، مع جماعة من الصبيان، فاستوهمه عبادة بن  
رفاعة العنزري من الخليفة أبي بكر. فاعتقه فتولى  
عنزة. كما تقدم. على أن أبا العتاهية لم يكن يتمسك بهذا  
الولاء الموروث إلا عند الحاجة، كما صرح هو بذلك  
قائلاً: «ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن. وما في  
واحد ممن انتميت إليه خير، ولكن الحق أحق أن  
يتبع...» وهو يقصد انتماؤه إلى اليمن، بعد انتمائه إلى  
عنزة.

ثم نراه وفقاً لوضعه، ينتقل في ولاءاته، من  
حي إلى حي، ومن قبيلة إلى قبيلة. ها هو يعلن  
ولاءه للخميين، حين يرى من بينهم من يرعاه، ويدراً  
عنه أذى المهجائين، والمفترين، ثم يعود إلى اليمانية،  
إمام المهدي، لأن أحوال الخليفة منها. ومن هؤلاء  
الأحوال يزيد بن منصور الذي كان يجب أبا العتاهية ويقره،  
حتى إذا مات يزيد هذا انقلب إلى ولاءه الأول...  
وهكذا فمن عنزة إلى يمانية، إلى لحمية إلى... كل  
ذلك بدافع وضعه الدقيق، وإحساسه العميق بأنه  
دون عليّة القوم، ودون الحاكمين مكانة ونسباً... إلا أنه



احساس كان يرفضه ويتحيز الفرح لإزالته . وبما زاد في اضطرابه ولزمته النفسية إحساس آخر بانه وإن كاد دون هؤلاء نسباً، إلا أنه أفضل منهم شاعرية، وإن عدته في تسلق الشهرة او فر، وادعى الى تحقيق النصر، من عندهم وعددهم .

من هنا نشأ الصراع النفسي عنده، ولكنه لم يكن حاداً، اذ بدأ بالهجماء حيناً، وبالملاينة حيناً آخر. ظهر كل ذلك في اضطرابه، وتناقض مواقفه، وجاء شعره مرآة صافية تنعكس عليها هذه المواقف، وذلك الاضطراب . .

فلم يكن غريباً منه رفضه وتحديه، واغراقه في الملذات، واستغراقه في المجون. ومن ثم رده الى الزهد مرة . . وارتداده الى المجون مرات . . الى ان استقر به الامر الى ما يشبه العزلة السلبية، واجترار حياة يائسة، خائفة، مستسلمة . .

### تأثير الصفات والسمات

كان لصفاته وسماته الخلقية والخلقية تأثير كبير على تكوين شخصيته واخلاقيته . فاذا استثنينا ضعف بنيته، ورقة عظامه، وشيئاً من ترجمه بين الاهتزاز والاضطراب والخفة، نراه انساناً موهوباً، حبه



الى كبار القوم، وكبريات القبائل، كان مذموماً .  
فكيف اذا كان مطعوناً في دينه، او عقيدته . . ان مجرد  
الإحساس بهذا الواقع المؤلم، وشدة وقعه على النفس،  
يجعل من صاحبه انساناً مغايراً، في نظرنا، حتى اذا  
جاءه برفضه كان انساناً متقدماً . تماماً كما جرى  
لبشار، وأبي نواس، وابن الرومي، والمتنبي، وأبي  
العلاء، والى حد في كبير أبي تمام . .

هؤلاء اختلفوا احساساً بالفاجعة، وتوافقوا  
عقلاً وروحاً، وبدا أبو العتاهية كأنه يرمض،  
برفضه، لما رفضوه، ويضع اسس ثورتهم على أوضاع  
عصرهم، ومفاهيم اللغة والشعر لديهم . .

#### عصره :

ولد أبو العتاهية، كما ذكر ابنه محمد  
سنة ١٣٠ هجرية . أي انه ولد في رحم الثورة  
العباسية الكبرى، او الانقلاب الكبير الذي حدث في  
تاريخ الدولة الاسلامية، وانتقال العرب والمسلمين  
من حياة البداوة، او نصف البداوة، الى حياة  
الحضارة التامة، الملقحة بشق التيارات الثقافية،  
والدينية والمذهبية والفنية الوافدة . . وتلك العلوم التي

حملها الداخولون في الدين الاسلامي من انماط الحياة الجديدة، وطرائق المعيش، وفنون العمارة والموسيقى والادب والفكر والفلسفة، ومفاهيم اللغة. . فكان أن أحدث، كل ذلك، ثورة اخرى، لا تقل خطرا عن الثورة، الانتقالية المسلحة الاولى. الامر الذي خلق واقعا جديداً كان على الانسان العربي ان يمياه بكل مظاهره، وان يضاعل مع خالقيه، بكل أبعاده، سلباً أو إيجاباً. مما أثار صراعاً عنيفاً في النفوس، وأحدث اضطراباً خطيراً في المفاهيم، وزج بالعقول الناشئة في أتون رهيب من الجدل والشك والبلبل.

وكان طبيعياً ان يبرز على مساحة بغداد والبصرة والكوفة انسانان: انسان عربي مسلم محافظ، وآخر مسلم غير عربي، ثائر على كل قديم، داع لكل جديد. والناس بينهما حائرون مرتبكون، مذهولون او مندهشون، والدوامه تعصف بالجميع، وتخلخل لركان المجتمع<sup>(١)</sup>

---

(١) وهذا ما سمي بالحركة الشعبية. وهي حركة داخلية نشأت ضمن إطار الاسلام، بين مسلمين عرب ومسلمين من غير العرب. هؤلاء -

ويؤدي ان الشعراء أقرب الناس الى الانفعال  
بكل هذه التيارات، واسرعهم الى الأخذ بجديدها،  
وابرازه حاراً لا هباً في شعرهم، لا سيما من كان متوفز  
الحس نواقياً الى كل مغاير، سريع التلقي، كأبي  
العتاهية. ومنرى، كذلك، ان الصراع بين هذين  
الانسانين سيكون شرساً ومدمراً. مما سيرمي بكثير من  
الشعراء والادباء في جحيم من الشك والارتياب، بل  
والكفر احياناً، كما سيرمون، من قبل التيار المحافظ،  
بالزندقة والفسق، لما كان يسندو عليهم من حياة العيب  
والمجون والمهرطقة.

اما مكان مولد الشاعر فهو على التحديد في

---

= يعملون بلور حضارتهم الفنية ومفاهيم الغاية، يريدون ان  
يبلوروها من جديد في التربة العربية الحالية من البلور الحضارية  
الهم لا بلورة الاسلام. ولولئك يحاولون انقاذ دينهم وراماة انسلمهم  
من ان يداخلها الشك والزيف والتعريف. وعندى ان الافتتاح على  
الحارج قد افاد العرب كثيراً من الناحية الفكرية والادبية والفنية  
والاجتماعية، كما انفسر من الناحية السياسية. وما جره الموالى القرمس  
ولا سيما الاثراك من مأسر هيرت مسيرة الثورة العباسية تفسيراً  
جلتها خطيراً.. اما الانطلاق، بنامي الحرص على الدين فلم يفسد  
في شيء.. ولو عرف العرب المسلمون كيف يتعاملون مع هذه الموجة  
لتغير وجه التاريخ.. المؤلف

عين ثمر القرية من الكوفة. ولا نعلم شيئاً عن نشأته هناك، ولكن الواضح انه نشأ فقيراً الحال، يساعد أباه في بيع الجرار والحجارة، ويدون الأب قد ضاق بوضعه، وناقى الى حياة أوسع، فانتقل الى الكوفة حاملاً معه ابنيه الصغيرين، زيدا وإبى العتاهية. وما كاد هذا الأخير يشب عن الطوق حتى نراه يجتمع مع الجانحين، ويتنظم في مسلك المخشون الذين تكاثروا في الخواضر، بفعل الموجات الحضارية الوافدة والتي تحمل في ثناياها بذور التخلف والحلاعة والمجون، الى جانب ما تحمله من افكار جديدة، وفلسفات، وطرائق عيش لم تألفه الأجيال العربية فيما مضى، وطبيعي ان يسرع هذا الفنى في الجنوح، أكثر من غيره، لما كان يعتمل في نفسه من شعور بالضيق، وإحساس عميق بالدونية، كانا ينميان فيه كبناً كثيفاً، لم يجد معه ابو العتاهية بداً من التنفيس عنه بالانسلاق في حياة المجنون من جهة، وبتفجير ملكاته، في اعمال تدميرية مثيرة. . كما يؤكد علماء النفس اليوم. . او بإبداعات فنية، والاتيان بروائع مدهشة، في اطار مواهبه الخاصة، من جهة أخرى. .

وهذا تقريبا ما فعله ابو العتاهية المسحوق المحبط  
 الممزق داخليا، الذي سرعان ما نراه يتدفق بالشعر،  
 مهما كان نوع هذا الشعر، ويتعبير اصح، يتنفس  
 بالشعر، وينفس به عن غلوائه، ويرتاح الى قذفه،  
 يوميا، في وجوه الناس، مداعبا، او ناقدا، او هاجيا،  
 او متغزلا . . ثم . . واعظا وزاجرا، وداعيا الى الله . .  
 ولعل هذا، كان سلاحه الوحيد في محاربة والآخرة  
 وتحديه وتهشيمه، والوصول، بالتالي الى الشهرة،  
 ومحو العار المصطنع الذي ألصق به وبأسرته، ومهنته،  
 وأصله . .

وكانت بداية المشوار الطويل على طريق الشهرة  
 وتحقيق الذات، في الكوفة، حيث راح المتشاعرون  
 والصبية يتهافتون عليه لينشد لهم أشعاره، فيسارعون الى  
 تسجيلها على ما نثر من الحزف في دكان أخيه زيد.  
 أو على ما يشترونه من الجرار (١).

وتلا ذلك خطوة ثانية هي الانخراط الكلي،  
 هناك، بعصبة المجان من الشعراء أمثال مطيع بن

---

(١) اغاني ٩/٤

لياس، ووالبة بن الحبيب، وأبي دلامة، وحماد عجرد،  
ويحيى بن زياد، وغيرهم ممن كانوا «حلية الأرض،  
ونقش الزمان»<sup>(١)</sup> على حد تعبير الثعالبي

هؤلاء كانوا قد ملأوا الدنيا مجونا وخلاعة،  
وخلقوا موجة عارمة من الفسق والزندقة، اجتاحت  
الجيل، خاصة الجيل المثقف المترف، ممن كانت  
الكوفة تعج بهم وبأمثالهم من عرب، وفرس وسريان،  
وصابئة<sup>(٢)</sup>. مما ولد نشاطا فكريا ضخما في شتى  
الميادين. وكانت أرض الكوفة تنطوي على بذور قديمة  
لديانات وعقائد كثيرة: كالمناوية التي تجمع بين  
الزرادشتية والنصرانية، إلى جانب بذور البوذية،  
والمزدكية، هذه البذور ظهرت على السطح فتأثر بها  
الجيل العربي المسلم الناشئ، وخلق في نزعة قوية  
إلى الشك أمام كل شيء... يقابل ذلك ملل ونحل  
إسلامية كانت قد تشكلت ونمت بحكم استمرار  
الصراع الديني والسياسي القديمين: كالشيعة المعتدلة،  
والغالبية، وبقايا الخوارج. وطبيعي أن يتأثر شاعرنا

---

(١) الثعالبي ثمار القلوب ط ١٩٠٨ ص ٤٠٧

(٢) من صبا محرق مخرج من الدين إلى دين آخر



المتحضر بها جميعا، فيظهر على سلوكه، وفي شعره،  
وأقواله، الشيء الكثير منها.

كما وجد تيار أدبي آخر، أدخله الوافدون على  
الكوفة، ليشاركوا عصابة المجان مجونهم، كابن المقفع  
في أول أمره، ومحمد بن الأشعث، وابن عون  
العبادي.

ولعل أسلوب ابن المقفع في كلامه، وفي أدبه  
الذي نعت بالسهل الممتنع، هو الذي تأثر به شاعرنا  
في قول الشعر السهل الممتنع إذا جاز التعبير. إلى  
جانب مؤثرات أخرى سنذكرها حين نعرض لتحليل  
خصائص شعر أبي العتاهية الفنية.

ها قد وجد شاعرنا في الكوفة كل ما يتغنيه،  
ويتوق إليه، ليستر ضعف نسبه، ويحوّذ  
نشأته<sup>(١)</sup>. وهله هي بيته الأولى يحول فيها باكورة

---

(١) وعلما في المراجع القديمة والحديثة اجماعاً عريضاً على ضعف نسب  
أبي العتاهية، فقط لأنه كان نبطياً، وضرباً.. لذا كان أصحاب  
المراجع القديمة معلومين لجهلهم التاريخي، ولتصعيبهم على كل من لم  
يكن عربياً قريشياً أصيلاً، وقد نسب صريح.. فما بال أصحاب المراجع  
الحديثة يحلّونهم في جهلهم مؤكدين ضعف نسب أبي العتاهية،  
لمجرد أنه كان نبطياً.. ثم كما قال القدامى ١٩ ولو تبصروا قليلاً، =

جولاته، أما بيته الثانية فكانت بغداد المهدي  
والهادي والرشيد. فكيف انتقل اليها؟

كان شاعرنا قد تعرف، في الكوفة، الى مغني  
نبطي ناشيء هو ابراهيم الموصللي. وكانا صديقين  
متحابين. وحين ضاقت بهما الكوفة، على رجبها حرية  
ولذاتها عيش، ووفرة علم ولذبة فن، توافقا على ان  
ينتقلا الى بغداد وعاصمة الدنيا آنذاك، وملاذ الطامعين الى  
الشهرة والمجد من كل نوع. . انتقلا اليها ليواجهها  
مصيرين مختلفين: ابراهيم الموصللي ليصبح المغني  
الاول في بلاط المهدي، ولا سيما بلاط الهادي وابنيه  
الرشيد، وشاعرنا لينال من المهدي، بدل الجائزة، لقبا  
حمله الى الأبد هو أبو العتاهية!

وهكذا فاجأه الفشل فور قدومه الى بغداد،  
ولعل ذلك عائد الى جرأته ومحبته، وتسرعه في طلب  
الشهرة.

---

= وإطلعوا على حقيقة أصل النبط، أو الالتباط (راجع ص ٣ من هذا  
الكتاب) لعلموا أنهم كانوا عربا انتشروا امبراطورية قوية تحت روم  
نفسها إلهام الرومان. إلا أن كان سبب الطعن دينا. . . وذلك ادعى  
والمر. .

ترك أبو العتاهية بغداد، وفي قلبه حسرة وحقد،  
عائدا إلى الكوفة، عن طريق الحيرة. وفي الحيرة رأى  
فتاة تدعى سعدى تستأجر كنانة في المآثم لرقّة  
صوتها، وكانت مولاة لبني معن بن زائدة، ذات جمال  
ودلال، فأحبها، وتغزل بها. لكن سعدى أعرضت  
عنه وشكته إلى مولاها عبد الله بن معن، فزجره  
ونهاه، فتصدى له الشاعر بالمهجاء المقذع، فصاقبه الأمير  
على هجائه بمائة سوط<sup>(١)</sup> وتدخل مواله من عنزة،  
وكفوا سانه..

#### وفاء الاصدقاء:

لم يمكث أبو العتاهية طويلا في الكوفة، إذ ما  
لبث أن أرسل إليه صديقه إبراهيم الموصلي، يطلب  
منه اللحاق به، فقد اقبلت عليه الدنيا، في خلافة  
المهدي، وأصبح المغني الأول في البلاط، لكنه لم ينس  
صديقه الشاعر المسكين..

طار إليه أبو العتاهية، وهناك قدمه إلى الخليفة،  
فمدحه أبو العتاهية بقصيدة نالت إعجابه، ورضي

---

(١) ما شاء الله! كم كفوا حريمين على جوارحهم! ولو عقلوا لخرصوا  
على اميراطوريتهم قبل ان يسرع اليها الروال!

عنه، وقربه، ولكن اللقب ظل يلزمه، غير ان شوقي  
 ضيف في كتابه «العصر العباسي الاول» صفحة ٢٣٩  
 يرجع ان يكون اللقب (ابو العتاهية) الذي اطلقه  
 عليه المهدي، جاء بعد اللقاء الاول مع الشاعر،  
 وبعد فترة الاعجاب المتبادل، اذ يقول: «ومر الأيام  
 بأبي العتاهية باسمه. لكن سحابة لا تلبث ان تنعقد  
 في سمائها، فقد تعلق الشاعر بجارية من جوارى  
 زوجة المهدي راسطة بنت السفاح<sup>(١)</sup> وهي عتبة،  
 وكانت تزدره، كما ازدرته سعدى من قبل. ومضى لا  
 يكف عن غزله بها، ولا يبرعوي، فعرفت مولاتها  
 خبره، وأثارتها عليه، فحدثت المهدي بشأنه، فغضب  
 لتعرضه لحرمة جوارى قصره، وأمر بضربه مائة سوط  
 وسجنه! ولم يلبث يزيد بن منصور الحميري  
 ان شفع له لدى المهدي، فعفا عنه ورد  
 عليه حريته. ويقول الرواة انه لم يكن يجيها حبا  
 صادقا، إنما كان يريد الشهرة في الاوساط الادبية  
 بذكرها، وانه امتحن في حبيها، وأثبت الامتحان

---

(١) جاء في مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٥ ان عتة هي جارية الحيزران  
 وليس راسطة.

كذبه، وانه لما كان يتكلف هذا الحب تكلفاً<sup>(١)</sup> لكن  
 المسعودي يثبت في «مروجه» انه كان صادقاً في حبه،  
 بدليل ان المهدي بعد ان رضي عنه «أمر له بخمسين  
 ألف درهم، ففرقها أبو العتاهية على من كان بالباب»  
 . فوجه اليه: ما حملك على ان أكرمتك بكرامة  
 فقسمتها؟ قال: ما كنت لأكل ثمن من أحببت، الخ.

ومهما يكن من امر تاريخ هذا اللقب، فانه لقب  
 أصبح قدر الشاعر المقدور. ولم يضره في شيء.. بل  
 لقد أصبح، مع الأيام رمز شاعر موهوب لامعة..  
 ولعله الشاعر الوحيد الذي تنسى، في رحابه، فعالي  
 لقبه..

ويتوفى المهدي، فيخلفه الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ).  
 ويتقرب منه أبو العتاهية، مطلقاً فيه مدائحه، ويجزل  
 الخليفة عطايه على الشاعر. ثم يستخلف الرشيد  
 (١٧ - ١٩٣هـ). وكان شاعرنا على صلة وثيقة به أيام  
 أبيه المهدي، فوصل ما انقطع، ولأزم أبو العتاهية  
 قصر الرشيد لا يبرحه، مرافقاً الخليفة في حله  
 وترحاله. وكان يجري عليه كل سنة خمسين ألف

---

(١) نقلاً عن زهر اللب وتاريخ بغداد.

درهم ، فضلا عن الجوائز السنية<sup>(١)</sup>، واخذ الشاعر  
 يمدح كبار رجال الدولة، امثال يزيد بن يزيد  
 الشيباني، وينال جوائزهم، ما عدا البرامكة الذين كان  
 لهم شعرتهم، مثل أبان اللاحقي، واشجع  
 السلمي، فلماذا لم يقربوه مع إعجاب زعيمهم  
 جعفر بن يحيى به وكذلك الحسن بن سهل الذي كان  
 يجري لأبي العتاهية ثلاثة آلاف درهم كل شهر؟  
 أغلب الظن ان الشاعر قد اسرع في الميل الى التزهد،  
 فانقلب واعظا، والامراء لا يمجبهم الوعظ ولا يصغون  
 اليه، ومنهم البرامكة..

هنا، يبلغ شاعرنا القمة في الشهرة والشراء<sup>١</sup>  
 والتهتك. فقد راح يتفق المال على ملذاته، وبجونه،  
 وتسريه، مع عصابة السوء اياها، سادرا في غيه  
 وفجوره، برفقة والبة، ومطبخ، وأبي نواس، أو لنقل  
 بلغة اليوم: متسعملا حرته الى أقصاها، مستغلا شبابه  
 وظروفه حتى مدهاء.. وكان قد تجاوز الأربعين من  
 عمره، فكأنه أراد، بهذا، نسيان أيام الجوع والتشرد،  
 والفقر والضيق من جهة، وتحقيق الذات

---

(١) الخاقاني ٧٤/٤

وتحدي والآخر من عصر، وتقليد، وقيم أمسين بها  
لافتقاره إليها، كالعروبة الخالصة والنسب الصريح،  
والعقيدة الصافية، من جهة أخرى . .

### انقلاب خطير

الى ان حدث ما ليس بالحسبان: لقد أعلن ابو  
العتاهية زهده، وانصرافه عن العصابة، وقصر  
الخليقة، فلماذا؟ وما هي الأسباب؟

سنة ١٨٠ هجرية انتقل الرشيد الى الرقة، وانتقل  
ابو العتاهية الى الزهد . لكنها كانت مجرد صدفة في  
التزامن، اثارى الرشيد، فحاول ان يردشاعره الى ما  
كان عليه من حياة المجون، وما كان يطرب الرشيد  
من رقيق غزل الشاعر وجزيل مدحه . . لكنه  
امتنع . . وضيق الخليقة بامتاعه، وبأمر بضره  
وحبسه . . ثم بالتخفيف عنه طمعا بعودته . غير ان  
الشاعر يأخذ في استعطافه بمثل قوله :

انما انت رحمة وملازمة

زادك الله غبطةً وكرامةً

لو توجعت لي فروححت عني

روح الله عنك يوم القيامة

ويرجّو الرشيد عنه ويطلقه.. ويمضي الشاعر في  
تزهد، والاكتثار من ذكر الموت والفاء، والثواب  
والعقاب يوم الحساب، والدعوة الى الاعتبار،  
والاقتلاع عن مثل ما كان هو فيه، من فساد وغى  
وامتهتار. اما انه لم يذكر المعاد والحساب في زهدياته،  
فليس صحيحا، كما سنرى.

### السبب الأقوى:

يبدو لنا ان الشاعر بعد ان اوغل في الخطيئة،  
وامتسرسل في الغواية وقد ارق جسدنا ونفسنا، وتقدم  
به السن حيث شارف على الخمسين، ومل حياة  
المجون، اراد ان يمضي ما بقي من عمره في انتهاز  
نمط حياة هادئة، رزينة، تأملية، يكفر فيها عن ماضيه  
المثقل بالأوزار. وذلك أمر طبيعي حدث ويحدث  
للكثيرين أمثاله. من مرهفي الاعصاب والشاعر. حتى  
ابو نواس، احد رفاق الشاعر في العصابة، كان في  
فترات عديدة، يستغيق على ما هو فيه، فيحول،  
فيطلق ضراعات شعرية تنم عن مكشونات نفسية  
ملتاعة، نادمة، منية، لاسميا في لياليه الموحشة، حين



كان المرض يستبد به، وتشتد عليه نوبات الربو. (١)  
هذا الداء الذي يصيب عادة المدمنين على الخمرة،  
المستهترين بصحتهم. لكن ابا نواس سرعان ما كان  
يعود الى غيه ومجونه بمجرد ان يطلع عليه الفجر،  
وتزول نوبة المرض العضال، فيبدأ نهارا جديدا، وكان  
شيئا لم يكن، اما ابو العتاهية فلم يكن يسرع في  
العودة. كزميله، ولعله ما عاد مطلقا، كما يفهم من  
سيرته، مهما قيل في صحة زهده، ومداه..

### السبب الأوهى:

اما ما يقال عن اختلافه مع رئيس عصابة المجان  
والبة، واحتدام ذلك الخلاف حتى تكسر في مهاجمة  
حادثة متبادلة، نال فيها ابو العتاهية من والبة منالا  
عظيما، رغم تقدم هذا عليه بالسن والشهرة، فان هذا

---

(١) انظر كتابنا: ابو نواس: مجلد دم شعري: الصادر عن دار مكتبة

الهلل بيروت ١٩٨١

(١) اخالي ١٢/٤

ليس سببا معقولا، لنتقل شاعرنا من ضفة الى ضفة،  
ومن حياة الى حياة.

### السبب غير المباشر:

الى جانب فينك السيبين المباشرين: النفسي  
والشخصي، نحن نرى سببا آخر بعيد مدى  
المفعول، هو تأثير شاعرنا بفلسفات، وعقائد قديمة  
مختلفة. فقد رأيناه يعيش في بيئة علم ومعرفة،  
وتثقف عن طريق السماع والمعايشة والمدارس،  
لكل ما كانت تعج به الكوفة، وبغداد، وقصور  
الخلفاء، المهدي والمهدي والرشيد، من تيارات  
فكرية، وجدل كلامي وعلوم وافلة، وفنون راقية.  
ورأينا شاعرنا يعتر بكل ذلك، ويشارك فيه. حتى  
انه كان يعد نفسه «عالما». وكتب السير تشير الى علمه  
وثقافته في غير موضع. . لذا جاء زهده متأثرا بكل  
تلك التيارات الفكرية، ولا سيما المانوية والبوذية.

## الشاعر - العالم :

جاء في الأغاني : وحدثنا النوشجاني قال : اتاني البواب يوما فقال لي : أبو اسحاق الخزاز بالبواب . أئذن له . فاذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قنوموز . فقال : قد صبرت تقتل العلماء بالموزا قتلت أبا عبيدة بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . « فهو بهذا يساوي نفسه بأبي عبيدة كبير شيوخ وعلماء هذا العصر في علوم اللغة العربية وآدابها وأخبارها ، فقد ذكر له ابن التديم في فهرسته أكثر من مائة مصنف في القرآن والأمثال والفتوح والأنساب والفقه ، والأخبار والتراجم (١) .

لكن هذا رأي شخصي لانعتد به ، اذا لم يؤيده علماء ومؤرخون آخرون . روى الخطيب البغدادي ان صديقا لأبي العتاهية دخل عليه في مرضه الذي مات فيه ، وكان قد أخضع عينيه . قال : فقالوا : كلمه . فقلت : يا أبا اسحاق . فلما سمع صوتي فتح عينيه . فقلت : أعزز على العلماء بمصرحك (٢) .

---

(١) الفهرست ٨٥ - ٨٦

(٢) تاريخ بغداد ٦ / ٢٥٦

وهذا جامع ديوانه ابن عبد البر النمري  
 يحد من العلماء، ويذكر الخصومة التي كانت بينه  
 وبين منصور بن عمار في: باب قول العلماء بعضهم  
 في بعض، من كتاب العلم. كما يقول عنه  
 انه «دخل العلماء والصالحين، ونظم ما استفاده من  
 أهل العلم من السنن وسير السلف الصالح في  
 قصائد زهدية اعتبارية، تدعو الى الاقتداء بهم، وتحث  
 على مكارم الاخلاق».

غير ان هذا لا يعني انه كان عالما مضربا. او ان  
 علمه ذو سمة منهجية أكاديمية اذا صح التعبير  
 شجرة معاصره من العلماء او الفلاسفة او المناطقة  
 او المتكلمين. كل ما في الأمر انه كان مراقبا ومقتبسا  
 من هؤلاء. فقد كان له، في شبابه، منصرف  
 آخر، ومعايشة من نوع آخر: كان متخصصا بالمجون  
 ومعايشة المجانين. وكان له من تجاربه، ومن مكونات  
 شخصيته، ودقة ملاحظته، واستعداده الفطري،  
 ويقتل حواسه، وحلمه ما استطاع به ان يغني، في  
 شعره، الكثير من الآراء والتأملات في الحياة والموت،  
 فضلا عن اقتباساته من الافكار، والعلوم السائدة في

عصره. وهذا ديوانه مختبر لكل تلك التجارب ،  
ويوتقة انصهرت فيها كل مسائل المعرفة ، والخبرة ،  
والدراية في شؤون الناس وشجونهم ، ومفاهيم الحياة  
والأحياء ، من مضي منهم ومن عاصر ، لا سيما  
مصائر كبار القوم من ملوك وباطرة ، وقيصرة ،  
واكاسرة . كما تناول في شعره الزهدي الله وصفاته  
واوامره ونواهيه ، ومسألة الخير والشر ، والجبر  
والاختيار ، والإيمان والكفر ، والقضاء والقدر ،  
والحساب والعقاب ، والحشر والجنة والنار ، وأخلاق  
الناس ، وما هم عليه من تقوى وفجور ، وغنى وفقر ،  
وكفاف وقناعة ، ولهو وشباب ، ومشيب ، ونسيان  
وتذكر ، الخ . كل ذلك في نشيد صريح ، أو نشيد ينم  
عن شخصية منفعة أحيانا ، يكل ما اختلط على  
الناس فهمه ، أو شذوا عنه ، أو دعوا اليه ، وأحيانا  
أخرى ، عن شخصية غير منفعة ، تورد الحكمة أو  
الموعظة أيرادا تقريرا باهتا . تماما كما وردت في كتب  
التعاليم ، وخطب الحكماء ، وكلام العظماء ، دون تغيير  
أو تبديل ، الا بالقافية . . ولولا هذه لما شعرنا بأن ما  
يقوله هذا الواعظ ، شعر أو نظم . .

## مذهب الشاعر:

يُخبرنا الأب لويس شيخو، وفؤاد افرام البستاني في روايته «نقلا عنه» ان اهل الشاعر كانوا من النصارى. اما الشاعر فقد اسلم، ولكن على غير اسلام صحيح، كما زعم البعض. غير ان اشعاره واخباره لا تشير الى شيء من هذه التهمة التي لا شك في ان بعض خصوم الشاعر من متدينين محافظين، او شعراء حامدين قد قذفوه بها، كما قذفوا غيره من شعراء المجون، ورموهم بالكفر والزندقة، لما هم فيه من استهتار بالطقوس الدينية، لا لما انطوا عليه من اسلام وايمان.

حدث الصولي في اوراقه قال: كان مذهب ابي العتاهية القول بالتوحيد. وان الله خلق جوهرين متضادين، لا من شيء<sup>(١)</sup> ثم انه بقى العالم هذه البنية منهما، وان العالم حديث العين والصفة، (محدث)، لا محدث له الا الله. وكان يزعم ان الله سيرد كل

---

(١) تعبير الصولي غير دقيق فلسفيا. فكلمة خلق تعني الخلق من شيء. فاذا كان المخلوق من لا شيء كان مبتدعا. من ابداع وليس خلق. المؤلف

شيء الى هذين الجوهرين المتضادين، قبل ان تغنى  
الأعيان جميعا. وكان يذهب الى ان المعرفة واقعة  
بقدر الفكر والاعتدال، والبحث طباعا. وكان يقول  
بالوعيد، ويتشيع بمذهب الزيدية البثرية المبتدعة، لا  
يتنقص احدا، ولا يرى الخروج على السلطان، وكان  
مجهرا...»

وعلى هذا يكون ابو العتاهية قد أخذ بتصيب من  
الفلسفة الاسلامية، او التفلسف، كما أخذ عن  
المانوية، وهو الذي امضى ثلاثين سنة من شبابه في  
الكوفة، ثم في الحيرة، - أخيرا في بخداد: عاصمة  
الفكر والفقه، والفن، والشعر والفلسفة. هذه  
الفلسفة التي بدأت تفعل فعلها في عصر الشاعر، اثناء  
حركة النقل الكبرى عن الفارسية واليونانية، بواسطة  
تراجمة سريان وفرس، لكثير من العلوم والمذاهب،  
والعقائد، والفلسفات.

كما سنرى انه أفاد من الحكمة، وشعر الاعتبار  
للذين نقلوا مع ما نقل من الهندية والفارسية،  
واليونانية، ومن مصادر أخرى غير اسلامية كالتصراية  
والمناوية<sup>(١)</sup>. وقد أتضح ذلك في سلوكه، وبعض

---

(١) نسبة الى علي بن فاطك الحكيم (٢١٥ ق.م.) البجلي المولود.

شعره. وإذا ما علمنا انه امضى روحا من حياته في  
 الخيرة، وهي من المراكز المسيحية الهامة، وان عين  
 التمسر، مسقط رأس الشاعر، هي ايضا من تلك  
 المراكز، وإذا ما صرفنا ان الماتوية ليست سوى مزيج  
 من النصرانية والزراداشتية وانها عقيدة لعبت دورها  
 على مسرح الافكار والعقائد، بلسان زنادقتها من  
 مفكرين، وشعراء، وكسّاب، ووزراء، ادركنا ما كان  
 لتلك المراكز، ولهذا الدور، من تأثير خطير على تفكير  
 علماء المسلمين وشعرائهم، وكسّابهم. حتى ان الخلفاء  
 العباسيين « قد أفرعهم ذلك » على حد تعبير صاحب  
 الفهرست لكثرة ما نفثوا من افكار، وما بشوا من

---

الفارسي الاصل. نفس حياته يشر بنين جديد، ومحارب للمجوس  
 ومجاريونه. حتى تغلبوا عليه وصلوه دون ان يشعروا على فكرته. كان  
 والد ماني من المختلة. وهي فرقة مسيحية ضالة، تدهر الى التطهر  
 بالعماد ولبس الثياب البيض رمز الطهارة اذعى ماني انه المسيح  
 الثاني، اي البارقليط الذي وعد به يسوع... وانه جاء العالم  
 « بديانة الخلاص » وقد اخذ من الديانات الايرانية، التنوية التي جعل في  
 العالم مبدئين: مبدأ نقي ومبدأ شر، نور وظلام، والخلاص من الشر  
 ممكن بواسطة التطهير، وهذا التطهير يكون من طريق المعرفة  
 الخ... انظر: تاريخ الفلسفة العربية ج ١ ص ٢٦ وما بعدها  
 للدكتور خليل الحبر وحنا فانجوري دار المعارف بيروت ١٩٥٧.



حقائدهم الثنوية القديمة، تارة في علانية متحدية جسورة، وتارة في سرية مقصودة تحت شعار من ملل ونحل اسلامية مختلفة. وقد لعبت الشعبية دورها، الرديف لتلك الدور، مما بلبل الافكار، واشاع الشك، ونشر الزندقة<sup>(١)</sup>. وواضح تأثر أبي العتاهية بهذه العقائد عامة والمأنوية خاصة، فهو يرى في اصل التكوين جوهرين متضادين، يصير العالم اليهما قبل فثاته. فمن المعروف ان مبدأ ثنوية المأنوية تقوم على هذين الجوهرين المتضادين، اذ يرى ماني واتباعه ان العالم نشأ عن اصلين هما: النور والظلمة، وعن النور نشأ كل خير ومن الظلمة نشأ كل شر، وكل منهما لا يقدر على الآخر. وقد امتزج الخير والشر في هذا العالم امتزاجا تاما. وفي رأس المانويين ان هذا العالم شر، لأن امتزاج النور بالظلمة فيه، شر. . ولهذا نزعوا منزعا رهبانيا، فحرموا النكاح استعجالا للفناء. . وهم بهذا المما يجعلون اعمال الانسان من خير، او شر، جبرية، لانها تصدر عن هذين

---

(١) نيكلسون: تاريخ العرب الادبي ص ٣٧٢

الاصليين او المصلدين: النور والظلمة، او الخير والشر.

وسنجد في اقوال واشعار أبي العتاهية ما يكون مذهباً في الحياة هو مذهب الجبرية نفسه القائل بالجوهريين المتضادين، يقول ابو العتاهية: «ان كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله.»

وهذا تأكيد لقول الجبرية يكاد يكون حرفياً. فهم ينفون - كما علمنا - الفعل عن العبد ويضيفونه الى الله الفاعل القادر الخالق<sup>(١)</sup>.

وحين نسترسل في استقراء اخباره واشعاره واقواله نقف على شخصية مثقفة ارادت، بطموحها، ان تحقق مجدين على الأقل: مجد الشعر، ومجد المعرفة، فنهلت من كل ينبوع، وما أكثر الينابيع، في عصره، على ضحالة بعضها، من دينية، ومذهبية وفلسفية، فجالت جولات، واعطت آراء، ولكنها لم تلتزم بواحد منها، ولم تجهر بما يصيها من أذى. . . كانت شخصية انتقائية، اذا جاز التعبير، تأخذ من كل لون بطرف،

---

(١) للعل وللحل من ٥٩ - ٦٢

وان كانت في مسألة «الجبر» متميزة تماماً لعنق تأثرها  
بالماتوية .

اما نعمة « الجهل » التي الصقها بعض الاغرار  
بأبي العتاهية، فتأتي تأكيداً لجهل مطلقها ورعونته، لا  
أكثر، . . كما فعل أحد الطبائخين ، ويدعى  
عصروس، وكان جازراً للشاعر، حين قال: ان ابا  
عتاهية كان من اقل الناس معرفة، نقلاً عن أحد  
كبار المرجئة<sup>(١)</sup> . في ذلك العصر، لعله بشر المريسي .  
اذ ان من لحايش عصره، معايشة عميقة، وتأثر بكل  
شيء، وقبس من كل نار، كأبي العتاهية، لا يمكن  
ان يسمى جاهلاً .

---

(١) المرجئة من ارجاء بمعنى امهل واخر. سمو بالمرجئة، لأنهم يرجشون  
أمر أصحاب الفرق الاسلامية الذين سفكوا الدماء كالحوارج  
والعثمانية، الى يوم القيامة. فلا يحكمون على فريق دون فريق  
والمرجئة فريق وسط مسالم (فجر الاسلام ص ٢٨٠) لا يكفر ببي  
امية، ولا يكفر أصحاب علي. من كبار أئمتهم أبو بكر، وعبدالله  
بن عمر، وعمران بن الحصين. ومن أقوالهم المستغربة في الايمان  
«ان الايمان الاعتقاد بالقلب. وإن أعلن الكفر باللسان» ومن  
شعراتهم ثابت بن قطنة القائل :  
نرجي الأمور اذا كانت مشبهة      وتصلق القول فيمن جاز أو فدا

وابوالعتاهية لم يكن عالماً بمعنى التلقي  
والاختزان، بل كان ناقداً ورافضاً لما لا يتفق  
وعقيدته. كمسألة خلق القرآن<sup>(١)</sup> التي جاء بها  
المعتزلة تكريهاً لقلم الله وروحانيته. قال سائرا من  
القاضي احمد بن أبي نؤاد:  
لو كنت في الرأي منسوبا الى رشيد  
وكان عزمك عزمياً فيه توفيق  
لكان في الفقه شغل، لو قنعت به  
عن ان تقول: كلام الله مخلوق

فهو يرى ان الاشتغال بمسألة خلق القرآن لون  
من العبث والجهل، لا فائدة منه. . وهذا ناتج عن

---

(١) خلق القرآن: مسألة كلامية حلت شغلت جزءاً كبيراً من فكر  
المعتزلة، وحواراً مريراً بين الفقهاء لا سيما إمام المأمون الذي كان  
على رأي المعتزلة بأن القرآن مخلوق كأي شيء مخلوق آخر. وذلك  
تنزيهاً لله عن أن يكون معه قديم آخر إلا هو. . حتى انقلبت المسألة  
من قضية فكرية الى بحث. . عانى منها الكثيرون. . وكاد يلحق  
ضحيتهما الإمام احمد بن حنبل نفسه. للاستزادة انظر فحوى الاسلام  
ص ١٦١ وما بعدها.

موقفه العدائي من المعتزلة الذين كان بينه وبينهم  
عداء مذهبي، مرده الى انه من القائلين بالجبر، وهم  
يقولون بالاختيار. ومرة أخرى ينهض كل هذا، دليلاً  
على ثقافة الشاعر الدينية، وعلو كعبه في شتى ميادين  
الفكر والشعر.

تقلبه :

اما كون شاعرنا متقلباً، فهذا مما اجمع عليه دارسوه  
مؤكدين على انه لم يكن يلتزم بموقف، أو مبدأ، وقد  
ظهر ذلك في سلوكه. قال الصولي: كان ابو العتاهية  
مذبذباً في مذهبه، يعتقد شيئاً. فاذا سمع طاعناً  
عليه، ترك اعتقاده اياه واخذ بغيره. . . . واذا عد غيرنا  
ذلك نقيصه، فنحن لانرى في تردده وترجحه بين رأي ورأي،  
نقصاً او عيباً، بل نرد ذلك الى عصره، وناس  
عصره والنظام القائم، وما في مجتمعه من قيم  
مشوهة، ومفاهيم ملتوية، واعتبارات طبقية، ومذهبية  
تسيء الى حرية الانسان، وتفسد عليه انطلاقه  
الصحيح، فاذا وجد انسان موهوب، كشاعرنا، يملك  
طاقة هائلة على الابداع، لكنه لا يملك ثراء ولا  
نسباً عريقاً، وكل ما يملك رقة حاشية، وشعور

متوفر، وطموح، وحب للشهرة، ورغبة في النقد  
والسخرية، اذا وجد انسان كهذا عد مجنوناً، او  
كالمجنون، واعتبره المهدي معتهاً... لا شيء الا  
لأن الشاعر تجرأ على التغزل بإحدى جواري القصر  
وقد علم رأس شاعرنا لأن تغزله كان بإحدى  
الجواري. وليس برة القصر مثلاً وما المهدي وامثاله  
سوى الرمز البشع لكل ما كان عليه العصر من زيف  
اجتماعي، وخلل في النظرة الى الانسان المميز...

ابو نواس استطاع ان يصرخ بصوت حاد وساخر  
في وجه هكذا مجتمع، وهكذا مفاهيم... واهلن  
ثورته... لكن ابا العتاهية لم يستطع ان يفعل الشيء  
نفسه، وينفس القوة والصراحة لاسباب ذاتية. فابتلع  
لسانه احياناً كثيرة، ولجأ الى التقية... اتقاء لبطش  
السلطان وغضبه... ثم الى التقى، ابتغاء للراحة من  
عناء النفس ومعاناة الحياة، ومالم يستطع ان يظهره في  
أقواله وشعره ومواقفه، حفر في نفسه انخاديد من  
الآلم، وأشعل نعمة مكبوتة، أكتوت بها حناياه... فوقع  
في صراع نفسي حاد، ظهر على تصرفاته وحركاته  
وسلوكه. فعدوا ذلك منه تذليلاً، وزادوا فعدوه  
جنوناً... ولو عاش شاعرنا في عصر متقدم كعصرنا

لكان له شأن آخر بين يدي محلي الشخصية القلة من علماء النفس التجريبيين . .

ومن المؤسف ان بعض دارسيه من المعاصرين، وضعوه في المكان نفسه، ونسبوا تقلبه وسلوكه المضطرب الى عاهات ذاتية فيه . فلم يروا فيه انسانا محيرا او مضائرا او بعضا من هذا، يتمتع بشخصية هجومية وشاعرية تمهيدية اصيلة، اراد معها ان يجدد فلم تسعفه الاداة، وان لم يفتقر الى الروح او الارادة . .

ومهما يكن فقد كان على دارسيه اليوم ان يقيسوه بقياس النقد الحديث، وان تحلل شخصيته في مختبر التحليل النفسي الجديد . والا فما معنى او ما فائدة للدراسة العصرية اذا كانت، امام الدراسة القديمة، حلوا النعل للنعل ١٩

صحيح ان ابا العتاهية كان ضحية عصره، ومفاهيم مجتمعه، رغم محاولاته الجريئة والمتعددة للخروج من وضعه، ولقبه، ونظرة الناس اليه، خاصة رجال الدين . . . الا ان الصحيح ايضا هو انه وامثاله، لا يزلون ضحيثا، نحن العائشين في أواخر

القرن العشرين، ما دعنا ننظر اليهم نظرة سلفية محافظة، وكأننا نخشى ان تضام عهود الماضي، على علامتها.. ويساء الى ملوكهم ( ولا نقول خلفائهم ) حين نكتشف، في بعض شعرائنا، انقلايتهم، وحبهم للتجديد، والثورة على كل ما اعترا في مجتمعهم وتعفن! من قبلية، وعصبية، وملهية، وطبقية، واتوقراطية وتيوقراطية، حيث كان امثال ابي العتاهية، وابي نواس، وشاربن برد يداسون بالاقدام لمجرد دعوتهم للتجديد، أو ثورتهم على رجال الدين المتزمتين، أو حرمتهم الجريئة في الجهر بأرائهم، ومعتقداتهم، والدعوة الى ما يرونه حسنا، ومنسجما مع الحضارة الوافدة وروح العصر.. ان عصرا يضرب فيه بشار(الاعمى) حتى الموت، ويسم في ابن الرومي، ويمنن ابي العتاهية، ويقطع ابن المقفع اربا اربا ثم يحرق.. هو عصر نافه وعجرب لا يمننا الانتساب اليه، والمفاخرة به.. ولولا ما التمع فيه من حضارة، وارهص لفلسفة، واهتم بعلم: لولا عصر المأمون بالذات... ثم لولا امثال هؤلاء الشعراء المسحوقين والادباء التجديديين الذين استطاعوا ان يصلونا بهم، وباحلامهم، وبأفكارهم، ولغتهم



الشعرية الخاصة، وأسلوبهم المشرق، لكانت صلتنا  
بالتراث اوهى من خيط العنكبوت. . . وبذلك العصر  
صلة المستريب. . .

حرصه على المال :

ولا نقول بخله، لأن من نشأ نشأة ابي العتاهية  
فقير امعدما، يتفق عليه أخوه زيد الخزازف، سيكون  
من أشد اهتماماته الوصول الى الثروة بأي طريق .  
ويأتي حيلة، حتى اذا وصل رأيناه بعض على دراهمه  
بالنواجذ . وهذه حالة طبيعية، لمن كان في مثل  
وضعه، ومثل عصره، لا يحترم فيه أشباه الناس سوى  
الغني، ولا يجدون الا ذوي الجاه والسلطان، ولو  
كانوا من المجرمين او اللصوص فكيف بشاعرنا وهو  
الذي يحس احساسا عميقا بمواهبه، وانه جدير  
بالشهرة والمجد، الحالة نفسها ستحدث للمنتهي الذي  
طمح الى مجد التربع على عرش الامبراطوريتين :  
امبراطورية الحكم، وامبراطورية الشعر، فمات دون  
الاولى، وهاش فوق الثانية ولا يزال . . .

المسألة اذن ليست مسألة بخل لمجرد البخل . انها  
الحرص على الآلة الوحيدة لصناعة المجد المادي،

توصلاً الى تحقيق المجد الشعري، وتحقيق الذات، في  
ذلك الزمن الرديء الذي يرسب فيه الدر وتطفو  
الجيف، كما يقول ابن الرومي، والذي يرى فيه  
شاعرنا كل الناس اشحاء بخلاء.. في تقديرهم  
للمواهب وفي احترامهم لاصحابها، وفي... كل  
شيء...

فانضرب بطرفك حيث شئت  
فلن ترى الا بخيلاً

فليكن هو مثلهم.. نكاية بهم، ! انها سخرية الاقدار  
تضطر أمثال ابي العتاهية الى ان تصبح صفة الحرص  
والشح من صفاتهم الراسخة، في زمان قل فيه  
الكرم، وشحت الارحية الا عل من لا يستحقها من  
الاتباع والمبخرين!

وتروي كتب السير كالاغانى، وتاريخ الادب  
العربي لنيكلسون، وكتاب بغداد لطيفور، و مروج  
الذهب، وغيرها، قصصاً غريبة عن حرص ابي  
العتاهية وشحه، حتى ان كثيرين من متشككي  
الاسلام الذين عاصروه، اتهموه في دينه لأنه يرى ان

الزكاة حرام.. وهذا الجاحظ المعجب بشعره، قد ذكره بين زمرة الأشعاع في كتابه «البغلاء». أما انه فاسد العقيدة ضعيف الاسلام لأنه بخيل، كما يؤكد بعض الدارسين (١) فهذا أمر عجب! وإذا صح فيهيئ ٩٠ ٪ من المسلمين غير صحيحي الاسلام!

أما كيف اهتدى هذا الدارس، الى مثل رأيه ذاك، فرواية لأبي الفرج الاصفهاني عن ثمامة بن اشمرس يقول فيها: «أنشئتني ابو العتاهية :  
إذا المرء لم يعتق من المال نفسه  
فملكه المال الذي هو ماله  
ألا إنما مالي الذي أنا منفق  
وليس لي المال الذي أنا تاركه  
إذا كنت ذا مالٍ فبادر به الذي  
يحق، وإلا استهلكته ماله

---

(١) هو الدكتور محمد محمود الدخس . انظر كتابه : أبو العتاهية، حياته وشعره ص ١٣١ وما بعدها. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨

فقلت له: من اين قضيت بهذا؟ قال: من قول رسول الله: انما لك من مالك ما أكلت، فأنفيت، او لبست فابليت، او تصدقت فامضيت، فقلت له: اتؤمن بان هذا قول رسول الله، وأنه الحق؟ قال نعم. قلت: فلم نجس عندك سبعا وعشرين بكرة في دارك، ولا نأكل منها ولا نشرب، ولا تزكي، ولا تقلمها ذخرا ليوم فقرك، وفائقك؟ قال: يا أبا معن والله: ان ما قلته هو الحق، ولكنني اخاف الفقر والحاجة الى الناس، فقلت: ويم تزيد حال من الفقير، هل حالك وانت دائم الحرص، دائم الجمع، شحيح على نفسك، لا تشتري اللحم الا من عيّد الى عيّد؟ فترك جواب كلامي كله. ثم قال لي: والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله . . . وما يتبعه بخمسة دراهم . . . فلما قال لي هذا القول اضحكني حتى اذهلني عن جوابه ومعاتبته، فأمسكت عنه، وعلمت انه ليس بمن شرع صدره للاسلام!!



انسان ذاق مرارة الفقر، في الكوفة، واكتوى بنار الحرمان في شبابه، حتى اذا جمع منه قليلا او

كثيرا، طالبه ابو من هذا بانفاق زكاة ماله، حتى اذا  
تجامل عليه الشاعر فادعى انه يتفقه على عياله، شك  
في اسلامه فتأمل!!

ونحن لا نلوم ابا من الزميت، بقدر ما نلوم  
الدكتور الدش، الذي اخذ روايات الاقدمين على  
هزالماء، ولم يخضع ابا العتاهية «البخيل» لمقاييس علم  
النفس الحديث، فيبرئه او يعذره.. ولا يرميه  
بالزندقة، كما رموه. حتى ان نظرة عميقة الى موقع  
الشاعر من عصره وناس عصره، تغني عن مقاييس  
علم النفس..

ومهما يكن من أمر بخيل شاعرنا، وحرصه على  
المال، فلسنا هنا لندافع عن اسلام ابي العتاهية. فقد  
يكون ضعيف الاسلام لأسباب أخرى، لكنه، قطعاً،  
ليس كذلك، لأنه بخيل..  
ثروته:

جاء في كتب السير ان ثروة ابي العتاهية كانت  
تقريباً كالآتي:

- ٢٧٠ ألف درهم من مصادر مختلفة، لأنه كان  
يعرف كيف ييز أرباحه الخلفاء والأمراء والقواد.

- ٥٠ ألف درهم من الرشيد سنوياً مضروبة  
بخمسة أضعافها على الأقل.

- ٢٠ ألف درهم من المأمون مضروبة بعشرة  
أضعافها على الأقل.

- ٣ آلاف درهم من الحسن بن سهل مضروبة  
بعشرة أضعافها على الأقل.

- ٢ ألفا درهم من زبيدة ام جعفر + ٢٠ ديناراً  
سنوياً (١) مضروبة بخمسة أضعافها الى ما هنالك من  
اعطيات زهيدة..

ليعذرنا القراء الكرام على هذا التدقيق في ثروة  
ابي العتاهية.. اذ ليس هذا من شأن مثل هذه  
الدراسة، لقد كان ذلك منا على سبيل التحري  
العلمي لنستتج انها ثروة متواضعة بالنسبة لما كان

---

(١) كانوا يسمون كل عشرة آلاف فرك ذهباً: بدرة. ويقدر بيكلون  
كل ٥٠ ألف درهم بألفي جنيه. لما الدينار فهو وحدة نقد ذهبية  
سكنها العرب على غرار الدينار المرقلي، وهي تزيد وزناً على نصف  
الليرة الانكليزية بقليل (٦٦ صفحة) وكان الدينار يعرف اولاً بعشرة  
دراهم ثم اخلت اسمها الفضة تكفلت بحيث بلغ احياناً عشرين  
درهماً: انظر كتاب: ابو العتاهية: رائد الزهد في الشعر العربي ص  
١٥ د. اسامة عاتوق منشورات المكتبة الاهلية بيروت ١٩٦٢.

يحصل عليه محظوظون آخرون، اقل شأننا من شاعرنا. فهذا مروان بن أبي حفصة وهو شاعر يكاد يكون مغمورا امام أبي العتاهية، ينال الف درهم ثمننا كل بيت يقوله في مدح المهدي! والمهدي اياه يمنع عبد الله بن دحمان المغني مائة الف دينار دفعة واحدة<sup>(١)</sup> والمأمون يفرق في يوم واحد ٢٦ مليون درهم ومائة الف درهم ثمن صوت يغنيه اسحاق الموصلي ليحيى بن خالد! فحري بأبي العتاهية ان ينتزع ثروته انتزاعا، قبل ان تذهب لغير الكفيا ثم يحرص عليها ذلك الحرص الشديد، فيصون كرامته ، ولا يسيء الى اسلامه، في زمن كان الاسلام الصحيح في واد، وأكثرية المسلمين في واد آخر. وكان الذين يرمون ابا العتاهية بالزندقة احق الناس بالرمي والرجم.

---

(١) فلذا اجرينا عل هذا الاساس عملية ضرب وقسمة كان مجموع ثروة ابي العتاهية التقديما ما يقارب ٢٨٥٠٠ دينار. وهي ثروة لا بأس بها. كانت كنفلة بتأمين حياته وكرامته أثناء الزهد والشيوخوخة، وتأمين حياته. لكنها زهيدة بالمقاييس الى ثروات المحظوظين الآخرين. بالمؤلف

## فصل خاص

### تاريخ الزهد في العالم الشرقي القديم :

قبل أن نتكلم عن زهد أبي العتاهية، وقيمته، ومدى صحته، علينا، من باب الفضول والتوسع، ان نلقي نظرة عابرة على تاريخ الزهد عند الامم القديمة، بشكل عام، ثم عند العرب. قبل الاسلام وبعد، لننتهي عند زهد أبي العتاهية بشكل خاص...

من قديم الزمان يوم صبحا الانسان على واقعه، وذاته، ومصيره، وراح يتسائل، ويسأل: مَنْ انا؟ وما الحياة والموت، وإلى اين المصير، وما قيمة ان احيا واعمل ثم اموت؟ وحين استطاع ان يعبر عن ذلك بشكل انشودة أو أمزوجة أو اغنية، أو مرثاة، . كان ينشئ ادبا شفهيا، هو مزيج من نثر وشعر، قوامه الحكمة، وغايته الاعتبار، وما بينهما تنفيس عن كربه وضيقه، وأحزانه... حتى اذا تعمق في النظرة الى



الكون، وصر الوجود، ولج في السؤال، انقلب ادبه  
فلسفة او تفلسفا، وانتهى الى وضع مبادئ ونظريات  
يفسر بها العالم والكون والله والانسان . .

وهذا نموذج من اناشيد قدماء المصريين، يعبر فيه  
الشاعر عن حيرته امام الحياة والمصير في عبثية واضحة  
امام الحياة، وغبطة تامة امام الموت:

ما التكاثر في الارض، والنهاية القبر؟!

تشبه بالحي الأبدى العادل

الذي لا يظلم احداً

السلام الذي لا يجب تعكير الصفاء ابداً

اليه يرجع الناس كلهم . .

اذا خلق الانسان، دعي الى سبل الرشاد

ووعظ بأن يكون سليماً معافى،

يعمل الخير، ويذكر الموت

حتى اذا جاء اجله استقبل القبر جذلاً مغتبطاً . .

ايها الكاهن: ان الموت الذي تتحدثون عنه ليس

الا الاتحاد بأرباب الأبدية! (١)

---

(١) انظر كتاب: حل ممشى الطريح المصري القديم لعبد القادر باشا  
حمزة. وكتاب مصر القديمة بجزئية للاستاذ سليم حسن بك.

هذا الشعر الزاهد، او ما كانوا يسمونه الادب  
الاعتباري، جاء في شكل هواجس يطلقها الشاعر تحت  
تأثير الجور الديني الضاغط، وما كان الكهنة يثرونه في  
نفوس الناس من رعب وخوف من هول المصير، ولعنة  
الالهة التي تصب على رؤوس الخطاة.

ونجد عند الصينيين الكثير من هذا القبيل، يتلوه  
الكهنة في بيعهم، ويصيفونه مواعظ زجرية للغواة،  
ومجيدية لنبيهم الاكبر كونفوشيوس.

اما الزهد المجسد الذي تمثل انسانا، وضج ايمانا  
فكان في الهند. حيث عاش فلاسفة وادباء وشعراء  
كثيرون جسدوا الروح الهندية النواقة الى الزهد  
والتصوف، والدعوة الى طهارة القلب، وصفاء  
النفس. فعاشوا هذه المثل والاخلاق، قبل ان يفتوها  
شعرا، او يكسبوها في قوالب الحكمة، ونظريات  
الفلسفة. فهذا بوذا يكرس هذا الاتجاه الروحي  
تكريساً تاماً. فبعد ان هجر الحياة الارستقراطية،  
واتخذ منعزلاً يأوي اليه اناء الليل واطراف النهار،  
مفكراً متأملاً، بينا لداته من الفتيان يلهون،  
ويلعبون، ساديين غير مدركين، كما ادرك هو، أن كل

هذا الجمال الرائع فيهم، وفي ما حولهم، من مفاتيح الطبيعة سائر الى القبر... لقد ادرك ان كل ما ومن تلده الحياة مقضي عليه بالتغير والفناء. وان شبابهم هذا المتوهج بالحياة، ستلفحه ثلوج الشيخوخة، فيجمد ويخبو... والحياة نفسها ستتحل عناصرها، وتزول، وهي على قصرها مليئة بالهم والعناء. ومهد الوليد كقبر الفقيد مشرع ما بينهما بالأسى والمذاب والبلاء... وكل جهد يبذله الانسان مفعم بالمرارة. وليست هناك سعادة دائمة في هذه الحياة الدنيا بل ليست هناك سعادة على الاطلاق، (كما سيؤكد ذلك شوبنهاور الألماني في القرن التاسع عشر) اذ ما معنى سعادة يسبقها ألم الحصول عليها، ثم يعقبها ألم السرعة في فقدانها، وعلم القدرة على الاحتفاظ بها... كما يقول هذا الأخير...

**ويصرخ بوذا:**

أه لو استطاع الانسان ان يتخلص من الحياة التي لا تسبب له سوى الألم والشقاء. لكن الانتحار عبث لا يجدي... لأنه لا يقتلع الشر من جذوره. فقطف الثمرة، لا يقتل الشجرة، اذ سرعان ما تزهر ثم تثمر... ان جذر الحياة هو الرغبة في الحياة، فان

محوت من نفسك هذه الرغبة، فقد قتلت مصدر  
 الألم، ومحوت الشر، واعددت نفسك للطمأنينة  
 الكبرى<sup>(١)</sup>.. هذا ما دار في رأس الفتى الشاب  
 بوذا، فلما اكتملت رجولته كان قد صمم على  
 العزلة. وفي التاسعة والعشرين من عمره، غادر قصر  
 أبيه، تاركا وراءه زوجة جميلة، وطفلا رضيعا. وكان  
 في صحبته رفيق واحد. ولم يمض في رحلته طويلا  
 حتى أعاد هذا الرفيق، وأعطاه سيفه وحصانه.  
 وصادف في طريقه فقيرا فبادلته ثوبه الجميل بثوب  
 ممزق بال.. لقد هاجر بوذا الى.. نفسه.. ولم  
 تكن هجرته عزلة هروبية يائسة، بل بانجاء الناس، لا  
 لكي يحكمهم، كابيه، بل ليكون حكمهم  
 وهادئهم..

ومن أقواله:

دعني ازل شعري ولحيقي، دعني أرتد  
 ثوبا اصفر (هو ثوب الزاهدين) واغادر حياة الأسرة،  
 الى حياة بغير مأوى..

---

(١) قصة الادب في العالم ج ١ ص ٥٧ للاستاذين احمد امين وزكي  
 نجيب محمود.

ثم راح يتلقى مبادئ الدين عن البراهمة. لكنها لم تعجبه. . فازدري تعاليم الفيدا لأنها تدعو الى التحكم الديني المطلق. فمن يبعث الطمأنينة في نفسه الحيري؟ الاشراق الروحي؟ اجل. انه ذلك التالف الروحي الذي يفيض على نفس الزاهد المتأمل فيملأها نورا. . حيثئذ يتسدى الى حقيقة وحيدة كفيفة بخلاص الانسان من خطيئته وشقائه هي: ان يحب الانسان كل كائن حي حبا لا يرجو من ورائه غاية غير الحب. هذا الانسان المثلء حبا هو وحده القريب من نعيم النيرفانا<sup>(١)</sup> ذلك الفناء الذاتي هولب البوذية ورائدها. وسيكون لتعاليم بوذا اثرها العميق في مختلف الديانات الارضية والسموية المقبلة. لكنها ستختلف عنها بأنها لم تسن لاتباعها طقوساً دينية يمارسونها.

من اشعار البوذيين الاعتبارية ما جاء في ديوان

---

(١) النيرفانا حالة روحانية يحمي فيها كل تفكير في اللاتية الشخصية. فكلمها سرت خطوة في اتكسر نفسك فنوت من. النيرفانا ( ومن طقوسها البرضا) وكلمها حصرت تفكيرك في نفسك ونزواتها بعدت عنها. للاستزادة: انظر المصدر السابق ج ١ ص ٥٩ وما بعدها.

وطريق الحق، لآحد شعرائهم والذي ترجم نماذج منه  
الى العربية الاستاذان احمد امين وزكي نجيب  
محمود<sup>(١)</sup>

ان الكراهية في هذا العالم، لا تمحوها كراهية مثلها  
انما يمحو الكراهية الحب  
ان الخير للعقل ان يخفف حدته  
فالعقل جرح صعب المراس  
ينزع الى ميله، وهواه  
انك لن تجني من الخطيئة ثمرا  
وقد يحسها الحمقى مترعة بالرحيق  
لكن اذا تم للخطيئة نصيحها  
هوى الحمقى باثمهم في هاوية الاسى ..

وتنقل تعاليم بوذا الى اليابان والصين، وتصبح  
مستورا للوعاظ والزهاد والمتصوفين.. وفي بلاد فارس  
يظهر نبي جديد هو زارا دشت اوزردشت<sup>(٢)</sup> وقوام

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٦١

(٢) سبأ الى زرادشت بن يورشت الذي ظهر في زمان كشتاسب  
بن هراسب للملك (بين المئزر والخمس ق م). أبوه من أدريجى  
ولمه من الري واسمها دغثويه زعموا ان الله بعث رسولا بعد ان

الزردشتية: العيش وفق قوانين الطبيعة. فلكي يكون الانسان جزءا سليما في هيكل الكون ينبغي ان يعيش صحيحا معاف. والا يكون ضعيف النفس والجسد. وان يكون ذا ضمير حي، وحس شفاف ليميز الدنس من الطهارة، والحق من الباطل، فيحيا وفق ارادة الله.

ومن هذه العقيدة سيقبض ماني عقيدته الجديدة، وان كان يختلف وزردشت في نظرهما للانسان،

---

بلغ الثلاثة مئتي الناس الى عبادة الله واجتناب الحبالث. من تركان عبيته: ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك مزدانوا من مومنان وعباد لوجود العالم وحصلت التراكيب من امتزاجها، وحشت الصور من التراكيب المختلفة والله هو خالق النور والظلمة وبعدها. وهو واحد لا شريك له ولا ضد. وما الخير والشر الا من امتزاج النور والظلمة ولولا هذا الامتزاج لما كان العالم وما يتلومان ويتفانان الى ان يغلب النور الظلمة... وذلك هو سبب الخلاص. فالنور هو الاصل ووجوده وجود حقيقي اما الظلمة فتابع (كالظل بالنسبة الى الشخص) لوجوده كظل معروف هو زند اوستا الخ. للكل والنحل ج ١ ص ٢٣٩ وما بعدها) لما المسجى الاجتماعي للزردشتية فهو: الدعوة الى الاصلاح واحلال النقاء الروحي حل الطفوس. والانتصار للخير والتطهر الدنس الذي يقرود الى السعادة وقد ظلت الزردشتية سيطرة في ايران حتى الفتح الاسلامي. المؤلف.

وطريقة سلوكه في الحياة وصولاً الى النيرثانا. ماني  
تزهّد، وكان زهداً سليماً. اما زردشت فكان يؤمن  
بالحياة الحرة القويّة الطاهرة، والاحياء الاقوياء  
الاحرار الاطهار، فلم يتزهّد بمعنى الانقطاع عن  
الناس، والكفر بالحياة، وتفضيل الفناء على البقاء..  
بل كان، ضمن الحياة، صراعياً داعياً الى انقاذ  
الانسانية، وخلص الانسان بالتطهر. وغير مطهر  
هو النار التي اصبحت معبودة فيها بعد عند المجوس  
والفرس عامة، بعد ان كانت عند زردشت رمزا..

من اقوال زردشت الاعتبارية:

اياك والكبرياء من اجل كنوزك ومالك  
لأنك تاركها، ولا شك، في نهاية امرك  
اياك والفخر بنسبك وحبك فانما تركن، في  
نهايتك، الى ما قلعتك يداك. واياك والعجب  
بحياتك نفسها.

فان الفناء لاحقك عند آخر المطاف  
وسيعود الى الارض جزؤك الفاني..

وغير بشعراء العبرية الاعتباريين الزاهدين مروراً  
سريماً لكثرتهم في التوراة. حتى ليكاد كل نبي من



انبياء اليهود ان يكون شاعرا.. ما بين حكيم وياك  
وراث وزاهد بالحياة. تكاد الثورة تصبح مجموعة  
رثائيات ويكاثيات تنلد مجد صهيون الغابر، كما  
تبكي الميكل والشتات وويلات الحياة: فمن سفر  
ايوب، ونشيد الاناشيد، الى سفر اشعيا الزاهد  
المتشائم، الى سفر ارميا، الى سفر دانيال صاحب  
«الانشيد» - التعازي، الى مزامير داود (ويسمىها  
العرب الزبور) الى كتاب الأمثال، وسفر الجامعة.  
ويبدو ان واضعه حكيم زاهد، خبير باحوال الدين  
والدنيا، فاقد الأمل من صلاحهما، حيث يطلق هذه  
الصرخة البائسة على لسان ابن داود (سليمان) ملك  
اورشليم:

«باطل الباطل، وكل شيء باطل»!  
ماذا يجني الانسان من جهله تحت الشمس؟  
ما كان سيكون، وما سبق سيعاد عمله  
ولا جديد تحت الشمس..  
كل ما تحت الشمس باطل، وقبض الريح...

ونكتفي بهذا القدر، اذ لم يكن رائدنا من هذا  
الاستعراض السريع لمظاهر ودوافع الزهد عند بعض

الأمم الشرقية، الا انؤكد حقيقة جامعة لخصائص هذه الأمم وهي : النظرة المتقاربة الى الكون والاسان، ومفهوم الالهوية، وموقف المفكرين، والانبياء والرسل، والشعراء من الحياة وقيمتها، والموت وما بعد الموت، وقد اقتبس هذه الافكار وبرمجها كثيرون من فلاسفة اليونان.

حتى اذا انتهينا الى ابي العنابية، وهو الشاعر والمثقف، لم نجد بدءاً زهداً، ولا موقفه من الحياة وسرى، وقد رأينا، ان زهد هذا، مهما قيل فيه، هو حصيلة ثقافة، ونتاج عقيدة، وافتراض طبيعي لحالات وجدان شرقي، في وجدانية وجودية عاشها وعانها انسان وجد نفسه بين فكي الغمياح والموان. . ثم بين فكي الفسق والندم. . وهما حالتان من شأنهما، بل لا بد لهما الا ان تقللنا بهله الشخصية المرفهة، المثقلة بالاوزار والافكار، خارج حلبة الصراع المادي والفكري الى حيث التطهر بالزهد والتأمل والاعتبار شيعة اولئك الحكماء والانبياء والشعراء.

الزهد العربي :

اما العرب في جاهليتهم فقد كان لهم

حكماؤهم وزهادهم ونساكهم وسواحهم ورهبانهم  
فكان لهم شعر زهني كثير كثيرة هؤلاء .

ولقد انتشع زهد الجاهليين بوشاح النسك او  
التنسك . ويستدل زكي مبارك<sup>(١)</sup> على ذلك بلفظي  
«الديان» و«الرباني» الواردين في شعر زهادهم ،  
ويؤيد مبارك رأيه «بصيام الأبد» الذي كان ذائعا في  
الجاهلية . وفي الحديث : «لا صام من صام الأبد» .  
وهذه اشارة واضحة الى مثل هذا الصيام عند نساك  
الجاهلية ، وإلا لما ذكره النبي . وهذا الجاهل حين  
يذكر الشاعر عدي بن زيد العبادي يصفه بأنه «كان  
ربانيا وصاحب كتب» فنحن نعرف عنه انه كان  
نصرانيا ، متأثرا بتعاليم النصرانية التي تدعو الى  
التطحية والزهد والرهبانية . حتى اذا نكب ايام  
النعمان الثالث ، ثم مات في سجنه خنقا ،  
ظهر في شعره هذان المؤثران الكبيران :  
النصرانية والنكبة التي حلت به ، مع انه كان  
قبل ذلك فني فائكا وصاحب مجون .

---

(١) في التصوف الاسلامي د. زكي مبارك ص ٥٣ .

وهكذا تحول شعره، بتحول حياته، الى قصائد في الزهد والاعتبار، يطلقها وجدان ملتحاق وعقل ضحاح على تفاعلة الحياة وهول المصير. . وان الانسان، مهما عظم، ما هو، الالعبة القدر. حتى ولو كان «كسرى الملوك انوشروان» او «سايور قبله، او «ملوك الروم الخ»<sup>(١)</sup>. وهذا حنظلة بن أبي عفراء<sup>(٢)</sup> الشاعر يتسك ويزهّد، بعد ان تنصر، حتى انه بنى ديراً عُرف باسمه. كما يروي صاحب تاريخ بغداد ان هارون المذكور في الآية القرآنية ﴿يا اخت هارون﴾. الخ كان رجلاً صالحاً في بني اسرائيل. والصلاح هنا هو النسك واخت هارون هي مريم ام المسيح.

ومن هؤلاء الزهاد من لبس الصوف، والخرقة، مهيدين بذلك، الى ظهور حركة التصوف الكبرى في الاسلام (في القرنين الثالث والرابع الهجريين) الى جانب التمهيدات والمؤثرات الخارجية الأخرى بالطبع. تلك الحركة التي انقلبت الى حركة فلسفية وطقسية

---

(١) للجان الحديث ج ١ ص ٢٥٥ للطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠

(٢) معجم البلدان.

وحلولية، لها مناضلوها وشهداؤها، ثم انتهت من «حرقة الى خرقه» كما قيل عنها. اي من فلسفة الى شعوذة، وانقطاع تام عن الدنيا. وحسبنا اخيراً ان نذكر من زهاد الجاهلية ونسائها وروائييها ورقة بن نوفل<sup>(١)</sup> وزيد بن عمرو، واميسة بن ابي الصلت، واكثم بن صيفي وقس بن ساعدة، لتؤكد من ان نزعة الزهد كانت موجودة بكثرة في الجاهلية<sup>(٢)</sup> يجسدها هؤلاء وامثالهم قولاً وعملاً.

### جاء في الأغاني:

ان زيد بن عمرو كان من بين  
الذين اعتزلوا عبادة الاوثان، وهم قليل. وامتنع عن  
اكل اضاحيهم. وكان يقول: «يا معشر قریش، ايرسل  
الله قطر السماء. وينبت بقل الأرض، ويخلق  
السائمة فترعى فيه، وتلبسوها لغيره ١٩» والله ما اعلم

(١) ورقة بن نوفل هو ابن عم السيدة خديجة زوج النبي الاولى. وهو احد من اعتزل عبادة الاوثان، وتزهد. وصفه النبي بقوله: «قد ربيته في النمام كان عليه ثياباً بيضا. فقد اظن انه لو كان من النار لم أر عليه الجاني» (الاغانى ٣/ ١١٩) وقد يسمى النبي عن سبه.

(٢) ابر المصاحفة والله الزهد في الشعر العربي ص ٨٠ د. اسامة حاتوني منشورات المكتبة الاهلية بيروت ١٩٦٢

على ظهر الأرض احدا على دين ابراهيم غيري، وله  
كما لورقة شعر روعي زهدي غاية في الندم والتعرق  
وحراة الايمان . .

ولم يكن حال امية بن ابي الصلت بأحسن من  
حال هلمين الزاهدين، فقد قيل عنه: انه نظر في  
الكتب فقراها، ولبس المسوح تعبدًا، وذكر فضائل  
ابراهيم، واسماعيل، والحنفية، وحرم شرب الخمر  
وشك في الاوثان، والتمس الدين، حتى انه طمع في  
النبوّة. لأنه قرأ في الكتب ان نبياً يبعث من العرب،  
فكان يرجو ان يكونه . .

وهناك شعراء جاهليون كثيرون تأثروا بسيرة  
وتعاليم النسل في الجاهلية، وطريقة حياتهم. نعد  
منهم ولا نعددهم: امثال عمرو بن ضحيفة، وزهير  
بن ابي سلمى، والاعشى، هل عنتكه. كان متأثراً  
بذلك لكثرة تردده على رهبان «كعبة نجران» وعبادتي  
الحيرة. وليبد، والممزق العبدي، وعمرو بن الاثم  
التميمي .

وهكذا نرى نزعة الزهد، معتدلاً ومنتطراً،  
تشكل تياراً كبيراً في الجاهلية، وفي حضارات

وفلسفات الامم الشرقية القديمة، مبعثه هذه الحضارات والفلسفات نفسها، مضافة الى واقع كل زاهد، وما كان يعتريه من حالات اليأس والشك حين يتقلب به الدهر من نعيم الى جحيم، ومن شباب الى شيخوخة، فلا يجد امامه سوى التأمل واستجلاء حقائق الحياة من وراء سرايا الخداع فينطق بالحكمة الاعتبارية كما رأينا عند الادباء الحكماء والانبياء والوعاظ ثم بالشعر الزهدي التائب المنيب عند الشعراء الخاطئين، لعلهم بهذا الشعر النشيج يبدئون من روع انفسهم، ويكفرون عنها اثم اوزارها، او يسترون عليها، كما فعل ابو العتاهية احيانا كثيرة...

### الزهد الاسلامي:

كان للقرآن الكريم وتعاليمه اثر بالغ في نفوس المسلمين الأوائل، على صعيد الفكر والروح. فتحولوا من عشق الذات الى عشق المثال، وتخففوا من ريقه المذلة الى ريقه الرفيع الروح. وكان النبي خير مجسد لتلك المثلى والتعاليم الإلهية، حين عاشها أولا، ثم دعا الى ان يعيشها حواريوه واقرباؤه

وصحابه. ومن الواضح في سيرته وفهمه لتلك المثل،  
انه لم يكن مغاليا فيها ولا مقتصداً، لا مفرطاً ولا  
مفرطاً اي انه كان «وسطاً» في كل شيء.

ومن جملة دعواته دعوته الى الوسطية او التوسطاترة  
في القرآن، كما في الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى  
عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا  
مَحْشُورًا﴾ وتارة على لسانه «كتم امة وسطاً» وغير  
الامور اوسطها. من هنا كان الزهد الاسلامي الاول  
لا شطط فيه، فلا صوفية، ولا انقطاع تام عن الدنيا  
فلا رهبانية. . وقد مدح النبي الدنيا بقوله: الدنيا  
حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها ينظر كيف تعملون<sup>(١)</sup>  
كما مدح العمل وذم السؤال والفقر وكان قبل  
البعثة تاجراً. . كل ذلك بمواقف واقوال كثيرة لا مجال  
لذكرها هنا<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٢

(٢) للاستزادة اطلب اقوال النبي واصحابه عن اي اسحقية للجحش  
لابن هريذ، وما جمعه منها الزججني والمبرد، ونقطويه وجعفر بن  
محمد بن حمدان اللوصلي وغيرهم.



وراح المسلمون الأوائل يأخذون من الدنيا حظاً  
 يقيم الأود، ولا يفتن، ويدعون نوافلها وما  
 فيها من بهرج خادع ومتاع القرور فجاء زهدهم  
 عمدياً إيجابياً لا زهداً مانوياً سلبياً زهداً  
 يدعو إلى العمل خير العمل والكسب الحلال،  
 زهداً في الحياة لا عن الحياة.. جاء في القرآن  
 الكريم: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة،  
 ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله  
 اليك<sup>(١)</sup>﴾ والمال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات  
 الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً<sup>(٢)</sup> ومن  
 كان يريد الحياة الدنيا، ثوب إليهم أعمالهم فيها،  
 وهم فيها لا يُخسّون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة  
 إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها، وباطل ما كانوا فيها  
 يعملون<sup>(٣)</sup> يروى عن النبي أن رجلاً جاءه فقال: يا  
 رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبي

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦

(٣) سورة هود الآية ١٥-١٦

الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيها عند الناس يحبك الناس<sup>(١)</sup>. وقيل للنبي: من ازهد الناس في الدنيا. قال: من لم ينس المقابر والبلى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، وعد نفسه مع الموت<sup>(٢)</sup>. . . وعلى هذا، وفي ما لا حصر له من الآيات والاحاديث والمواقف، نجد ان الزهد الاسلامي الاول كان مثالا يحتذى ورمزه النبي، ونهجاً يتبع ومثاله سيرته. جاء زهداً صافياً لا يشوبه كدر الاقتباس من العقائد السالفة، كما لم يأت تحويراً لها او تطويراً إلا ما كان منه متمماً لمكارم الاخلاق الشرقية القديمة، والسنة القديمة القديمة.

### الشعراء والحكماء الزاهدون:

كان لا بد للإسلام الاول ألا يُروج للشعر، فلا يقرب الشعراء. لاسيما وان النبي نفسه قد اجمعه اصداؤه دعوته بأنه شاعر مجنون<sup>(٣)</sup>. . . فرد عليهم

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٦٦

(٢) العقد الفرید ج ٣ ص ١٧١

(٣) ومجنون هنا لا تعني فقدان العقل، بل تعني أن جنأ قد خالط عقله، واوحى له تلك الآيات. . . كما كانوا يأنفون.

الوحي بقوله: « وما علمناه الشعر، وما ينبغي له... »  
 لكن هذا لا يعني الا ينهض من بين المسلمين شعراء  
 متأدبون بأدب النبي، ومتأثرون بروحة الكلم في  
 القرآن الذي يقرب عما ينظّمون، لكنه يسمو عليه  
 سموا روحيا وتعبيرا كبيرا، فيدافعون بقصائدهم  
 الايمانية عن الدعوة الجديدة، والداعي الجديد،  
 ويشيرون بالقيم الجديدة.. كحسان بن ثابت  
 الانصاري، وكعب بن زهير بن أبي سلمى، وجعنة بن  
 السطيب، والحسين بن الحمام ( سيد بني مرة  
 الديياتيين) والنمر بن تولب، وأبي ذؤيب الهذلي. ومن  
 رثاء هذا الاخير لابنائه الخمسة الذين ماتوا في وباء:

واذا المنية انشبت أظفارها  
 الفيت كلّ حميمة لا تنفع  
 والنفس راغبة اذا رغبتهـا  
 واذا نرد الى قليل تقنع

ومعن بن أوس المزني يدخل في شعره الحكمي  
 ما تروحي به الآيات القرآنية من بر بالاقرباء، وصلة  
 بالرحم، والحلم، والتعفف. كقوله:

وفي رحم قلمتُ أظفَارَ ضغنته  
بحلمي عنه، وهو ليس له حلم

وعمرو بن احر الباهلي، يلوذ بربه مستغفرا منييا،  
حين يذمه المرض، فيقول:  
اليك إله الحق ارفع رغبتي  
هناذا، وخوفا ان تطيل ضمانيا  
فان كان برءا فلجعل البرء نعمة  
وان كان قبيهاً فساقت مسا انت قاضيا

اما كعب بن زهير فقد اوفى على الغاية في تصوير  
الجو الاسلامي الذي اشاعه النبي، وخاصة حين  
أطلق في ملحه لامته الشهيرة «بانت سعاد» بعد ان  
قبل النبي منه اسلامه، وخلع عليه بردته. . وقد  
دعيت عصاه هذه بالبردة.

ثم راح كعب يمسح شرکه الماضي بزيت النبوة،  
وهني القرآن، فاذا به، سيرة وشعرا، اقرب ما يكون  
الى زهاد المسلمين الذين تكاثروا، ايام النبي، وبعد  
وفاته، الى أن رقت حاشية الاسلام بعد ان تحول  
المسلمون تدريجياً، نحو الدنيا وما فيها من حكم

وسلطان وطغيان، ولذائد ومتع وشهوات، قتراجع  
الزهد وكادت تطوى تلك الصفحة المشرقة من حياة  
الزاهدين المسلمين الأوائل الذين جمعوا الدين والدنيا  
في إهاب واحد.

### ردة فعل:

وقد حدث ما كان متوقعا من ردة فعل نفسية،  
ففي العصر الأموي، رغم انتشار المجون، والغناء،  
وظهور الغزل الإباحي، وانتشار الفسق والزندقة،  
خاصة في الحواضر كالمدينة ومكة والطائف، وما قرب  
منها كوادي العقيق، ظهرت، مقابل ذلك، موجة  
مضادة مثلتها فئة كبيرة لها وزنها وتأثيرها، هي فئة  
الزهاد والمصلحين الداعين إلى الدين، والعودة إلى  
الينابيع الأولى، من قرآن وصيرة ونهج قويم، فحاربوا  
الفسوق والمروق والزندقة. وكان على رأس هؤلاء  
الحسن البصري، الفقيه الأكبر، الذي كان مدرسة  
بحد ذاته، تدعو المسلمين إلى أصول دينهم وصلاح  
دنياههم، بالبر والتقوى، والعمل الصالح، فكان لهذه  
المدرسة الأثر البالغ في تقويم الأعوجاتج، وسد  
الشرخ الكبير الذي أصاب المسلمين من جراء تفشي

الزندقة، وانحراف الجيل عن الجادة، لكثرة ما أصاب  
من حرية ورخاء، واستمتاع بنعم الفتوح، واستغلال  
لانفتاح السياسة الاموية على اجيال المعارضة لصرفهم  
عن الثورات والثارات.

فجاء الحسن البصري، بسيرته وتعاليمه، يضرب  
المثل الصالح للزهد المتعفف او المتعفف الزاهد،  
داعيا الى تقوى الله ومرضاته، وان ما عنده خير  
وابقى، ومن عظاته: « يا ابن آدم بئ دنيائك بأخركك،  
تربحها جميعا، ولا تبغ أخركك بدنيائك، فتخسرهما  
جميعا. . . يا ابن آدم، اذا رأيت الناس في الحسبي  
فنافسهم فيه، واذا رأيتهم في الشر، فلا تفبطهم به،  
الشواء، ما هنا، قليل، والبقاء هناك، طويل،  
فالوجهاء الوجهاء، والتجلاء التجلاء. . . » او قوله: « ألا  
وان من كان قبلكم كانوا ياتخلون من الدنيا بلاغهم،  
ويؤثرون بالفضل. الا ان هذا الموت، قد أضر الدنيا  
ففضحها، فلا والله ما وجد ذلوب فيها فرحا، فإياكم  
وهذه السبل المضرة. التي جماعها الضلالة، وممادها  
النار، والذي نفس الحسن بيده، ما اصبح في هذه  
القرية مؤمن إلا وقد أصبح مهموماً حزينا، وليس

للمؤمن راحة دون لقاء الله» (١).

وكان الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز أحد كبار المتأثرين بنزعة الزهد الاسلامي لشدة اقتدائه بسيرة الحسن البصري وتعاليمه ومواعظه.

وخلاصة القول في حقيقة الزهد الاسلامي انه كان زهدا إيجابيا صريح المصادر، ومصادره، كما يراها نيكلسون، وراها الكثيرون: القرآن، وسيرة النبي والخلفاء الراشدون، وكبار الصحابة، فلم يداخل هذا الزهد أي مؤثر خارجي، بالرغم من وجود هذا المؤثر على نخوم الدولة الاسلامية الناشئة.

ومن الشعراء الزاهدين زهدا اسلاميا صريحا وإيجابيا: ذو الرمة وصاف الطيعة المشهور، والناطقة الشيباني، وأبو الاسود الدؤلي، والامام الشافعي، سيرة وشعرا.

ومن شعره الزهدي الابتهالي:

---

(١) البيان والتبيين ٨ / ١٥٧ و ٣ / ١٣٢ وما بعدها.

فلما قسا قلبي وضاعت مذاهبي  
 جعلت رجائي نحو عفوكم سلما  
 تعاضمني ذنبي فلما قرنته  
 بعفوكم ربي، كان عفوكم أعظما  
 فلولاكم لم يغدر بأبليس عابد  
 فكيف، وقد أغوى صديق آدماء

لكن هذا الزهد الاسلامي، لم يبق على صفائه،  
 فقد انحرف، عند بعض شعراء العصر الاموي،  
 بشيء من مانية، او بوذية، نتيجة اتساع الفتوح التي  
 جاءت بالموالي من فارس والهند والصين، والروم.  
 وهؤلاء كان منهم الزنديق، والمناوي، والزردشتي،  
 والبوذي. فكان لا بد ان يتأثر بعض شعراء الزهد  
 بمفهوم هؤلاء للكون والطبيعة والله، والخير  
 والشر، والمعاد، كعبد الله بن عبد الاعلى الذي قال  
 عنه صاحب الامالي «انه كان سيء العقيدة» وفي  
 شعره يقف طويلا عند فكرة الفناء كقوله:

يا ويح هذي الارض ما تصنع  
 أكل حي فوقها تصرع



تزرعهم، حتى اذا ما أتوا  
عادت لهم تحصد ما تزرع

كما شاعت عند بعضهم فكرة التوكل، التي  
فهموها اتكالية، ونبدأ للعمل: أي ان الله يرزق  
العباد دون جهاد او سعي. وعلى هذا ففسروا الآية  
«وما من دابة إلا على الله رزقها» تفسيراً خاطئاً، ولم  
يربطوها بآيات أخرى كثيرة تحض على العمل والسعي  
والجهاد في سبيل العيش الكريم.

كما تناسوا سيرة النبي نفسه وأقواله في الحث على  
العمل الشريف مهما كان ضئيلاً. كقوله: «لئن يأخذ  
أحدكم أحبله، ثم يذهب إلى الجبل، فيأتي بحزمة على  
ظهره، فيبيعها، فيأكل، ويتصلق، خير له من أن  
يسأل الناس، أعطوه او منعوه».

### تدخل النبي لدى خلاة الزاهدين:

وحين طفت موجة الزهد الاسلامي الاول،  
وتعاطفت عند كبار الصحابة، وكادت تميل بهم عن  
الزهد المقبول، الى نوع من التصوف المرفوض...  
تدخل النبي ليخفف من غلواء بعضهم

كعبدا لله بن عمر النبي كان يصوم النهار ويقوم الليل،  
ويختم القرآن كله في ليلة<sup>(١)</sup>. وينصحه النبي  
بالتخفيف، فيقول: «يا رسول الله، اني آخذ قوة...»  
فيقول له الرسول: «ان لجسدك عليك حقاً...»  
وعثمان بن مظعون يؤثر التعب الطويل «عل مشغلة  
البيت والزوج» فيردعه ناصحاً.

ويتعلم على النبي ان يتعرف على «كهمس  
الهلالي» حين رجع إليه، لما أصابه من نحول ووهن  
في جسمه، وسأله عن سبب ذلك. فقال: «اني والله ما  
أفطرت بعدك نهرا، ولا نمت ليلاً» فقال النبي: «من  
أمرك ان تغلب نفسك (ثلاث مرات)...»

حتى ان نفراً من مثل هؤلاء، كان يفر من زحمة  
الحياة والأحياء، ويهوى بنفسه ودينه الى الخلوات،  
كمروية بن الزبير التميمي. وصلة بن أشيم، يخرج الى  
المقبرة، ويتعبد فيها حتى يموت. غير ان نفراً آخر من  
الصحابيين والتابعين كان، الى شدة زهده ولبسه  
الصوف، وكثرة تعبد، لا يدع الدنيا وشأنها، والناس

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٩ وما بعدها

وما هم عليه من بلاء وشقاء وظلم، بمعنى انه كان لا يسكت عن ظلم ولا يقر باستبداد. فلا يتحرج من نصيح الخلفاء والولاة، وأحياناً تهديدهم وتحذيرهم من مغبة ظلمهم، واغتصابهم لحقوق الناس. لاسيما في عهد عثمان الذي يحدثنا المسعودي، وابن خلدون، انه كان من أسوأ العهود. فقد استشرى الفساد، وسادت الطبقية، وعظم ثراء الانسباء، والولاة، والقواد، وكان طبيعياً ان تنشأ، مقابل هذه الطبقة المستغلة، طبقة أخرى هي عامة الناس، تعاني من الفقر والشقاء ما تصالي، وان يطلع من بينها شعراء زاهلون، مسوفلون في زهدهم، حيال ما يسرون من فساد، واستئثار وطغيان. لكنهم، كانوا على تزهدهم، لا ينصرفون عن الدنيا وعن الناس نهائياً بل ينبرون الى الطغاة، مهاهم على شأنهم، ينصحونهم ويحذرونهم من مغبة طغيانهم. وكانوا بذلك يعبرون عن الضمير الديني والاجتماعي للأمة، أمثال أبي ذر الغفاري، وعامر بن قيس، وهذا خسار بن ضمرة الكتاني لا يجد بأساً من وصف الامام علي في مجلس معاوية فيقول: «كان، والله، بعيد المدى، شديد القوى، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس

بالليل وظلمته، وكان، والله، غزير العبرة، طويل  
 الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من  
 اللباس ما قصر<sup>(١)</sup> ومن الطعام ما خشن .. « وعمل  
 هذه الروح والثقة يدخل أبو حازم الأعرج على  
 بعض خلفاء بني مروان ناصحا ومحلرا، وابن شبرمة  
 لا تعجبه هذه الحالة من العظمة الزائفة يحيط بها  
 خالد بن عبد الله القسري نفسه، فيتشدد في حضرته  
 قول الشاعر ابن حطان:

فإن كانت الدنيا تحب فانها  
 صحابة صيف عن قليل تقشع

أما المتعطلون بالزهاد، فقد كانوا كثيرا، حتى من  
 الخلفاء. فهذا عبد الملك بن مروان يكي حتى بسل  
 طرف ثوبه، حين قرأ كتاب ذرين حبيش، الذي جاء  
 في آخره: ولا يطعمك، يا أمير المؤمنين، في طول  
 الحياة، ما يظهر من صحتك، فانت اعلم بنفسك،  
 واذكر ما تكلم به الاولون:

---

(١) نشأة التصوف الاسلامي ص ٩٨ وما بعدها. ابراهيم بسولي -  
 دار المعارف مصر ١٩٦٩

إذا الرجال ولدت أولادها  
وبليت من كبر أجسادها  
وجعلت أمقامها تعتادها  
تلك زروع قددنا حصادها

لقد ايقظ هؤلاء الحكماء الزهاد ضمير الحاكم،  
الى حد بعيد، واعطوا من تزهدهم، وترفعهم، عن  
الذنس والدنایا، وبارج الحياة، المثل والقنوة،  
فكانوا مصلحين ثوريين، في نظرنا، وان على تقطيع  
انفاس... . واذا كانوا قد لبسوا الصوف، ولزموا  
المساجد، وأكثروا من ذكر الموت، ودهشة  
الحساب، فلأجل هذه الغاية، دون سواها: غاية  
الاصلاح ومحاربة الفساد.. .

انه الفعل وردة الفعل في كل زمان ومكان،  
وبأساليب كل زمان ومكان.. .

حق إذا استفحل الشر، وسادت الفتن  
والحرروب، واشتجر الخلاف بين سفيانيين ومروانيين  
وعلويين.. . ثم، بعد الثورة العباسية، بين عباسيين  
وفرس وعلويين، وفرق من كل مله ودين.. . رأينا  
الزهد يتقلب تصوفا، اصلاحيا اول الامر، ثم هروبا

وحلوليا، آخر الأمر ويصبح الوعظ بالسيف لا  
بالحوار، والافتناع بالقتل، لا بالحجة . . ويصبح  
التصوف حيلة المفلسين . .

وكمالنازة ترسل أشعتها عبر المحيط  
كان أبو العتاهية، قبل المعري، يرسل  
اشعة فكره، ووجدانه، باتجاه محيط المحيط: الله . .  
لاكفيلسوف، شيمة أبي العلاء، بل كمتأمل .  
أفنته التجارب عبر رحلة الشباب والعذاب . .  
كما أغناه فكره عبر السفر، والمشايخ،  
والقراطيس . .

فتزهد، على طريقته، كما قال الشعر على  
طريقته . .

أرضى الديانين، في توبته، أم لم . .  
المهم أنه «شعر» في أحماقه، بأنه قد أرضى ربّه  
ونفسه . .

عود على بدء

دوافع زهد الشاعر:

هناك، إذن، أسباب كثيرة دفعت إلى الزهد، منها

المباشر، وغير المباشر، وقد ذكرنا بعضها في مطلع هذه الدراسة نتيجة استطراد اضطراري. وما نحن نذكر الباقي:

فشله في حب عتبة التي أخلص لها الحب، لكنها لم تكن على مستوى هذا الحب، كما يجيل الي. فهي جارية من جوارى المهدي، تعيش في بلاط ينظر الى الناس من عل، حتى جواريه.. وكانت حبتها، في رفضه، امام سيدها المهدي: انه بائع جرار، قبيح المنظر(٩) يتكسب بالفضول ويقضي الشاعر المتهيم سنوات من عمره يتفزل بها، ويتدله في حبها، حتى ضاقت به الدنيا، فقرر ان.. يتزهد.. هكذا يرى المسعودي.. لكنه، في نظرننا، مسبب من جملة أسباب، ولعله أقواها لا لوحدها..

ومنهم من قال كالبيستاني: ان الباحث عمل تزهد، حبه هذا النوع من حياة التأمل والعزوف عن حياة كبار الناس، في عزلة «متكبرة أنوف»<sup>(١)</sup>: وميله،

---

(١) حل حد تعبير مجدد دائرة المعارف الاستاذ فؤاد المرام البيستاني. انظر دائرة للمعارف ج ٤ ص ٤٤٢.

أصلاً، إلى حياة الزهاد، والنسك، وتوقه الشديد إلى التعبير عنها في شعره، ربما أراد السبق فيه، والتفرد به، ليذكر به، من بعده (١) وقد اعتمد البستاني، في ذلك، على رواية ابن منظور عن أبي غنيد الطائي قال: جاءني أبو العتاهية. فقال لي: «إن أبا نؤاس لا يخالفك، وقد أحببت أن تسأله ألا يقول في الزهد شيئاً، فإني قد تركت له المديح، والمجاء. والخمر، والرقيق، وما فيه الشعراء، وللزهد شوقي». فبعثت إلى أبي نؤاس، فجاءني، وأخذنا في شأننا، فقلت له: «إن أبا إسحاق (أي أبا العتاهية) من قد هرفت جلالتك، وتقدمه، وقد أحببت أنك لا تقول في الزهد شيئاً. فوجم أبو نؤاس، عند ذلك، وقال: يا أبا غنيد، قد قطعت علي ما كنت أحب أن أبلغه من هذا، ولا أخالف أبا إسحاق في ما رغب إليه!.

ما هذا؟! كأن الشعر سلعة! فهذه للنساء، وهذه للرجال، أو رزق حرام يتقاسمه اللصوص... أو

---

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٤٣



هواية من الهوايات، يوزعها، الهواة الفارغون، عل  
بعضهم، كل لما قدر له، او هو عقد مشبوه بين تاجر  
ومستهلك!! حقا. ان هذا ما اساء الى قيمة  
الشعر العربي القديم، حين اعتبره أهله سلعة، او  
هواية، لا أكثر.. والا فها معنى هذه المقايضة يا ابا  
العتاهية؟

وهناك دافع آخر نراه وجيهاً، في تبرير زهد ابي  
العتاهية، وهو دافع نفسي فقد أراد هذا الفقي المتهتك  
ان يكفر، بالزهد، عن اوزار نفسه، وبالشعر الزهدي  
ينفس فيه عن كآبة دفينة فيه، وضيق بكل اوضاع  
مجتمعه. فقد نشأ فقيراً معدماً، او شبه معدم، متها  
بنسبه، ودينه، وعقيدته، وسلوكه، واستطاع،  
بطموحه وتحمده، ان يصل الى بلاطات الخلفاء ويحميها  
حياة القصور، ويستقطب من حوله، كبار الاصدقاء،  
والمعجبين، من أمراء، وقواد، ومغنين، وملحنين،  
ويحمو بهذا، ذلك العار الذي ألصق به زورا وبهتانا..  
كما استطاع ان يكتنز المال، ويقتني البيوت، والخدم  
والجوارى. وولد البنين والبنات...

لكن هل جسه كان أقوى من وضعه القديم

والجنديد، وعقله الرازح تحت وطأة مزاج سوداوي .  
 انتهيابه الى رفض كل ذلك، حين رأى فيه سرايا  
 خادعا، واحس، رغم النعيم الذي وصل اليه،  
 بالغبن الاجتماعي الفادح، وبجور الحكام وتقلبهم،  
 وفتكهم بأقرب الناس اليهم، وأخلصهم، وقد عانى  
 هو من هذا الجور والتقلب الشيء الكثير . فتكشفت  
 له الدنيا عن عبت مطلق، وتفاهة لا حد لها . وان  
 لا عيش فيها للكريم الشريف، او العامل الحر . .  
 ولعله، لهذا، فكر في تلك العزلة المنشودة، او  
 المخلوطة على الاصح يُغني فيها أحلى ما تلاق اليه من  
 معاني الزهد والاعتبار . فتهدا تلك النفس اللهيفة،  
 وتهدد هاتيك الاعصاب الرقيقة .

اما ان زهده كان سلبيا، بمعنى الهروب التام من  
 الحياة والأحياء، فلا . اذ بالرغم من انه ودع حياة  
 اللهو والمجون والغزل، الى حيث لا رجعة، وحطم  
 كؤوسه، وهجر ملاعب لهوه وعبه، فقد كان يحن  
 اليها، بين الفترة والفترة، لكن، سرعان ما يردع  
 نفسه، ويعود الى الزهد . ويجمع الرواة على انه لم يقل  
 شيئا في الغزل بعد تنسكه . كما يجب ان نلاحظ انه

يفرق بين الحياة والأحياء. فهو يرى الحياة الدنيا شراً كلها. وهذا من تأثير المانوية، التي ترى أن الظلمة أو الشر عنصر غالب في هذه الحياة. والنور أو الخير عنصر مغلوب. وما الإنسان سوى الضحية أو الفريسة لذلك الشر الغلاب والإله القادر. فنرى الشاعر يقف أكثر شعره الزهدي على نصيح «الفريسة» بالألا تغتر بجواه أو مال أو شباب. ما دام الموت بالمرصاد. كما تظهر «جبريته» في قوله بأن الإنسان مجبر على فعل الشر والخير، ولا خيار له فيهما.

خليلي مالي لا تزال مطرقي  
تكون مع الاقدار حسماً من الحتم

وكلنا الجبرية وغلبة الشر، من تعاليم المانوية، كما رأينا، في حين أن الإسلام الصحيح، لا جبرية فيه، ولا شر سائد أو غالب، لا سيما لدى مفكري الإسلام الأحرار: المعتزلة. الذين قالوا بالأختيار، وكانوا على خلاف مع أبي العتاهية، ربما لهذا السبب نفسه، على أنه من المغالاة القول بأن هذه النظرة عند شاعرنا كانت تحدد موقفاً نهائياً له فهو شاعر وليس فيلسوفاً..

اذن، هو مع الأحياء، في زهد، لا مع الحياة،  
مع المظلوم، لا الظالم. القتل لا القاتل...،  
يذم هذه، وينصح ذلك... ولكن متى؟  
أحين عب من رحيقها شبابا، وخاض في عباها  
فاتكا؟ أم حين دامه الهرم، والوهن والخللان، فلم  
يستطع؟!

كثرة شعره في الزهد:

إذا قسنا عدد قصائده، وأراجيزه الزهدية، بعدد  
قصائده في خير الزهد، لفاقت نسبه ثلاثة أرباع  
ديوانه. فما السبب يا ترى؟ هل أصبح هذا الزاهد  
ولا عمل له سوى التنظيم في الزهد؟ تراه انقطع  
للزهد، فلا يجهد عمله سوى آيات الاعتبار، ينظمها  
شعرا حكما زاهدا؟ وهل كل هذا نابغ من أحماق  
تجربته القاسية مع الحياة والوجود، وذوبان روحه في  
استشراف سبل الخلاص؟ أم ماذا؟ الواقع أن تجرئة  
الزهد، ومعاناة حياة الزاهدين، لم تكن حارة، ولا  
عميقة في كيان الشاعر، بقدر ما كان توفقه إلى تصوير  
تلك الحياة، بكل معانيها، ومعطياتها، وأحوالها،  
والرغبة في التخصص، دون سواء، بهذا اللون من

الشعر الذي قل الناظمون فيه، في عصره، رغم كثرة الزهاد يومذاك، هو الدافع الخارجي الحقيقي الذي دفع بأبي العتاهية الى الاكثار من مثالث زهاديته ومثانيها، تارة، وقصائدها الطوال تارة أخرى. ولم يخف هو هذا الدافع، حين طلب من أبي نؤاس ان يترك له النظم في الزهد، كما أسلفنا، فوافقه على ذلك.

وانصافا للواقع، علينا ألا ننكر زهده، او انه لم يمش حياة التزهد والتعشف، كما انكر عليه ذلك، بعض معاصريه، من خصوم وحاسدين، ورجال دين.. . حق ابو العلاء المعروف بذلك الزهد الملتزم في عزلته الطوعية، وبدقة نقله، ورقة حسه، وشفافية حسنه، قد شك في صدق زهد أبي العتاهية، وتنسكه، حين قال في شيء من السخرية:

الله ينقل من شاة  
رتبة بعد رتبة  
ابدى العتاهي نسكا  
وتاب من حب عتبة..

مشيرا الى انه لم يسد نسكا، الا بعد فشله في الحب. . . وهذا ليس انكاراً، على كل حال. والاصفهانى، في حديث رفعه الى غارق المغنى، يربط بين هذا التنسك، وبين ذلك القشل في حب عتبة. قال غارق : «جامنى ابو العتاهية يوما فقال لي: قد عزمت ان اتزود منك يوماً تهبه لي. فمضى تنشط لذلك؟ فقلت: متى شئت، قال: اني أخاف ان تقطع بي. قلت: لا، ولو طلبني الخليفة. فقال: يكون ذلك في غد؟ فقلت أفعل. فلما كان الغد، باكرني رسوله، فحجته، فادخلني بيتاً نظيفاً، فيه فرش نظيف. ثم دها بمائدة وعليها خبز سميد وخل، ويقل، وملح، وجدي مشوي، فأكلنا منها حتى اكتفينا: ثم دها بسمك مشوي. فأكلنا منه شيئاً، أيضاً، ثم دها بفراخ ودجاج وفرايح مشوية، فأكلنا منها حتى اكتفينا. ثم أتونا بحلواء، فأكلنا، و غسلنا ايدينا. ثم جلؤنا بفاكهة وريحان، وألوان من الانبله. فقال لي: اختر ما يصلح لك. فاخترت وشريت. وصب قدحاً ثم قال: عن لي قولي :

أحمد قال لي، ولم يلد ما بي  
الغيب الفتاة عتبة حقاً؟  
فتنفست، ثم قلت نعم حـ  
بأجرى في العروق عرقاً فعرقاً

فغنيته، فشرب اقداحا، وهو يبكي أحر بكاء،  
ثم قال لي: غن لي قولي:

ليس، لمن ليست له حيلة  
موجودة، خير من الصبر  
فغنيته وهو يتحب ويبكي. ثم قال: غن ايضاً  
قولي:

خليلي، مالي لا تزال مضروبي  
تكون مع الاقدار حتماً من الحتم!

فغنيته ايلاه. وما زال يقترح علي كل صوت غني  
به في شعره، وأنا اغنيه، ويشرب ويبكي، حتى  
صار العتمة، فقال لي: أحب ان تصبر حتى ترى ما  
أصنع. فجلست، فأمر ابته وغلّامه، فكسرا كل ما  
كان بين أيدينا من النيذ، وهو يبكي، حتى لم يبق  
من ذلك شيء. ثم نزع ثيابه واغتسل، ولبس ثياب

يباخر من الصوف، ثم صانقني ويكي. و قال:  
 عليك السلام يا حبيبي، وفرحي من الناس كلهم،  
 سلام الفراق الذي لا لقاء بعده. وجعل يكي،  
 ويقول: هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر اهل  
 الدنيا. فظننت انها بعض حماقاته. وانصرفت. فما  
 لقيته زمانا. ثم تشوقته، فاتيته، فاستأذنت عليه.  
 فاذن لي فدخلت، فاذا هو قد أخذ قوصرتين<sup>(١)</sup> وثقب  
 احداهما، وادخل رأسه ويديه فيها، واقامها مقام  
 القميص، وثقب الاخرى، واخرج رجليه منها، واقامها  
 مقام السراويل. فلما رأيته نسيت ما كان عندي من  
 الغم عليه، والوحشة لعشرته، وضحكت ضحكا ما  
 ضحكت مثله قط. فقال لي: من اي شيء تضحك،  
 لا ضحكت ا فقلت اسخن الله عينك ا هذا اي شيء  
 هو؟ من بلغك انه فعل مثل هذا من الانبياء او  
 الزهاد، أو الصحابة، أو التابعين، أو المجانين؟ أنزع  
 عينك هذا يا سخيف العين. فكانه استحي مني...  
 ثم بلغني عنه انه جلس حجاما، فجهدت ان اراه

---

(١) القوصرة: وعاء يرفع فيه التمر من البواري. وتلفظ: قوصرة،  
 وقوصرة. انظر: لسان العرب مادة قَصَرَ.



بتلك الحالة. فلم أره. ثم مرض. فبلغني انه اشتهى ان أضيئه، فأتيته عائداً، فخرج الي رسوله يقول: ان دخلت، جددت لي حزنًا، وتآقت نفسي الى سماعتك، والى ما قد غلبتها عليه، وانا استودعك الله، واعتذر اليك من ترك الالتقاء.. ثم كان آخر مهلي به... (١).

ورواية غارق هذا، على ما فيها من أسلوب الاختلاق، والصنعة الروائية الواضحة، ان صحت، فانما تبدل على ان الرجل دخل في الزهد، وحياة التنسك، من بابها العريض، رغم ما في حركات هذا الدخول من غرابة وهجنة.

وهناك روايات كثيرة عن طريقة زهده، وكلها تجمع على انه تزهد فعلاً. لكن على طريقته الخاصة.. بمعنى انه انقطع عن حياة اللهو، لا عن الحياة كلها، شيمة البوذيين المانويين، فقد ظل ملتصقاً بالناس واعظاً، ورادعاً، ومذكراً، حتى انه عاد بعد الرشيد (وفي أيامه تزهد الشاعر)، الى معايشة ولديه

---

(١) انظر: دائرة المعارف ج ٤ ص ٤٤٢ بيروت

الأمين، ثم المأمون، مادحا وواظلا.. فكيف ينتعون  
 زهدا بأنه زهد بوذي بعيد عن روح الاسلام؟ وقد  
 علمنا ان بوذا تنسك وهجر الملك والسلطان، وانقطع  
 عن الحياة نهائيا.. وترهب.. مطبقا على نفسه تعاليمه  
 التي تقول بالتصوف والانقطاع؟! واذا كان ابو العتاهية  
 قد احجب بصورة بوذا - الملك - الزاهد. وكررها  
 في شعره. كما في قوله:

يا من تشرف بالدنيا وطهرتها  
 ليس التشرف رفع الطين بالطين  
 اذا أردت شريف الناس كلهم  
 فانظر الى ملك في زي مسكين  
 وكررها في قوله:

يا أهل قبور كنت اهدمهم  
 أهل القباب الرخاميات، والغرف  
 يا من تشرف بالدنيا وزنتها  
 حسب الفتي بتقى الرحمان، من شرف  
 او قوله:

من قرع عينا بغنى بلغة  
 يوما بيوم، عاش حشة الملك

أو قوله :

لما حصلت على القناعة لم ازل  
ملكاً، يرى الاكثار كالإقلال  
إذا كان قد اصعب بهذا المثال الرائع للملك الزاهد  
حين يدفع به إيمانه الى قتل النفس وشهوتها الى القوة  
والسلطان ورآه متجسداً في بوذا، فقد رآه متجسداً  
كذلك في المسيح - الملك الذي دعا الى القناعة والعيش  
هيشة الكفاف: «اعطنا خبزنا كفات يومنا» والى الترفع  
والترهب . . حتى الاستشهاد . . فصوره وراح يتغنى  
به . . فلهم معنى هذا ان ابا العتاهية كان بوذي  
المذهب والطريقة والروح في زهده، او نصرانياً في  
تنسكه . .

كل ما هنالك انه، كشاعر، متزهد، تعجبه  
صورة ملك او أمير، من ابناء الملوك كبوذا هجر الملك  
والسلطان طائفاً مختاراً، وعاف، كل ما اتبع له من لذائذ  
الحياة، وتنسك . . او كالمسيح يسوع في فلسطين  
حافياً متنسكاً مبشراً وتلييراً . . فيعكس كل هذه  
الأمثلة الرائعة في شعره كنماذج خالدة، والواعظ  
الزاهد بحاجة الى الأمثال والأمثلة كلها أراد ان يدعم  
موعظته بالحجة الدامغة، والمثل الحي . .

كان عليه، في نظر بعض الباحثين، ان يتخذ مثاله من سيرة السلف الصالح وحده، حتى يصح اسلامه، ويصدق زعمه، وإلا فهو زنديق او بونفي أو منطلق تعصبي ضيق، لا يثبت على محك النقد الادبي الصحيح، في أي حال.

ومهما يكن فليس ابو العتاهية، الشاعر، اول ضحية، ولا آخر ضحية من ضحايا بعض باحثينا الذين ينظرون الى من يندرسون من الادباء والشعراء والفنانين، نظرة سلفية محدودة، وحيانا مشبوهة.. وخطأهم انهم يؤرخون، ولا يحللون، ويعتمدون في تاريخهم، على أقوال شائعة يعتبرونها مسلمة..

اما نحن، فنميل، بعد التحليل، الى اعتبار زعمه حقيقة من حقائق تطور الشاعر، ورشحا من رشوح ثقافته، وطبيعة من طبائمه التي غطى عليها الشباب يوماً. فقد كان. كما علمنا، بعيداً عن الناس لصيقاً بهم في آن. بعيداً بعداً نفسياً وعقلياً، لا بعداً جغرافياً أو مادياً، بمعنى انه كان رافضاً للكثير من عاداتهم، ومفاهيمهم، ومعتقداتهم. ومن كان هذا شأنه، منذ البداية، لا بد ان يدفع به اليأس اخيراً، وبعد تجارب قاسية، في الحب وغير الحب،

معهم الى العودة الى تلك الطبيعة النافرة المستنرة  
الساهرة.. الى ذلك المزاج السوداوي الذي فطر  
عليه.. ولم يكن الفشل في الحب الا تلك الشرارة  
الاولى التي أشعلت حطب شبابه اليابس، واهبت  
وجدانه البالس..

والمؤسف ان القدامى وبعض المعاصرين، لم  
يربطوا، كما يجب، النتائج بأسبابها الحقيقية في قضية  
زهد أبي العتاهية، جماع ما قالوه: لقد فشل في حب  
عتبة، فتنسك. وكان نسكه مزورا.. لأنه قسري، لا  
طوعي.. كما لم ينطلق من منطلق اسلامي ايماني  
صريح. فهو اذن زهد ملغوز.. مانوي.. بوذي!  
وكفى الله المؤمنين شر النقد والتحليل، والانصاف..

في هذا الجو النفسي الذي بدأ يعيشه الشاعر،  
ومع كل ذلك الاستعداد الفطري، وكل تلك الرغبة  
في الزهد، والتطوع لتصوير حياة الزاهدين  
ومواعظهم شعراء، كان لا بد لأبي العتاهية الا يقول  
الشعر الا في الزهد والتنسك والاعتبار، حتى اصبح  
الزهد هو الموضوع الوحيد الاثير لديه حين يتكلم،  
وحين ينظم، وحين يعظ.. ترفده في كل ذلك

شاعرية فياضة وقدرة قادرة على صياغة الكلام العادي شعرا.. . وحرية في التصرف بالقوالب والبحور والقوافي ميزت سائر قصائده وارجيزه، بالسهولة المطلقة، والعفوية التامة.. . حتى بدا وكأنه يتنفس الشعر تنفسا.. . فأي معنى شائع من معاني الحكماء والبلغاء والفلاسفة، وحق العاديين، سرعان ما يتناوله الشاعر فيصبه في قالب نظمي سهل سريع، وإذا به يتجسد حكمة شائعة، وقولا مأثورا.

ولم يكن من الضروري، ان يمر كل هذه المعاني على محك وجدانه، او ان ينبثق من كيانه، وتجربته الخاصة.. . كما سيفعل المتنبي، مثلا، حين كان يفعل بمعانيه المقتبسة، انفعالا شديدا، ثم يقدفها، عبر تجربته العقلية والوجدانية، فاذا بها حارة حميقة، حرارة وعمق وجدانه وعقله .

كان المتنبي، في هذا المجال، كالمولد الكهربائي Générateur. كما سميناه<sup>(١)</sup> وكان ابو العتاهية كالألة الحاسبة، أو العقل الالكتروني (كمبيوتر) يفرز، في

(١) انظر كتابنا: المتنبي: لغة في رجل الصادر عن دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٠

دقة متناهية، كل ما تدخله في جهازه من معلومات، وكل ما نطلبه كتائج وعصلات.. وكما يتميز المولد بالحرارة، واتصال الاشعاع، يتميز الكمبيوتر بالبرودة والانقطاع.. والقلق بالمعلومات تباعا، وبالتائج، في تراكمية كثيفة، طوأن فترة الطلب والعرض!

من هنا كان لا بد لشاعر، هذا شأنه، بل لناظم هذه آله، أن يكثر ويكثر من النظم عند كل طلب، ويعد كل مناسبة وما كان أكثر الطلب، في زمانه، وأكثر المناسبات! كان الناس والمريدون، أمامه، كأنهم أمام ماكينة تعمل آليا، ومجرد «كبة زره تنطلق في الفرز والافراز، بلا هوادة، وينطلق المريدون بالالتقاط والحفظ والتدوين.. كميات هائلة، اذن، من الشعر الزهدي، وغير الزهدي، افرزته تلك الآلة المعجبة.

ولا بد انها جمعت في ديوان.. ولكن اين هو هذا الديوان؟<sup>(١)</sup> وهل منه نبتني الى تلك الكثرة الكاثرة لقصائد الشاعر وارجيزه؟

---

(١) لقد جاء ديوان أبي المتعمية الذي بين ايدينا ناقصا ومبتورا. اولا:-

كلا. فقد ضاع أكثر قصائد أبي العتاهية، في  
مهيب رياح الفتن والحروب التي أصابت الأمة العربية  
عبر تاريخها الطويل، كما ضاع غيرها من نفائس  
التراث..

---

لأنه جمع بعد وفاته. وثالثا: لأن جمعيه لم يوفقوا الى جمع كل ما لاه  
نظراً لتناقصه عبر الزمن، وجراء الفتن والحروب، وموت الرواة  
الأوائل، وثالثا: لأن أبا العتاهية نفسه قد ساعد على ذلك، لأنه،  
بعد أن تزهد، كان يفضل الكثير من قصائد الظهور والمجون والتعديك  
لئلا يؤعظها.

ولم نعرف له هيوثا شبه متكامل إلا على يد ابن عبد البر النمري.  
وهو لا يزال مخطوطا، محفوظا في دار الكتب المصرية رقم ٣٩٣ -  
ادب. وفي المكتبة الشرقية ببيروت. وما قبل هذا لم يكن هناك سوى  
كتب لم يؤلفها أصحابها بل جمع قصائد أبي العتاهية وحدها: ككتاب  
الفهرست والأغاني واختراعات أشاعر الشعراء لطيفوز، وروج  
المذهب وثمر الأدب. والأوراق النخ. وفي عصرنا هذا نجد ابن  
هيوثا ابن مؤلف هو: الأتوار الزاكية في هيوثا أبي العتاهية ط.  
بيروت للأب لويس شيخو، الذي لم يكتب بمخطوطة دار الكتب  
المصرية، بل أضاف ما حثر عليه من أشعار زهدية أخرى لأبي  
العتاهية مبثوثة في ثلثها كتب التلويح والأصب. المؤلف.



وسبب آخر ضيق العديد من قصائد الشاعر،  
واراجيزه نراه في تعصب الرواة ضده .

فكلما شمووا منها رائحة زندقة، او مائوية، او  
تجماً على رجل دين او عفيفة، شطبوها من  
فواكرهم، وكرايسهم . . اذ لا يحفل ان يكون ما  
ضمه الديوان، هو كل ما قاله ابو العتاهية، من  
قصائد، ومقطوعات، وارجيز، وهو من هو، إكتارا،  
ورغبة شديدة في صياغة كل معنى يخطر على باله  
شعراً، حتى كاد ينطق، حين ينطق، بالشعر . . ألم  
يقل يوماً: ان الناس، وليس هو فقط، حين يتكلمون  
ينطقون بالشعر، ولا يدرون . وهو يقصد، ان كلامهم  
هذا، في صوره ، وتفاعليه المختلفة، يأتي موزوناً،  
وايقاعياً، على نحو ما، وهو بالتالي شعر، في نظره، او  
على الاصح : نظم، في نظرنا . . او قول موزون  
وموقع . . فكيف به وهو الشاعر الموهوب،  
والمتخصص، قبل الزهد ويعدّه، بكل فنون القول،  
وموضوعات الشعر، وان كان الغزل اقلها . .

يقول ابو العتاهية( في رواية لابن عساكر) انه قال  
في الزهد عشرين ألف بيت، وبالطبع فقد اضاف

عليها، مثلث ان لم تقل آلاف، بين قوله ذاك، وبين موته، ويقول صاحب الاغانى<sup>(١)</sup> انه قال في ارجوزة واحدة. وهي المسماة بذات الأمثال، اربعة آلاف بيت وهاهي بين ايدينا لم يبق منها سوى خمسين بيتا. او أكثر قليلا، كما يجمع المؤرخون ودولة شعره، ان لنسيم ما قاله قبل الزهد، ما يقارب عدد قصائد الزهد، ان لم يزد عليها. ومعنى هذا بالارقام: ٢٠ ألف بيت في الزهد + ٥٠٠ بيت اضافية على الأقل + ٤٠٠٠ بيت قوام الارجوزة = ٢٤٥٠٠ + ١٧٥٠٠ بيت تقريبا في اغراض شتى قبل الزهد = ٤٢٠٠٠ بيت فيكون مجموع ما قاله على وجه التقريب اثنين واربعين ألف بيت من الشعر. اما ما وصل اليها فلا يتجاوز الخمسة آلاف بيت!! أي فوق العشر بقليل. ونحن لم نورد هذه الاحصائية، لابداء أسفنا على هكذا شعر، هث، مكرود في أكثره، بل لنسجل ظاهرة خطيرة، يؤسف لها حقا، هي ان الكثير من كتب التراث، وأثار الادباء والعلماء، والشعراء خاصة، قد ذهب، لا

(١) الاغانى / ٤ / ٣٥ و ٣٨

(٢) العمدة / ١ / ٢٢١ و ٢٢٢

بفعل الفتن والحروب، والغزو الخارجي فحسب، بل  
 على يد الرواة العرب والمسلمين انفسهم الذين  
 مزقوا واحرقوا ما لا يحجبهم من آراء وعقائد  
 بعض الشعراء والادباء والعلماء والفلاسفة  
 التي ضمنوها اشعارهم وآثارهم.. تماما كما فعل ديوان  
 التفتيش في اسبانيا.. فحرمونا من الزبلة، ربما،  
 وابقوا على الزيد.. والمؤسف ايضا، ان ابا العتاهية  
 نفسه، قد احرق، او مزق، كثيرا من قصائد المجون  
 والغزل، حرصا على تخصيصه في الزهد، ووقاره في  
 حياته الجديدة بعد الخمسين.. وليذهب التاج الاعمق  
 والاجمل: نتاج الشباب بكل زخم التجربة.. الى  
 الجحيم!

مسكين ابو العتاهية، لم يكفه ان جنى عليه  
 الجناة، بعد الممات، فطمسوا معظم آثاره، فجاء هو  
 بمهد لهم الطريق، فيعني حل الاجمل منها، عنيت  
 الالهة قيمة فنية، واهلق في النفوس، من المواظ  
 والنصائح المكرورة الباهتة، التي يجهها الناس من  
 الزاهدين الحقيقيين، فكيف من زاهد كأبي العتاهية،  
 لم يعيشها، كما يجب...

كما يلاحظ ان الخمسة آلاف بيت التي وصلت  
اليها، وهي العشر، لم تخل من انتحال، ودمس، لا سيما  
في الجانب الزهدي من الديوان، فهناك أبيات  
في العتاب، والزهد، قد خلت الديوان، وهي ليست  
للشاعر، بل هي تارة لأبي نواس، وتارة لابن دحان،  
وسواهما. ذلك لان الرواة، قلنسبوها اليه لانسجامها  
مع روحه في التنسك، وطريقته في الوعد، ومن جهة  
ثانية، فقد انتزع من أبي العتاهية، أبيات في الزهد،  
والاعتبار، والحقت، خطأ، بغيره. . حتى ان بعضها  
قد نسب الى شعراء جاهلين كالخطيب وزهير، كتول  
أبي العتاهية:

الحمد لله أني في جوار في

حامي الحقيقة، نفاع وضرا  
لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة  
من الحياء، ولا يخفي على حاي

يقول ابن رشيقي في عمده: «ورواه بعضهم  
للخطيب. وهذا شرف عظيم لأبي العتاهية ان كان  
الشعر له. ولا أشك فيه. » ومثل هذا الأمر نجده في  
ما يرويه الخطيب البغدادي: « واخبرنا عبد الله بن يحيى

السكري . قال : نبأنا جعفر بن محمد بن أحمد بن  
الحكم الواسطي قال : عن ابن عباس أنه قال :  
وجدت جمجمة في الجاهلية مكتوبا عليها :

أُذُنٌ حَيٌّ تَسْمَعِي  
اسْمَعِي ، ثُمَّ عَيِّ وَعَيِّ  
أَنَا رَهْمَنٌ مِّصْرَعِي  
فَأَحْذَرِي مِثْلَ مِصْرَعِي

والخطيب نفسه يروي هذا الشعر، في قصة  
أخرى، فيقول : حدثني عبد العزيز بن علي الوراق  
قال : سمعت عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ  
يقول : سمعت محمد بن مخلد العطار يقول : سمعت  
إسحاق بن إبراهيم البغوي يقول : قرأت على قبر أبي العتاهية :

أُذُنٌ حَيٌّ تَسْمَعِي  
اسْمَعِي ، ثُمَّ عَيِّ وَعَيِّ  
أَنَا رَهْمَنٌ مِّصْرَعِي  
فَأَحْذَرِي مِثْلَ مِصْرَعِي  
عَشَبَتْ تَسْمِينُ حِجَّةُ  
ثُمَّ فَارَقَتْ جَمْعِي

ليس زاد سوى التقى  
فخيلني منه، او دعي..

ويروي ابو الفرج هذه الأبيات الاربعة، مع اختلاف يسير في اللفظ، وان ابا العتاهية أمر ان تكتب على قبره، ورغم ان السدي نسب هذه الأبيات الى شاعر جاهلي هو ابن أبي العتاهية، فان الروايات المتواترة قد اكدت نسبتها الى ابي العتاهية دون سواء، والميزان الفني يرجع هذه النسبة، لكون الأبيات تنسجم وروح ابي العتاهية في الوعظ والوقوف على القبور. ولعل ابن الشاعر قد اراد نسبة هذا الشعر لغير ابيه، من شعراء الجاهلية، لينفي عنه عادة الكتابة على القبر، وهي عادة جاهلية. وفي هذا تشويه لسمعة الأب الذي عرف بالزهد والتسك<sup>(١)</sup> اذ يكفي ما شكك فيه...

ومهما يكن من امر ابي العتاهية، فقد كان غزير

---

(١) لبر الخطية: حياته وشعره من ١٨٧ د. محمد محمود النش.

دار الكتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨

المادة، سيال الموهبة، طويل الباع، في نظم الشر،  
ونثر النظم... ولا تضيئه إضافة أبيات الى ديوانه،  
او حذفها منه، ما دام كذلك الزراع الذي يذهب الى  
الحقل فالحما جمعته المليئة بالبذار، ناثرا منها ذات  
اليمين وذات اليسار، قمحاً صليبا او زؤانا غريبا،  
غير آبه، وقع البذار في التربة الخصيب، ام على  
الصخر الجديب! المهم انه يبنر ويبنر، ولا يكف عن  
البذار...

كثرة الحكمة في شعره:

لاستطيع القول ان الحكمة عند شاعر ما، هي  
دائما وليدة تقبل الشاعر للعقل، والانطلاق، نتيجة  
هذا التقبل، الى صياغة المعاني صياغة عقلانية مضغوطة،  
بحيث تتحول هذه المعاني في قالب تقريرى لتصبح  
وكأنها من النظريات الثابتة التي تعبّر عن موقف  
الشاعر امام الحياة والاحياء، والقيم الاجتماعية  
السائدة..

بل قد تأتي الحكمة نتيجة ضعف التجربة  
الشعورية.. اذ سرعان ما ينقلب شاعر رومسي كابن  
الرومي، الى حكيم.. خاصة في مطولاته، حين تبرد

العاطفة وتضعف التجربة، ويخف الاثين والحنين والوجع،  
في هذه الحالة، تنعدم «الحال» ليطل العقل  
بكل منطقته، ويروده، فيأتي الشعر غشا باردا،  
تتخلله صفتان هما من اهم صفات العقل وافرازاته:  
الحكمة المقبولة، والثرية الجافة، حتى اذا خلا، مثل  
هذا الشعر من الحكمة، وقع الشاعر اسير التفسيرية  
وحدتها. . حيث يموت الشعر. . وهذا بالضبط ما  
ضبط فيه ابن الورمي، في قصائده الطوال، متلبسا. .

وحين رفض ابو نواس مثلاً، الرؤيا العقلية،  
وغاب، لنسيانها، في نشوة اللذة المادية، لا سيما  
في الحمرة حيث يسقط العقل، وتستيقظ كل المداك  
الشعورية. . حينذاك كان شاعرا حقا، وحين صحا،  
لم يكن. . إلا بمقدار. .

والمتنبى انسان عاقل، او عقلاني. . بمعنى انه  
يدرك اكثر مما يتأثر، ويتعبير اصح: انه قادر على ان  
يعقلن تأثره. فخاى رؤياه العقلية، او تهرته العقلية،  
ذات خيرة شعورية للذات يحركها «الأنا» المشبوب،  
فاذا به يصوغ كل هذا حكمة حارة مثيرة، وكأنها  
بكل معانيها رموزها من صنع هذا الشاعر العظيم



الذي استطاع ان يدرك العالم من خلال ذاته التواقة،  
وان يدرك ذاته من خلال العالم، وبكلمة، : امكنه ان  
يجد الصلة التي يتجاوز بها ذاته الى «الآخر» او يتجاوز  
«الآخر» الى ذاته، في معادلة عقلية . شعورية، رجح  
فيها العقل فكانت «الحكمة» ولم تنعدم الذاتية،  
فكانت الاثارة ونحتم بيننا وبينه، الاتصال.

فالحكمة، يحل هذا الاساس ليست فلسفة، لان  
الفلسفة تهدف الى ايجاد النظرية التي تفسر علاقات  
مجموعة من الأشياء، او تحدد موقف الانسان من  
الحياة، والموت، والله . والحكمة لا تفعل ذلك .  
فالشاعر- الحكميم . اذن، ليس فيلسوفا على الاطلاق،  
وحين يحاول الانتقال الى الفلسفة، يسقط كشاعر،  
وقد لا ينجح كفيلسوف، كما فعل ابو العلاء . . اراد  
ذلك، ام لم . . فما هي الحكمة اذن، واين موقعها من  
الشعر؟

الحكمة دون نعت، تصبح رأيا خاصا، او  
منقولا، ونسقط فنيا، اما اذا نعتت «بالمتمعة» او المثيرة  
فهي التي عناها «نيتشه» حين قال انها تلك التي تشير  
الخيال، وتطلقه، مدركا ومثيرا في آن، والخيال الواعي

هو ، في نظره : «ولادة حتمية لانتقاء الارادة بالمقل» حتى اذا سطح هذا الخيال، ووصل الى منطلقة الوهم، بالارادة، والاختيار، انقلب الشاعر العقلاني الحكيم فنانا، وفنانا كبيراً. ذلك ان الفن ما هو الا محصلة، «الاختيار الارادي للوهم» على حد تعبير شوبنهاور. او هو بتفصيل أكثر من بول فاليري: «لا بد ان يتدخل، في الفن»<sup>(١)</sup> شيء آخر غير الحساسة، هو العقل، فالعقل اذن يتدخل، فيتدخل معه التنبؤ السواحي ثم يليه التخيل المثقف، او اللاتلقائي. «فالشاعر الحق، هو الذي لا يكفي بمنهجية العقل، او نظامية التفكير، بل هو الذي تهزنا «لانظامية نظامه» اذا جاز التعبير. »

وبكلام آخر: تهزنا مقدرته على الخروج، بحرية، من سجن العقل، ونظامه. الى فضاء الذات الأرحب، ودنيا الاحساس الأوسع. الى عالم لا متناهِ من المشاعر والتخيلات، والهواجس، اي حين يصبح قادرا على اثارة العقل، ودفعه إلى الحياة في حى المفامرة،

---

(١) الخلق الفني - بول فاليري ١٩٢٧

والمغايبة، والمجرة، .. شيمت. ت. ي. لورنس.  
مثلا، والمتنبي الى حد كبير. .  
اما ابو العتاهية، فلا يرقى الى هذه الذروة من  
الامتياز. . فلما هي « حكمته » وما لونها وطعمها  
ونكهتها؟ ومن اين انطلق بها؟

نبادر الى القول ان ابا العتاهية «الحكيم» هو ابو  
العتاهية النازم. . اي ان قدرته على صياغة الحكمة،  
كقدرته على قول الشعر، سواء بسواء، سهولة سهلة،  
وعفوية مطلقة، ومعايشة للمعاني متصلة ترفده ذاكرة  
قوية وسرعة استدعاء لمخزونها فلم يعد بحاجة إلى  
اعمال فكر أو صناعة بلاغية، كما سيفعل ابونعمان مثلا  
لتأتي حكمته من أحماق الذات والعقل والتجربة،  
يكفي ان يطرح عليه سؤال في الموت  
وما بعد الموت، وفي الانسان، واللذة والقناعة  
وما سواها، .. حتى يتدفق ابو العتاهية بالحكمة  
الجامعة المانعة، في تلقائية ارتجالية بارعة لا يعرفها  
عائق من تفنن او تصنيع، او تفلسف. . .

### قيمتها الفنية:

الا ان هذا لا ينفي عن حكمته، قيمتها الفنية،

فالتلقائية، في قول الشعر، وصياغة الحكمة، مسألة  
يعتبرها النقاد المعاصرون ذات وزن، لا يقل عن وزن  
الشعر المثقل بالتجربة العقلية التي ذكرناها، والتي تميز  
بها شعر أبي تمام والمتنبي، ولورنس، وامثالهما.

يقول بول فاليري: <sup>(١)</sup> « سيظل الناس ينسبون إلى  
التلقائية (في الشعر) قيمة متعالية، وسيظلون، أيضا،  
يتحدثون عن الإلهام، ويعارضونه بالعقل، ولكن دور  
العقل، هو مجرد دور الكائن البشري الذي يراقب  
نشاطا خاصا، ويوجهه، وينمو هذا الدور الذي يلعبه  
العقل في العمل الفني ينمو الثقافة، فكلما ازدادت  
الثقافة ازداد عمل العقل . . . ان الموهبة الحقيقية للفنان  
والخاصة به، هي تلك التي تجعل من هذا (الشعر)  
عملا فنيا يخفي من تلقاء نفسه، وبصورة مستقلة عن  
المشابهة، ان كل عمل فني يمثل شيئا من الكمال . . .  
اني لا احرف الا عددا قليلا من القصائد المؤلفة . . . ألخ»  
أي تلك التي تتطلب جهدا فكريا، وتقنيات لغوية  
وبلاغية، وأبو العتاهية شاعر تلقائي، أي انه لا

---

(١) الخلق الفني: ثلاثيات في الفن ص ٧٠ بول فاليري ترجمة  
بليغ الكسم. منشورات الرواد (بلون تاريخ) دمشق

يؤلف قصائده تأليفاً «تقنيا» بل يطلقها في مسار  
 عفوي. يطول أو يقصر بحسب طول النفس، أو  
 قصره، لا النفس.. فاللغة العتاهية هي الاقتراب  
 حتى الالتصاق من بساطة التعبير الشعبي. وعفوية  
 اللغة المحكية التي لا تهمل حرفاً من طقوس  
 الفصحى، واسلوبه الشعري الفريد، هو هذه  
 البساطة المتناهية في التركيب النحوي والتصوير  
 الفني.. فنحن لا نشعر «برهبة» المثل أمام نص  
 إبداعي، كحالنا أمام أبي تمام أو المتنبي، كما أننا لا  
 نشعر بالسهولة المجانية التي لا تريد أن تقول  
 شيئاً.. هناك في الواقع عمق شفاف، في حكمة أبي  
 العتاهية، وفي شعره بشكل عام،.. بمعنى أنه يريد  
 أن يقول شيئاً، أن يعمقه في ذواتنا، أن يقنعنا بأنه هو  
 أيضاً، يشعر به، في عمق وحرارة وإيمان،.. خاصة  
 مسألة الموت، وعلمية الحياة.. حتى ليسدو وكأنه أسير  
 هذه الحقائق الكونية الصارمة والمحتمة والمؤلمة في  
 آن.. يصبها في حكمة تلوب باستمرار حول علمية الحياة  
 والوجود مرصفاً بها إلى الفلسفة العلائقية وحكمة أبي الطيب،  
 ففي هاتين ظلال وانعكاسات كثيرة، من أبي العتاهية، لا  
 مجال لتفصيلها هنا..

ثم ان التلقائية تبقى محتفظة بحرارة انبثاقها، فلا  
تبرد بفعل العقل، ولا بفعل سيطرة الصياغة عليها  
بله التعقيد. وهذا ما يبقى جوهرها فوق المحك...  
واذا كانت حكمه المبثوثة في ثنايا موضوعات  
شعره غير الزهدي هي نتاج ثقافة متعددة الروافد، او  
انها حصيلة التمازج ذهني، فان الحكمة في شعره  
الزهدي هي انبثاق وجداني ايماني يلملمه العقل  
بسرعة مذهلة، ويقذفه دون ان يتفعل به، الى  
الناس المعنيين مباشرة به، والذين يتتظرونه بفارغ  
الصبر، يقذفه اليهم، وفي مناسباتهم، مرتجلا احسانا،  
حارا وطازجا، في كل حين، تماما كما كان يفعل عمر  
بن ابي ربيعة، حين يلح عليه المغنون والمغنيات،  
وخاصمة الملحنون « فيفرك » لهم غزلا رقيقا على  
الاشطار والمجزوات الملائمة لأوتارهم وحناجرهم،  
والمنسجمة مع الجو النساقي المعطر..

شعر ابي العنابية الزهدي، وأكثره حكم، يرد  
العالم من نهاياته، النبع من مصبه، والنهار من  
غروبه، يطل على اجسادنا من جراحاتنا، ولا ينثر  
الزهور على جثتنا، بل يزيدنا جراحا معلنا نهاية العالم  
وهبثة الحياة، ولعنة القدر.. ربما لنبقى معه  
« أحياء » متألين..

أما الإنسان - الضحية فيتناوله كعابر سبيل،  
كمسافر مكره على السفر فيزوده ببعض النصائح،  
والمحاذير، عليها تنفعه في تضادي وحوش الغاب قبل  
أن يصل إلى القلب الثاني من الدرب الكبرى ..

نماذج من حكمته :

أ - في الغزل :

رأيت الهوى جمر النضام، غير أنه  
حل جرة في صدر صاحبه حلوا  
وما من حبيب نال ممن يحبه  
هوى صادقاً، إلا يداخله زهو  
إن المحب إذا شطت منازل  
عن الحبيب، بكى، أو حن، أو ذكرا  
من كان يزعم أن سيكتم حبه  
أو يستطيع السر، فهو كذوب  
الحب أغلب للنفوذ بقهره  
من أن يرى للسر، فيه، نصيب  
أني لأجهل ذا هوى متحفظاً  
لم تنهمه أصين وقلوب

ب - في العتاب .

قال يعاتب صديقه عمرو بن مسعدة :

بلوتُ اخا للناس ، يا عمرو كلهم  
وجريت حتى احكمتني تجاريسي  
فلم أر ودّ الناس الا رضاهم  
فمن يَزر ، او يَغضب ، فليس بصاحبي

وقال يعاتب صديقا آخر هو أحمد بن يوسف :

ألم تر ان الفخر يرجى له الغنى  
وأن الغنى يُغشى عليه من الفقر  
إن الصديق يلج في غشيانه  
لصديقه فيمِل من غشيانه  
واقبل ما يلقى الغنى ثقلا هل  
اخوانه ، ما كف عن اخوانه  
واذا تواء عن صيانة نفسه  
رجل ، تنقص واستخف بشانه

ج - في الهجاء :

حتى في الهجاء نراه قلدا على صياغة الحكمة .  
هجا يوما حميد الطوسي المتكبر ، منكرا عليه تكبره



وتيهه، فجاء انكاره في قالب الحكمة والموعظة غير  
المباشرة:

للموت أبناء بهم  
ما شئت من صلف وتيه  
وكانني بالموت قد  
دارت رحاه على بنيه.

د- في المديح:

وتسري الحكمة العتاهية في كل باب، فهي في  
المديح كما هي في التهنيت، وفي الهجاء: آراء وخواطر  
مصروفة صياغة الحكمة الشائعة.

قال من قصيدة في مدح الرشيد:

ومن ذا يفوت الموت، والموت مُدرك  
كذا، لم يفت هارون ضدً ينافره

ووقف مرة، وهو شيخ، على باب الرشيد،  
فانشد مادحاً، وقد بدأ بالحكمة:

ليس للانسان إلا ما رزق  
أستمع الله، . بالله أثق

الى آخر الأبيات. وهي في تعداد خصال الرشيد،

ومزاياء. أعجب بها أحد الهاشميين الذين سمعوه وهو  
ينشدها، فقال: إن الاعناق لتقطع دون هذا  
الطبع..

حدث اسحاق الموصلي، قال: «قال لي الرشيد  
يوما: بأي شيء يتحدث الناس؟ قلت: يتحدثون  
بأنك تقبض على البرامكة، وتولي الفضل ابن الربيع  
الوزارة. فغضب وصلاح بي: وما أنت وذلك، وبلك؟  
فأمسكت، فلما كان بعد أيام دعا بنا. فكان أول  
شيء غنيت:»

إذا نحن صدقناك  
فطر عندك الصدق  
طلبنا النفع بالباطل  
أذ لم ينفع الحق  
فلو قلم صب في  
هواه الصبر والرفق  
لقدمت على الناس  
ولكن الهوى رزق

والآيات لأبي العتاهية. قال: فضحك الرشيد.  
وقال: يا اسحاق قد صرت حقودا..»

ولكن الهوى رزقاً! حكمة بالغة اجاد شاعرنا  
سبكها، حين ضغطها في ثلاث كلمات.. وحملها  
كثيراً من ظلاله النفسية ونجوتها.

روي انه لما قتل الخليفة الأمين، ارسلت زينة  
الى أبي العتاهية، بأن يقول عل لسانها أبياتاً تستعطف  
بها المأمون. فأرسل اليها الأبيات التالية متوجة  
بحكمة تختصر اقدار الناس.

ألا ان صرف الدهر يذني ويعد  
ويمنع بالآلاف، طوراً، وينفذ  
أصابني برب الدهر مني يذني يذني  
فسلمت بالاقدار، والله أحد  
أقول لرب الدهر إن ذهبت يذني  
فقد بقيت والحمد لله لي يذني  
وله في طباع الناس وشلوذها حكمة تختصر مقالة  
براسها:

مالي أرى الأبصار لي جافية  
لم تلتفت مني الى ناحية  
لا ينظر الناس الى المبطل  
وانما الناس مع العافية

تأمل: وإنما الناس مع العافية.. ما أقربها الى القلب، واسرعها الى التغفل في الوجدان، بصرف النظر عن الحقيقة المقررة فيها.. ولعلك تشعر معي بوجع الشاعر وروحه الشعبية المتساعة.. فقد استطاع بمثل هذه السهولة، والمباشرة، ان ينطق بلسان تلك الفئة الواسعة من الشعب التي ترى كل يوم وتسمع ما يصرف الانظار عنها، ويتركها سادرة في شقائها. فالناس اتباع القوي الصحيح، أعداء الضعيف المريض في كل زمان ومكان.. صدقت يا أبا اسحاق: وإنما الناس مع العافية.. مع حق القوة، لا مع قوة الحق.. كما قال يوسا بليز باسكال<sup>(١)</sup> ويبقى لحكمتك هذه وهجها ودفئها، وعافيتها..

حدث موسى بن عبد الملك، قال: كان أحمد بن يوسف، أبو جعفر، صديقا لأبي العتاهية، فلما خدم المأمون، وخص به، رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب اليه:

---

(١) وهل الاصح قال ما منته: حين عجز لسان عن تثبيت قوة المندالة، في الارض، ثبت عدالة القوة!

ابا جعفر إن الشريف يشينه  
تأبيه على الأخلاء في الوفر  
فلن نلت تيهما بالذي نلت من غنى  
فلن غنائى في التجميل والصبر

ولا ننسى ما للحكمة في معرض العتاب من  
فوق ربيع، ونبل في المخاطبة والمعاتبة، من جهة،  
وقدرة فنية في نقل الخاص الى العام، وجعله موجهاً  
لكل انسان، وموعظة غير مباشرة لكل من القى  
السمع وهو شهيد... ومن هنا بلاغة الحكمة، أي  
حكمة، حين تَسُنُّ من خلال التجربة العقلية  
والشعورية، نظاماً للمجتمع وللعالم... نظاماً مبرمجاً في  
كلمات... يؤمن به الشاعر، ويدعو اليه في  
امبراطورية الاحلام الموهومة... وعالم المثل  
المرصودة... وقد وقف الشاعر من خلال هذه الحكمة،  
موقف عز وكرامة، طاملاً على ابو العتاهية من أمثال  
هذا الصديق، ومن الخلفاء والأمراء الشيء الكثير.  
فهم لا يستقرون على حال حيال خلصاتهم، تارة  
مودة وإخلاء، وتارة غدر وملل ونفور، يشكون في  
كل شيء، ولا يطمثون الى شيء... مدحهم الشاعر

بما فيهم وما ليس فيهم، فيطربون. أما إن صدقهم  
القول، شكوا، أو ملوا، أو نفروا، أو فتكوا.

وقد ضاق أبو العتاهية بهذه الحالة، واكتوى  
بنارها. استمع إليه يصورهم أحسن تصوير وأصدق  
في حكمة جامعة تصلح بل تصح أن تكون درساً لكل  
طاغية:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا  
فلا يكن لك في أكنافهم ظل

ماذا ترجي لقوم أن همو غضبوا  
جاروا عليك، وإن أرضيتهم ملوا

وإن نصحت لهم ظنوك تخدعهم  
وامتثلوك كما يستثقل الكل<sup>(١)</sup>

فاستغن بالله عن أبوابهم كرما  
أن الوقوف على أبوابهم ذل

ها هنا صدق نفسي، وصدق فني، وراءهما انسان

---

(١) الكل: قفا اليف والسكين غير الحاد. والكل: للصية  
(لسان العرب مادة تكل)

مثقل بالتجربة، متعب بضرورة العيش مع مثل هؤلاء  
الاصنام البشرية. . لصيق بهم بقلوبهم بعيد، بروحه،  
عنهم. حق اذا تخفف من طغيانهم، ولجأ الى حريته،  
انطلق على رسله في فضحهم، والتطهر، بالشعر،  
منهم، عائدا الى براءاته الاولى، عائذا بنفسه ويره من  
شيطانهم. رموز الشر هؤلاء سوف يصبحون في  
حسن المثني ووجدانه: أحق بضرب الرأس من  
وثن.

فلا اعاشر من املاكهم أحدا  
الا احق بضرب الرأس من وثن  
وهكذا يتحرر الشاعران من عبادة الاوثان الى  
عبادة الحرية والهجرة: هذا يتحرر بالتوبة، ويهاجر الى  
الله عبر الناس، فينتقل من الآلي المتناهي الى  
اللامتناهي. وذلك يتحرر من «الأخر» في رحلته  
البعيدة نحو المجهول عبر «الأناء الطاغية»، ينميها  
بالتجربة، والمعاناة والمعاناة، والرفض والتحدي  
والإلتزام. . ويغنيها بأنشيد، الكرامة والمجد  
والاستعلاء. . متجاوزاً على الدنيا، جامعاً الزمان  
والمكان بين قبضات سيفه، وقلمه، وامنياته وأناه. .

فكان بهذا، شاعرا، قبل ان يكون بذلك. والفرق بين الشاعرين في هذا المجال، هو الفرق بين الممتين، والتجريتين، ومدى الامتلاء «بالأنا».. ابو العتاهية متقطع الانفاس، يترجع بين الرفض والقبول، بين الانتهاء واللاإنهاء. والمتني رافض ابدا، حتى وهو في صميم قبوله...

ابو العتاهية مغاير بقدر، ممتليء بأناء بقدر. اما المتني فعنوان للتقحم والمغايرة، ورمز للامتلاء والاستعلاء.. ابو العتاهية الشاعر: يحترق التجربة والضخالة، اذا صحت المقارنة، لمساح الخطاطرة، قليل الخطر.. والمتني: ثماني الفوص والاصالة ذاتي التجربة.. فبين الاثنين، اذن، شأو كبير..

#### ٥- في الرثاء:

وهنا تبدو الحكمة حاضرة، ذائبة ذوب وجدان الشاعر امام الموت والميتين، واكثر رثاءه كان في اصدقائه الأوفياء أو أبناء وبنات اصدقائه. فكان طبعيا ان يجمي هذا الرثاء حزنا صادقا ينطلق من تجربة حقيقية عاشها الشاعر مع قيم الصديق وشماله قبل الموت. ومع هذه القيم المفقودة يفقد من كان



يجسدها بحياها. - فاذا به كعادته، يسارع الى ايراد  
الحكمة من خلال تصوير الفلجعة المزدوجة: فلجعة  
فقد الصديق وفجيعته به، فكأن من مات ليس  
الصديق وحده، بل الشاعر ايضا، والناس اجمعين. ويزيد من  
«متعة الحكمة» هنا انها مزيج من تجربتين: شعورية وعقلية.  
وأنها «لذيذة» كذلك، لأنها غير نفعية على  
الاطلاق ( الا اذا كانت في رثاء ابنة الرشيد). وهي  
الى هذا كله. صادقة صدقا اخلاقيا، وصدقا فنيا.  
موضوعها: التناهي - الانسان، ومجالها  
اللامتناهي - الله - وراء دھومة الموت والقيم ..

جاء في امالي الزجاني: قال ابو العباس  
(المبرد): ولما دفن علي بن ثابت، وكان من اخلص  
اصدقاء ابي التماهي، وقف شاعرنا على قبره، وردد  
هذه الأبيات:

ألا من لي بآنسك يا اخيا  
ومن لي ان أبثك ما لدا  
طوتك خطوب دهرك بعد نشر  
كذلك خطوبه، نشرأوطيا

فلو نشرت قواك لي للنبايا  
 شكوت اليك ما صنعت إليا  
 بكيترك يا علي بلمع عيني  
 فما اغنى البكاء عليك شيئا  
 كفى حزن بدفنتك، ثم اني  
 نفقت تراب قبرك من يديا  
 وكانت في حياتك لي عظات  
 فانت اليوم، اوعظ منك حيا

ومهما قيل في شأن هذه المقطوعة من انه اخذ  
 معانيها من كلام الفلاسفة ( اليونان )، لما احضروا  
 نابوت الاسكندر ( من بلاد فارس )، وقد اخرج  
 جثمانه ليدفن، فقال احدهم: كان الملك امس اهيب  
 منه اليوم، وهو اليوم اوعظ منه امس، وقال آخر:  
 سكنت حركة الملك في لذاته، وقد حركنا اليوم في  
 سكونه حزنا لفقد، الى آخر المعطيات التي اطلقها  
 الفلاسفة وكانوا اثني عشر ومعهم ام الاسكندر.

مهما قيل بهذا الشأن، فان الشاعر استطاع ان  
 يصوغ معاني الفلاسفة، ولا سيما في البيت الأخير،

صياغة الحكمة البالغة، وإن يسغ عليها من روحه  
وامسويه الخاص ما جعلها نحيما من جديد، حارة  
مؤثرة، حرارة المناسبة، ومؤثرات الفاجعة. وكأنها  
أصبحت ملكا له. . وانها لكذلك ، في المفهوم الفني  
لصناعة الشعر. اذ ليست القضية في الصنيع  
الشعري، كما هو معلوم اليوم، قضية معان جديدة أو  
غير جديدة، سبق اليها أو لم يسبق. فالمعاني - كما  
يقول الجاحظ - مطروحة في الطريق يلتقطها البر  
والفاجر الخ « والمهم ان يلتقطها الاديب او الشاعر  
بملقطه السحري. فاذا انفعل بها واث فيها من  
وجدانه وكيانه ونجربته ويمث فيها روحا جديدة،  
وألبسها لباسا خاصا. خرجت من بين اصابعه، وقد  
شحنت بكهربائية الشاعر الخاصة، وطلاله وصوره  
وذوقه، وهذا ما عناه توفيق الحكيم، في مسألة الخلق  
في الادب<sup>(١)</sup> حين قال: ليس الابتكار في الادب  
والفن، ان تطرق موضوعا لم يسبقك اليه سابق، ولا  
ان تعثر على فكرة لم تخطر على بال غيرك، انما

---

(١) انظر كتاب: في الادب لتوفيق الحكيم ص ١٠ مكتبة دار  
الادب ومطبعها، بدون تاريخ - القاهرة

الابتكار الادبي والفني، هو ان تتناول الفكرة التي قد تكون مألوفة للناس، او ان تعالج الموضوع الذي كاد يمل بين اصابع السابقين، فاذا هو يضيء بين يديك، بروح من عنلك، فالكثير من موضوعات شكسبير نقل عن بوكاشيو، ويحضر ملاهي مولير عن سكارون، ولوب ده فيجا وضوته ( في قصة فاوست ) عن مارلو، ومآسي راسين عن مآسي ايرويلنس، وسوفوكل... الى ان يقول: « الفن ليس في الهيكل، انه في الثوب. الفن هو الثوب الجديد الذي يلبسه الفنان للهيكل القديم. انه الكسوة المتجددة لكعبة لا تتغير. » وواضح ان الثوب هنا، هو الاسلوب الخاص وطريقة تناول الموضوع، او المعنى القديم. تناولوا جديدا بروح جديدة وصياغة خاصة بالاديب او الشاعر او الفنان..

وهذه المراثاة التي القاها ابو العتاهية على قبر صديقه ( او ابنه؟ )<sup>(١)</sup> قد أخذت معانيها من اقوال

---

(١) روى كثيرون هذه الأبيات على انها في رثاء ابن له. كما روي ان نقلها هو ابنه وليس هو..

الفلاسفة اليونان. لكن الروح التي فيها، والدمعة  
الساخنة التي ذرفت في ثناياها هي روح ابي العتاهية،  
ودمعه، ولوعته، سكبت في نشيج مأساوي جنائزي  
تخاص به.. وحين نسمعه ينشدنا، او حين نلقيها  
عنه، ننسى تماما مصدر معانيها، ولا نعود نسمع ونرى  
الا ابا العتاهية دون سواه..

والشأن نفسه مع كبار الفنانين المبدعين الذين لم  
يلجأوا الى ابتكار المعاني الجديدة، او الموضوعات  
المستحدثة. بل لجأوا الى انفسهم  
ومواهبهم، وتجاريم، وثقافتهم، حين واجهوا هذه المعاني  
والموضوعات القديمة او المتداولة، مواجهة الخالق حين  
اراد خلق الكون والانسان. فلم يقل لاشيء: كن  
فكان.. بل قال للشيء (للمادة) كولي، فكان  
الوجود، وللطين: كن، فكان الانسان..

على ان ابا العتاهية لم يكن من النوع الذي يبدع  
دائما، او يفعل بمعانيه، بل كان من ذلك النوع الذي  
يسرع في قول الشعر، والتقاط المعاني عن غيره التقاطا  
باردا، ينشلها تشلا كاللصوص، فيغير صياغتها تغييرا  
يسيرا، ثم يدعيها لنفسه، في اغلب الأحيان! لم يكن

الشعر عنده عملية صعبة، ولا ولادة قيصرية.. كان، في أكثره، نظماً هيناً ليناً لا غناء فيه، ولا جهد، ولا تجربة، ما عدا بعض الفلذات التي اشربنا اليها.. حتى وقع في الابتذال والتكرار والسطحية في معظم شعره. كما وقع في السرقة.. مع انه كان بغنى عن كل ذلك، لولجنا الى موهبته وثقافته، واعطى نفسه الوقت الكافي، ولم يستجب للسوقة وعامة الناس، وبعض الصبية في شوارع الكوفة وبغداد، يداعبهم بالشعر، او بالأحرى يلعبهم ببعض الاحجيات الشعرية والفلذكات المنظومة..

جاء في الأغاني<sup>(١)</sup> اجتاز ابو العتاهية في اول امره وعلى ظهره قفص فيه فخار، يدور به في الكوفة ويبيع منه، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر، ويتناشدونه، فسلم، ووضع القفص عن ظهره، ثم قال: يا فتيان: اراكم تتذاكرون الشعر. فأقول شيئاً منه، فتجيزونه. فان فعلتم، فلكم عشرة دراهم، وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم، فهزؤوا منه،

---

(١) الأغاني بيروت ج ٤ ص ١٠ وما بعدها

وسخروا به، وقالوا نعم، قال: لا بد ان يشتري  
 بأحد القمرين رطباً يؤكل، فانه قمار  
 حاصل، وجعل رهنه تحت يد أحدهم. ففعلوا. فقال:  
 اجيزوا: ساكني الأجداث انتم... وجعل بينه وبينهم  
 وقتاً، في ذلك الموضع، اذا بلغت الشمس، ولم يجيزوا  
 البيت، غرموا الخطر<sup>(١)</sup>، وجعل يزا بهم، ونجمه:  
 مثلنا بالأمس كنتم  
 ليت شعري ما صنعتم  
 اربحتم، ام خسرتم؟! وهي قصيدة طويلة في  
 شعره. (٢)

ومضي هكذا، في اوائل امره، يتندر بالشعر.  
 ويدخله في باب الالهيات والاجميات، والمطارحات  
 بين المتأدبين والفارسيين من الناس، ويضع  
 النظريات... نعم يضع النظريات... فقد قال بأن الناس

---

(١) الخطر: رهن القمار

(٢) لكن هذه القصيدة الطويلة لم نعث عليها في الديوان إنما شارحو  
 الديوان فيذكرون مطلعها هذا، ويقولون عنده ويكتفون بالقول انها قصيدة  
 طويلة.

كلهم شعراء حين يتكلمون ويتخاطبون ؛ لكن  
تتقصهم القدرة على تأليفه وترتيبه ، لأنهم لا يدرون  
انهم يقولون شعرا . قال ابو العتاهية : أكثر الناس  
يتكلمون بالشعر . وهم لا يعلمون . ولو احسنوا  
تأليفه كانوا شعراء كلهم ، قال : فبينما نحن  
كذلك (١) اذ قال رجل لآخر عليه مسح ( مسح ) :  
يا صاحب المسح تبيع المسحا ؟ فقال ابو العتاهية : هذا  
من ذلك ، ألم تسمعه يقول : يا صاحب المسح تبيع  
المسحا ، قد قال شعرا وهو لا يعلم . ثم قال الرجل :  
تعال ان كنت تريد الربحا . فقال ابو العتاهية : وقد  
اجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم .

وهو يقصد بالشعر النظم على بحر وقافية . لأن  
كلمة « شعرا » كانت تطلق على المنظوم من كلام  
العرب ، ايا كان موضوعه ، وكانت قيمته ، وقد  
سموه « شعرا » لأنهم « شعروا » به متأخرين ، كما يقول  
الباقلاني . شعروا بأن تلك الاساجيع المتطورة والمنظومات  
والاناشيد الجاهلية ما هي سوى شيء آخر

---

(١) اغاني دار الكتب ج ٤ ص ٤١



غير النثر.. ثم عمدوا الى ضبطه ووضع  
بحوره وتفاعيله.. فهم، اذن، لم يكونوا ليفرقوا بين  
نظم وشعر، كما نفرق نحن اليوم، اذ ثتان بين هذه  
الالاعيب التي يسميها ابو العتاهية شعرا، وبين الشعر  
الذي نفهمه نحن اليوم..

ومن مسطحاته وألغيه، ما جاء في الأغاني:  
همُ القاضي بمت يطرب  
قال القاضي لما عُوتِبَ  
ما في الدنيا إلا مذنبٌ  
هذا علر القاضي واقلب

وقلَّب: عذر: غير بالتصحيح. وقد روى  
المسعودي هذين البيتين، ووزنهما «فعلن»  
اربع مرات. قال: «ابو العتاهية خرج فيهما من  
العروض» وقد قال قوم: ان العرب لم تقل على وزن  
هذا الشعر، ولا ذكره الخليل، ولا غيره من  
العروضيين<sup>(١)</sup> وطبعي ان يتصرف ابو العتاهية  
بالاعاريض والبحور، تصرف المالك بملكه، لأنه كان

---

(١) الديوان ص ٣٠١

يشعر في قرارة نفسه بأنه اكبر من قواعد الخليل  
والأخفش. وإن موهبته كفيّلة بسد النقص العروضي،  
إن وقع، روى الصولي قال: إن أبا العتاهية سئل:  
هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض،  
وله أوزان لا تلخل في العروض. »

حبذا لو توسع في هذه «الأنبا الأكبر».. إذن  
لكانت لنا مدرسة عتاهية في تجديد الشعر العربي  
وأطلاقه من عقالة سبقت زمن الموشحات بقرون..  
ولكن أبا العتاهية اكتفى بالقليل منها مراعاة للعصر،  
ورضوخا لقواعد نقاد الشعر يومذاك.. حبه أنه كان  
من تلك النخبة المجددة كبشار وأبي نواس، التي  
حاولت الرفض، ولم تخضع، رفضت بعض القيم  
البالية في المجتمع، ورفضت بعض مفاهيم الشعر  
وقيود النقاد اللغويين وأرادت التحرر من شعر القصور  
ومافيه من كذب وتملق، وذلك.. فأنزلوا الشعر من  
عليائه المصطنعة.. إلى الطبقات الشعبية الدنيا، إلى  
دجاجات رباب... وخان الإصبهاني وخمار اليهودي في  
بغداد. وصبية الكوفة..

فكانوا، بهذا، الوجه التجديدي المشرق لشعر

طالما تخط في قوائمه وموضوعاته حتى كاد يموت . .  
وحسب أبي العتاهية انه جرى، في شعره، مجرى  
الطبع، وتحدى باختراعه، وتوليده، ما اصطلح عليه  
الشعراء الكلاسيكيون، والعروضيون والنقاد اللغويون  
من قوالب جاملة، تحد من حرية الشاعر، ونمت  
تجربته، ليصبح أسير القوافي والبحور المفروضة،  
والصناعات البلاغية المرسومة . .

ولو ارتفع شاعرنا بالتلقائية، قليلا، وسما بشعره  
من الابتذال والمجانبة، لأضاف الى عبقريته، وليونة  
شعره، ورفضه، وشعبية روحه، فنا الى فن، ولكان  
أشعر أهل زمانه ( بالأذن من معاصريه: بشار وابي  
نواس، وابن الرومي، والبحتري . . )

### و- حكمته في الزهد:

سنشهد، هنا، حكمة عتاهية ارقى وابلغ في  
النفس، نظرا لأن شعره الزهدي يتميز، عن سائر  
فنون شعره، بالجدية، واللوعة والندم، واللهفة، الى  
جانب قسط لا بأس به من التأمل، واستشراق  
حقائق الوجود والموجود، والمجتمع والحياة، والموت،  
والمصير، في روحية شرقية اشراقية تكاد تبلغ مراتب

الصوفية . . روحية هي مزيج من قيم الشرق القديم،  
وتعاليمه، وعقائده، والقيم الجديدة التي دعا إليها  
الاسلام، وعاشها النبي، والصحابة الاولون، مضافا الى كل  
ذلك، خصوصية تفسج بها «أنا» الشاعر المتابعة التي  
اسرقت في تعاليها، واوغلت في غلواء  
مجونها وعيها، وراحت، أخيرا ان تثيب الى  
الله في توبة نصوح، (ربما؟) او شبه نصوح؟ كما  
ارادت ان تتميز بهذا اللون الشرقي الروحاني من  
الشعر الاعتباري الذي طالما عبر به حكماء الشرق  
عن خلجات قلوبهم الحاشمة، وعقولهم المتألمة  
الحيرى، امام الله، والكون، والانسان، والمصير،  
فجاء شعرهم الزهدي والصوفي، كما جاء نثرهم،  
ابتهالات احتفالية، ولا اروع! وتراويل دينية ولا  
امتع! بدأ من المصريين، والفنيقيين، والصينيين،  
والهنود، والايروانيين، كما رأينا وانتهاء بالعبرانيين  
والعرب عبر التوراة والزبور<sup>(١)</sup> والانجيل والقرآن: سجل

---

(١) الزبور جمع. ومعناها الكتب وفي الآية: وثبتها داود زبوراً اي  
كتبها. والزبور: بفتح الزاي: الكتب للزبور: المكتوب وقد غلب الزبور  
على مصحف داود وكل كتاب زبور. قال تعالى: ولقد كتبنا في الزبور من  
بعد الذكر. قال أبو هريرة: الزبور ما اتزل على داود من بعد الذكر،

حافل بروائع العبر، وجوامع الكلم، في صلوات  
خاشعة، وترتيلات تأسر القلب، وتميز الضمير .

من على هذا الأساس انطلق ابو العتاهية في  
ترتيلاته وابتهالاته وحفظاته . فلم يكن بدهاً شعره  
الزهدى، ولا زهده، بالرغم مما قيل في هذا الزهد  
من تبذير وتهجين . اما لماذا أكثر من هذا الشعر،  
فالامر أصبح واضحاً كل الوضوح، ونلمه في اربعة :

اولاً :لأنه انقطع عن قول الشعر في مسائل  
الموضوعات لا سيما الغزل والحكمة والمجاء .

ثانياً :لأنه تفرغ للنظم في الزهد، واختص به،  
وكان وحيداً فيه، كما لا نوها .

ثالثاً :لأن حياة الزهد، وكره الحياة ( لا  
الاحياء )كانا في اصل طبعه ومزاجه . وموحيات  
ثقافته . حتى الاحياء الذين احبهم، وعاش معهم لم  
يكن يجب فيهم تهاوتهم وتخاذلهم، واستسلامهم  
للهوان والظغيان، وكثيراً من هذاتهم وعقائدهم، اما

---

من بعد التوراة . وقرأ سعيد بن جبلة في الزبور بضم الزاي . وقال :  
الزبور : التوراة والانجيل . والقرآن الخ . (لسان العرب مادة زُبر)

الحكام، فقد وجد نفسه مرغبا على معايشتهم طلباً  
للشهرة، والمجد والمال، رغم ما يراه فيهم من ظلم  
وجور، وقتك بالصدق عند اول هفوة .

رابعاً: ردة الفعل كانت عنده قوية بحيث هاله ما  
ارتكب من خطيئات، وما تحمله من اوزار، ووقع فيه  
من رذائل ومواقف، طيلة حياته اللاهية المأجنة.

فكان طبيعياً ان يتردد الى ينابيع جبلته وحقيقته  
مزاجه، يستوحىها الخلاص مما هو فيه، وسرعان ما  
اوحى اليه بتلك العظات الزاجرة والحكم البالغة  
بمشي على هديها في طريق الرشاد  
والصحو والروحي، داعياً الناس، من ثم، الى تمثلها  
والاعتناظ بها، وبكثرة المواقف، وكثرة التأمل في  
احواله واحوال الناس كثرت الحكمة في زهدياته .  
وبسبب انفعاله الى حد ما بما يقوله من جهة، وسهولة  
ضغط التجربة الوجدانية عنده، وسرعة التقاطه لمعاني  
الزهد والورع والتنسك، جاءت حكمه تلك وكأنها  
مسلمات يتوج بها نظام السلوك الاول في رأيه .

اما المناسبات اليومية، والحوادث الطارئة فما كان  
أكثرها في حياته، ما يكاد يمر بها او يسمع عنها، حتى

يسارع الى صياغتها شعرا تأملياً زاجراً حتى انه كان قادراً على تحويل المضحك منها مبكياً . كان يرى المأساة من خلال الملهاة ، لأنه كان في واقع حاله ، يعيش المأساة الإنسانية نفسها ، شيمة كبار الشعراء التأملين الرومنسيين في الغرب .

وهذا واحد منهم ألفرد ده ميديه يشف من اعماق وجدانه :

« يا لها من ملهاة تلك التي لا تكاد نضحكنها حتى تبكيننا . ! وهو يعني ، بالطبع . ملهاة الحياة : بدءاً ومتهاها .. »

عاش ميديه الحياة بالأم المادي والمعنوي ، وعاشها ابو العتاهية بالندم .. والندم أشد ايلاسا من الألم المادي نفسه .

نماذج من حكمه الذهبية :

ألا اننا كلنا بئس

واي بني آدم خالداً  
ويلوهم كان من ربه

وكل الى ربه عائد

فيا عجباً! كيف يُعصى الإله  
 أم كيف يحمله الجاحد  
 وفي كل شيء له آية  
 تدل على أنه واحد..

يخالجني امام هذه الابتهالات، شعور أكيد بان  
 تهمة الزندقة، او الزهد المزور كانت تهمة باطلة، فهي  
 هو وبشيء من الاصرار الايماني والايمان المصير  
 يقول بالمعاد، ويوم الحساب، والوجدانية. الى جانب  
 ما في هذه الايات من سهولة في ضغط التجربة تحت  
 تأثير الشعور العميق بهول المصير، والايمان المطلق  
 بالله، وقدرته، وكلها مزايا فنية لا تتاح للشعراء  
 المهجناء او الزاهدين الدخلاء..

### امام الموت دائماً:

ولكثر ما وقف ابو العتاهية امام الموت  
 متعظاً واعظاً، وشامتاً من أولئك الغافلين  
 عنه، الساذجين في شهواتهم، ومصوراً لرهبته



وهوله، حتى كدنا ان نسميه شاعر الموت، في  
الاقليم، كما هو « كينس » الانكليزي شاعر الموت  
في المحبثين. وسيكون ابو العلاء مجسدا لهذا  
الاتجاه تجسيدا حياتيا ووجدانيا تاما. .

لا بد من الموت:

تعلقت بآمال طوال، أي آمال  
واقبلت على الدنيا ملحاً، أي إقبال  
أما هذا! تجهز لفراق الأهل والمال  
فلا بد من الموت على حال من الحال

وفي نبرته دائماً سمة الزجر والمخاطبة من فوق لمن  
تناسى حقيقة الموت، والناس كلهم يتناسون، وحتى  
لهم ان يتناسوا، ولا هلكوا بأساً وقنوطاً، فيأتي ابو  
العتامة يصحهم ويتر فيهم مشاعرهم الدفينة تجاه  
الموت، رحمة بهم لا نقمة عليهم ولا تشفياً. وفي  
البيت الأخير كثير من التفريرية في قالب حكمة  
متداولة. لكن المهم فيها هو عنصر الاثارة،  
وتلك « اللابد » وما في حتميتها من رهبة تجعل  
الانسان رهين حاجته الابدية: الموت!!

## الذكر الحسن:

مكن يبقى له مكن؟  
ما هذا يؤذن الزمن  
نحن في دار يخبرنا  
ببلاها، ناطق لسن  
دار سوء لم يلم فرح  
لامرئ فيها، ولا حزن  
في سبيل الله انفسنا  
كلنا بالوت مرتين  
كل نفس عند ميتتها  
حظها من مالها الكفن  
ان مال المرء ليس له  
منه، الا ذكره الحسن

هنا يسمو اسلويه بلاغياً فيترجع بين غيبة  
وخطاب، وتلؤل وجواب، ثم يراوح بين الانسيابية  
اللفوية الباردة في التقاط الالفاظ الملائمة، وبين  
الثرية التقريرية، ولولا القافية والوزن، لما احسنا  
اننا نقرأ شعراً، او قولاً منظوماً، وكل ما وفق اليه

الشاعر هنا، لين البحر ( فهو من المديد ) ورقة  
القافية، وكلاهما ينسجم والروح الزهدية في حال  
تسليمها، ونظرتها بعين اللوعة والألم، الى طبيعة هذه  
إلدار ( الدنيا )، ومع ذلك الموقف الإنصافي امام تفاهة  
العيش، وضآلة الانسان، وتفاهة جهده وجهاده في  
الحياة . . ولا ننسى ما للاستفهام الإنكاري من بلاغة خطابية  
توجت مطلع الأبيات، وما تنطوي عليه من أسى وأسف  
ولوعة. اما البيت الثاني ففيه أنسنة وتشخيص للموت ذلك  
الخطيب اللسن الذي يعلن في كل لحظة ان هذه  
الدنيا دار سوء. لا تدوم على حال. وهي شر كلها وباطل  
الباطيل !.

وهكذا يبرز الموت بكل نوابه ورموزه:  
العدم - العيب - لاجدوى اكتناز المال . .  
الألم - الفناء - ضيق المجال - تقطع الأمال . . يبرز  
مصوراً، في زهديات شاعرنا بكل رهبة ورعونته  
ويشكل شبه دائم وحاضر في دائرة المركز . .

رغم كل هذا فلا نرى الشاعر يدعو الى ترك  
العمل وهجر الحياة الى عزلة تامة، كما سيفعل ابو

العلاء، ولا إلى قطع النسل بعلم الزواج. وتحريم أكل اللحم. فها هو يدعو إلى العمل والسعي والتجارة، على عكس ما اتهمه به البعض، حتى بعد تزهدده و قعد للحجامة، على حد تعبير الأغاني. ورغم شبح الموت الذي خيم على فكره ونفسه وشعره، فقد دعا إلى القناعة والرضى بالقليل:

ما شرف المرء كالقناعة  
والصبر على كل حادث يقع  
لم يزل القانعون اشرفنا  
يا جذا القانعون ما قنعوا

وكأنه يحس انه لم يكن من القانعين، أيام غلواء شبابه، وهو في حرصه على جمع المال، وانتهاب اللذات. قد تجاوز حد القانعين . . فوعظ الناس بها وحثهم عليها. ولا اظن الا انه كان يعظ نفسه ويظهرها. حتى اذا حرره الزهد من الجشع والطمع، هتف قائلاً:

لما حصلت على القناعة لم أزل  
ملكاً يرى الاكثار كالإقلال

ان القناعة بالكفاف هي الفنى  
والفقر عين الفقر بالاموال

ولعل المتنبي اعجب بهذا الشطر الثاني من البيت  
الاخير، فصاغه صياغة جليدة، ارقى وافضل حين  
هتف:

ومن ينفق الايام في جمع ماله  
خافة فقر، فالذي فعل الفقر

وطالما رأينا يكرر هذا المعنى في مواضعه وكأنه  
تكفير عما وقع هو فيه، وتطهير لنفسه من اوضاره  
واوزاره..

وخير ما أعجبني في شعره الاعتباري، ذاك الذي  
كان يتوجه به الى الحكام واعظا وزاجرا بطريقة لينة  
غير مباشرة ولكنها، ملفوفة.. وكثيرا ما كانوا يتبهون  
الى قصده فيتعظون، وحيانا، يكون.. كما فعل  
المهدي حين وقف ابو العتاهية يرثي ابنة الخليفة  
بقوله:

ما للجديدين لا يبل اختلافهما  
وكل غصن جديد فيها بالـ  
يا من سلا عن حبيب بعد ميتته  
كم بعد موتك ايضاً عنك من سالـ  
كأن كل نعيم انت ذائقه  
من لذة العيش يحكي لمحة الالـ  
لا تلعبن بك الدنيا وانت ترى  
ما شئت من عبر فيها وأمثالـ  
ما حيلة الموت الا كل صالحة  
او، لا، فما حيلة فيها لمحتالـ

فلم يملك المهدي الا دمعة ساخنة يرسلها صلـ  
خليفه . .

وكذلك يوم قدم الشاعر على المأمون،  
فاستشدته حاشية الخليفة وفيها العلماء والادباء . فقال  
ملغزاً، بالنزير، مغلفاً بالموعظة، مؤطراً كل ذلك  
بالحكمة العامة:

الم تر بيت الدهر في كل ساعة  
له عارض فيه المنية تلمع

ايا باي الدنيا لغيرك تبتي  
 ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع  
 أرى المرء وثاباً على كل فرصة  
 وللمرء يوماً، لا محالة، مصرع  
 تبارك من لا يملك الملك غيره  
 متى تنقضي حاجات من ليس يشبع  
 واي امرئ في غاية، ليس نفسه  
 الى غاية اخرى سواها تطلع!<sup>١</sup>  
 واجمع الخاضعون على انه له كان طبع ابي  
 العتاهية بجزالة لفظ: لكان اشعر الناس<sup>(١)</sup> والجدير  
 بالتوقف عنده، هو ان ابا العتاهية كثيراً ما توجه  
 بحكمته الواضحة الى هؤلاء الملوك. فهم في نظره  
 رأس الظلم وقمة الطغيان، وخفاة ان يقع، مرة  
 اخرى، ضحية جورهم ارفع بالمناسبة الخاصة،  
 ونجاوز الاسماء، الى العام اللاحق، فكان ابلغ.  
 ومن آرائه المصوغة حكماً ان الملك لا يدوم لأحد،  
 وان الدنيا دول: ملوك تأتي بعد ملوك:

---

(١) اغني بيروت ١٧ / ٤

ما اختلف الليل والنهار ولا  
دارت نجوم السماء في الفلك  
الا لنقل السلطان عن ملك  
قد انقضى ملكه، الى ملك

قيل ان هذين البيتين السائرين قد اعجبا ملك  
الروم ( أيام الرشيد )<sup>(١)</sup> يوم قدم رسول القيصر الى  
بغداد، فاستمع الى ابي العتاهية، وكان يحسن  
العربية، فمضى الى ملكه وذكره له، فطلبه القيصر  
من الرشيد، فرفض الشاعر الذهاب. قيل: وعلم  
الرشيد ان ملك الروم أمر بأن يكتب البيتان المذكوران  
على باب مدنته<sup>(٢)</sup> دليلا على اعجابه بهما.

انه حقد قديم يعتمل في نفسه، على ذوي  
السلطان والجاه، ذلك لأن الاذى لم يأتيه الا منهم،  
واذا كان قد استطاع ان يرد الاذى يأتيه من قبل  
الفئات الاخرى من شعراء حسد، كوابية وامثاله، الا  
انه لم يستطع ان يرد اذى الملوك والأمراء الذين اهتموه

---

(١) لا اعنه نظور فقد كان ارمن... بل لعنه قسطنطين السادس

(٢٧٨٠م)

(٢) اخفى دار الكتب ج ٤ ص ١٠٥.



في نسه وأدبه وإسلامه، وانطوى على آسى عميق.  
 وكره دفين لهم. وما كان تقربه منهم الا طلباً للشهرة  
 والمال. كما كان يكره فيهم الكبرياء والصلف  
 والاستعلاء.

يقول في القاسم بن الرشيد دون ان يصرح  
 باسمه:

- يتيه ابن آدم في جهله  
 كأن رعى النية لا تطحنه  
 وقال فيه ايضاً :

حقى متى ذر التيه في تيهه  
 اصلحه الله وعافاه

يتيه اهل التيه من جهلهم  
 وهم يموتون وان تاهوا  
 من طلب المزل يبقى به  
 فان عز المرء تسقوا

---

(١) الخاقاني دهر الكتب ج ٤ ص ١٠٥

لم يحتصم بالله من خلقه  
من ليس يرجوه ويخشاه

الا ترى معي تلك الظلال الضبية التي تحيط  
بكل معنى من معاني هذه الموعظة الحكيمة؟ فهو يث  
فيها احق ما في نفسه من معانك لقيها من أمثال  
القاسم وابيه وجده . حتى اصبح في « حكيمته »  
ومواعظه نليرا لهم ، وليس مجرد واعظ ، ولا إنحال  
عامة الشعب قد احدث زهدياته ومواعظه الا لهذا  
السبب . . فالشعب ، يحس بالمعاناة ، ويلوق مرارة الفقر  
والحرمان والظلم كل يوم ، ، لكنه لا يستطيع ان يعبر  
عن احساسه هذا ، في كثير من الأحيان ، حتى اذا  
نهض من بين صفوفه شاعر شعبي المنطلق كشاعرنا ،  
ذاق مثلهم الوانا من القهر والإذلال ، وداح ، في  
زهدياته ، يعظ ويحذر ، ويتقم ، سارعوا الى فهمه  
وتصديقه ، والاعجاب به ، لا على انه واعظ من وعاظ  
المساجد ، وما كان أكثرهم ! بل على انه منهم  
ومثلهم ، استطاع ان بنفس عنهم ويتقم لهم ، كذا ،  
فعلوا مع عترة ، في سيرته ، حين خلقوا منه ، فيها ،  
بطلا اسطوريا ، خاصة تلك النهاية الرهيبة التي

احبوا، عبر واضعي السيرة، ان يلقاها بطلهم، لكي  
يتساوى في وهمهم مجد البطل. التاريخي المقام  
للمنصرية، والعاشق الشريف، مع ايجاد ابطال  
الاساطير. . والشعب، في اعماقه، يهوى امثال هؤلاء  
الابطال، حتى اذا رأى قيمه التي يؤمن بها، محقة في  
انسان، هتف له، وخلده. فكيف اذا كان شاعرا  
يجس بما يجس ويفنيه؟! وانأرى، في التحليل  
الاخير لنفسية ابي العتاهية، المضطهد، المتهم،  
المشهود، شاعرا اراد ان يتقم عن اضطهده،  
واتهموه، فوجه سياطه اللاذعة، وسخريته المبطنة نحو  
هؤلاء. . ولم يجد متقيا جبارا حتمي الارادة، الا  
الموت، فراح يحاربهم به، في مواعظه  
الملغوزة، فأبكاهم وعزاهم. . وانتصر. .

والا فلا قيمة لأكثر مواعظه وحكمه المكرورة،  
ان لم تكن « طالعة » من اعماق نفس مثقلة بهموم  
الوجع من كل نوع. وما لم يكن فيها، بهذا المقدار  
من الصديق النفسي، يسقط في نظري، ولا يعود  
يصلح الا لتراتيل الدواويز. . او لتعليم الصبية  
المراهقين. . ماهيك بالصدق الفني المفقود. .

ومما يؤكد ما نذهب اليه من تخصصه بملاحقة  
الملوك والخلفاء انه يلاحقهم بعد موتهم ليتخذ منهم  
عبرة لغيرهم وسيله إلى ذلك دائماً الرمز عن طريق  
الحكمة بموت المهدي، فيقول:

كل نطاح من الدهر  
له يوم نطوح  
لست بالباقي ولوعه  
رث، ما حمر نوح  
فعل نفسك نوح، ان كـ  
نت لا بد، تنوح

وكما أبكى المهدي الأب ابكى الرشيد الإبن حين  
طلب منه ان يعظه. روى الصولي ان محمد بن ابي  
العتاهية. قال: قال الرشيد لأبي: عظمي. فقال له:  
اخافك. فقال له: انت آمن. فانشده:  
لاتأمن الموت في طرف ولا نفس  
إذا تسترت بالابواب والحرس.  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة  
لكل مدرع مني و مترمر.  
ترجو النجاة ولم نسلك طريقها  
ان السفينة لا تجري على اليبس

قال : فبكى الرشيد حتى بل كفه<sup>(١)</sup>

ولا ننس تلك الصورة الرائعة : ان السفينة لا  
تجري على اليس. التي ابدعها شاعرنا للنجاة من  
التارحين صور النجاة سفينة. ولكي ينجو المخطيء  
عليه ان يبحر بسفينة نجاته على الماء لا على اليابسة طبعاً.

ومع حبه للمأمون كان شاعرنا يرى ان الحقيقة  
احب اليه منه، وانها يجب ان تقال، ولكن في اطار  
مهذب. طلب منه المأمون يوماً ان ينشده احسن ما  
قاله في الموت. فانشده :

أنسك عحك المماتا  
فطلبت في الدنيا الثباتا  
أؤثقت بالدنيا وأز.  
ت ترى جماعتها شتاتا  
يا من رأى أبوه. في  
من قد رأى كاتا فماتا

---

(١) الاصح ١٠٦ / ٤

هل فيها لبك عبرة  
أم غلت أن لك انفلاتا!  
سائر حكمه:

وطبيعي الا تقتصر حكمته في زهدياته على الملوك  
والخلفاء وعلى التذكير بالموت والتخفف من مغريات  
الحياة، بل نرى له خطرات تأملية في الانسان،  
والمجتمع، وما يسوده من قيم، وعادات، ونسظم،  
يقف منها موقفا ثابتا يصوغه في كلمات، او جوامع  
كلم، لا نكاد نحس انها منظومة لولا قافيتها، وإيقاع  
لفظي لا تتبع موسيقاه من موسيقى نفس الشاعر،  
بقدر ما تتبع من مقننة فائقة في حسن وصف  
الكلمات ورصها بسهولة ويسر حرف بهما. وكأنه ذلك  
البناء الماهر يجيد وضع المداميك بازاء بعضها، فلا  
تحيد قيد شعرة، واذا بكل هذه السهولة تخلق خلقا  
فنيا مستساغا، ننسى معه ثريته وتقريرته، تحت تأثير  
تلك الروح الوهلي التي قلعت لنا هذا الخلق السوي  
في شكل رأي او حكمه، نحدد موقف الشاعر وتبث  
بعض وجعه الروحي من اولئك الناس، وتلك القيم،  
كما نحدد اطار رفضه النهائي لها ولهم، بعد ان كان

قبل زهله، متقددا لها ولهم، او متكيفا معها ومعهم؛  
إرواء لثبهم الشبابي لللهوف.

### حكمته الاجتماعية :

ونريد بها تلك الموصظة الشعرية الملمومة التي لا  
تعمل من قائلها خطيئا، بل حكيما، يعظ برفق  
واختصار، ولا يطيل فيزعج.

اتصوره بعضا من مقراط، يمشي في اسواق  
الكوفة ويقداد، متقددا وواعظا ونائر حكم، وأحكام،  
والطلاب حولها يساجلون او يسجلون، او  
يعتبرون. . لم لا؟ والسوق رائجة، والطلاب كثيرون،  
والطلب أكثر من العرض، او هو بعض من استاذ  
الحسن البصري، يعظ وينصح وينذر والفرق بينهما ان  
هذا يحاط بهالة ايمان قلبي ومهابة علوية، وابو  
العتاهية محروم منها. .

ثم انه خير باحوال الناس والمجتمع، يعرف  
حاجات النفس الانسانية، كما يعرف ما انطوت عليه  
من جشع وطمع وزيف وحب للسلطان. بشكل  
عام، ويعرف كذلك حاجات هؤلاء العامة المنكوبين

بكثير من الولايات والظلم الاجتماعي . فتراه يضرب ،  
في حكمه ، واحكامه ، على الوتر الحساس فيهم .

امام حاجات النفس الانسانية يتحدث عن  
طبائعها التي لا تتغير : كالحرص والطمع وحب  
الشهرة ، والاقبال على الحياة ، والنفور من الموت ،  
وحب الرئاسة والجاه والتمادي في الملذات .

وعن ناس عصره : يتحدث عن الظلم والغلاء ، وتقلب  
الدهر والزمن ، والناس رؤساء ومرؤوسين ، كما يتحدث عن  
الصدق والعدالة ، والقناعة ، والتوبة ، والعلم . والزهد  
بالدنيا ، بيهرجها على الأخص ، وما لدى الآخرين من متاع  
زائل . . قاصدا من كل ذلك التكفير عن نفسه والتخفيف عن  
هؤلاء المساكين ، حين يعبر عما في نفوسهم ،  
ووجداناتهم ، فاصاب بزهدياته الحكمية ، او حكمه  
الزاهلة ، ضابطين ، وحقق رغبتين . واحسب ان هذا  
فضيلة من فضائل زهد حيث اتخذه سبيلا الى التوجيه  
والتعليم . . ومهما يكن فان مثل هذا الزهد لا يعتبر  
سليبا . وماذا نتظر من شاعر زهد ، واعتزل ، الا ان  
نراه بهذا الوجه ، التعليمي العابس بعض الشيء ،  
المتجهم امام هول ما ينلر به . . واذا ما انصرف عنه



المقبلون على الحياة، فلسوف يقبل عليه التائبون  
اليائسون، يدغدغ لهم آمالهم فيها وراء الحياة، بعد أن  
فقدوا أمل البقاء مع الحياة.. ويتخفف عنهم أهوال  
المصير، قدر الامكان. وليس افضل من الشعر، وشعر  
الحكمة خاصة، سبيل خلاص، واداة اعتبار لمن كان  
في حالة التقبل والاقبال...

فلن كان هول الموت لاشي مبعده  
لما كان علينا الموت واحتقر الامر  
ولكنه حشر ونشر، وجنة

ونار، وما قد يستطيل به الخبر  
وحين يحاور اهل القبور، والقبور نفسها، فما ذاك  
الا لحن المقبلين عليها للتزود لما بعدها بالتقوى  
والبر، والعمل الصالح، وتطهير النفس ومحصنها  
بالعفة والقناعة والصدق والوفاء والحب.. لان  
معكوس ذلك، في نظره، يكثف وحشة القبر، ويثقل  
خطي السامي الى عفوريه.. يقول في جامع المال:

يا جامع المال منذ كان، غدا  
بأني على ما جمعته الحشر  
او- ولا تفرح بمال تقتنيه

فاتك فيه معكوس المراد

ولكن ابا العتامة، هنا، يعطى الناس، وينسى نفسه.. فقد تواترت الاخبار على انه كان من احرص الناس على المال الى درجة حرمان هبده له كان يقوم بخدمته رفض يوم ان يعطيه .خفيفاً واحداً أكثر من الرغيفين المقرين له يومياً، رغم الوساطات التي لجأ اليها هذا العبد المسكين، فاحتل ومات، لكننا في فصل سابق، بررنا له هذا الحرص من الناحيتين النفسية والظرفية..

ومهما يكن، فان الوعاظ في كل زمان ومكان، شعراء كانوا ام خطباء ينسون انفسهم حين يعطون غيرهم الا قلة قليلة من اولئك الربانيين الملتزمين الكبار.

من هنا نخف، في نظرناء قيمة مثل هذا الشعر، او تلك الخطب، من الناحية الاخلاقية على الأقل لعدم مصداقيته، وعدم اثباته عن قلب قائله ووجدانه، وحقيقة موقفه من الحياة والمجتمع.. ليصبح كلاماً مجانياً عارياً..

اما متى يرتفع شعر الزهد، فنيا، الى مراتب الشعر الحقيقي الخالد فمسألة تتعلق بالموهبة القادرة

على تجاوز الوعظ والتعليم الى مرحلة تحديد المواقف  
وتصوير النفس الزاهدة وقد ادركت حقائق الأشياء  
وقبضت على سر الكون او كادت...

فمضى استطاع الشاعر ان يدخل معها رحاب  
المراثي الانسانية، والوقوف بذهول امام هول المصير،  
وسخرية امام عبث الوجود وعلمية الحياة<sup>(١)</sup> وتفاهة

---

(١) ولقصد بالعلمية هنا عدم جدوى الحياة كمرحلة نجاهد فيها  
وبرق النقاء والدموع من أجل تحقيق ما سمي بالسعادة فلذا بنا انخرا،  
امام السراب... والموت. اما العلمية الفلسفية Le Nihilisme فهي  
كما يعرفها نيتشه: انها اهم سمات الانحطاط الحضاري. فالعلمية  
الخطرية تعني باننا مقتنعون ان الوجود مزعزع والعلمية حالة مرضية  
وسيلة (للتصميم الضخم والإستنتاج أن ليس ثمة معنى لأي شيء، هو  
ظاهرة مرضية) لها أن تكون القوى للتجربة ليست قوية بما فيه  
الكفاية، ولما ان الانحطاط ما زال يتردد ولم يجد بعد، وسأله  
المساعدة. ان العلمية ليست السبب بل هي متلق الانحطاط فقط.  
ويعتقد نيتشه نيتشه الواضح، فان العلمية هي النتيجة، وهي  
التعبير عن الانحطاط... للتوسع انظر كتاب: ضرورة الفن  
ص ١٠٦ وما بعدها لارنست فيشر ترجمة الدكتور ميشال سليمان -  
للكتبة الاشتراكية - دار الحقيقة - بيروت (بدون تلويح) اما الاصل  
الفرنسي فتاريخ صدره ١٩٦٥ باريس.

العلاق بين البشر ومفاهيمهم.. متى استطاع ان يسكب كل ذلك من ذوب نفسه وخياله في بوتقة الحكمة الجامعة عبر تجربة عقلية وشعورية عميقة، او في اطار الملحمة والاسطورة.. قبض حل ناصية الخلود.. ولو كان في صومعة.. فكيف إذا كان في سوق، بين الناس؟!

والحقيقة ان ابا العتاهية لم يستطع ذلك التسلمي بالرغم من انه كان موهوباً.. ومضى في وعظه، عادي الحكمة متشابه البناء النظمي في نمطية تلقائية عرفت به وعرف بها.

وهكذا اوشك ان يسقط في الخطائية الفوقية المزهجة، والتعليم الملل، ويخرج نهائيا من دائرة الشعر..

وظل سادرا في وعظه، لا يترك ساحة الا ويتهزها، ولا موضوعا الا ويقول فيه شيئا من الشعر، فالتقاعة، مثلاً، وهي ام الفضائل عند الزاهدين، لم لا يدعو الناس اليها؟ وما داموا متخاذلين قاعدين عن طلب العل، وما دام العصر قد افرز الناس فثنين لا وسط بينهما، فئة حاكمة مستبدة مستأثرة مستغلة.. وأخرى محكومة مستغلة..

وما دام الثوار مغلوبين على أمرهم.. وما دامت الحياة ملك الفارس الأقوى.. فهذا أياها المسحقون، تعالوا الى القنطرة والرضا والتسليم.. تعالوا الي واقبلوا مثلي، انا من طمحت الحياة برحائها والقصور بجورها وعقوقها.. تعالوا تزهّدوا واقنعوا من هذه القانية بالكفاف فيما قليل نرحل جميعا.. الى حيث لا ينفع مال ولا بنون الا من آى الله بقلب سليم..

اما الخلفاء فمرحبون بمثل هذه المواضع، ويكون لها احيانا، ألم يكفهم ابو العتاهية شر الثوار، وخطر صحو الشعب؟! ومضي أبو العتاهية قاذفا بيده المخدرات لا يلوي على شيء، ولا فضيلة له كشاعر، الا انه صابها احيانا صياخة الحكمة وضغطها في لمحات مختصرة بارعة الاداء وترك مفاعيلها لمؤرخي الثورات والباحثين عن حقوق الانسان يلعنون امثاله من قتلة الطموح في الانسان، ومنومي الشعوب بمخدرات لا يطاله القانون!!

تأمل قوله:

واذا ما الفقير قنعه الله

فسيان بؤسه والنميم

ان في الصبر والقنوع الدهر  
وحرص الحريص، فقر مقيم  
انما الناس كالبهائم في الرزق  
سواء جهولهم والعليم  
ليس حرص الغني يجر له الرزق  
ولا عاجزا يعد العديم..

أولاً: ان الله لا يفتح الفقير ليرضى بفقره  
ويؤسه، يا ابا العتامة.. وها أنت نفسك لم يفتحك  
الله لترضى ان تبقى حجاجاً او بائع جوار في  
الكوفة.. بل دفعك طموحك الى ابعد من ذلك  
بكثير.. فهل كان ذلك منك حزماً وعزماً، ولم يكن  
عجزاً وتواكلاً! أم ماذا؟

ثانياً: الناس ليسوا كالبهائم، كما وصفتهم، في  
طلب الرزق، وسأحك الله على هذه القرية.. بل  
لعلك تقصد المتكالبين منهم على جمع المال، حرامه  
والحلل، من جهد الغير، وعلى حساب كرامتهم  
وصحتهم.. ثم متى كان «العليم» انساناً في عجزه  
عن طلب الرزق؟ لعله، في مقاييس الاسلام،  
والموازين الانسانية، اقرب الى البهيمة من المتكالب  
عليه...

ثالثاً: لعلك نسيت، في غمرة زهدك، وتشاؤمك، واحتقارك للدنيا واهلها، ما كان منك من حب لهم، وغرام بها... لكن... ما هكذا يكون الوعظ الا اذا كان من... متوي... على اي حال، يجدر بنا ألا نقيم حُكْمَ ابي العتاهية، ومواعظه الزهدية، على أساس الربط بينها وبين حقيقة موقفه وسلوكه. اذ سنجد تناقضاً كبيراً، في هذا المجال، اما اذا اعتبرناها مجرد صناعة تفرغ لها الشاعر، حال تزهده، وراح ينظم قيم المجتمع وحقائق الحياة الثابتة، ليطلقها درساً اعتبارية، وحكماً سائرة امام ابناء هذا المجتمع الذين كانوا بانتظارها، يتلقفونها في تقبل روحي تام، عنيت بهم، طبعا، الطبقة المسحوقة اليائسة، وبعض الخلفاء، في بعض صحوهم... الذين كانوا يجيئون سماع الموعظة دون ان يعملوا بها، وإن ابكتهم احياناً..

فهي اذن لا تعبر ثلماً، عن مذهب شاعرنا ولا عن انطباعاته الخاصة، أكثر مما تعبر عن براعته الفنية، في هذه الصناعة بعد طول تخصص وتفرغ... (٤٠ عاما على الأقل)... واذا ما ظهر منه، أثناء عملية السبك، ما ينم عن عقيدته ويكشف عن قناعته،

وينسجم مع مواقفه، فذلك، حتماً، عن غير قصد، ولا انفعال  
ولا معايشة.. إلا في ما كان منه اثناء مخاطبته الملوك  
والخلفاء والأمراء، وأمام الموت..

اخلاق الناس:

حين يقرر ابو العتاهية ان الناس مطبوعون على  
الكلب، ابيضه وأسوده، وعلى التناقض في الأقوال  
والأفعال، فأنما يقرر بديهية من البديهيات السائدة في  
كل زمان ومكان، ولا يعتمد الى فلسفة هذا الطبع او  
هذا الخلق، ان كان مطبوعاً أو مصنوعاً.. إلا  
ليبقى شاعراً لا فيلسوفاً.. وشاعر التلقائية والتقريرية  
وحدها، لا شاعر التأمل واستشراق الحقائق البعيدة  
وراء حجب الواقع الملموس.. يقول:

ما من صديق وإن نمت مودته  
يوماً بإبلغ في الحاجات من طبق  
إذا نعمم بالنديل منطلقاً  
لم يخش مومة بواب، ولا خلق  
لا تكذبين فان الناس مذ خلقوا

عن رغبة يعظمون الناس، او فرقي



اما الافعال فضوق النجم مطلقه  
 والقول يوجد مطروحاً على الطرق  
 وتعجبي هذه الصورة، في البيت الرابع، للفعل  
 الذي لا يتحقق، كأنه كوكب أبعد من النجم  
 مطلقه، في حين ان القول، غير المقرون بالفعل،  
 مطروح على الطرق . . . غاماً كالعاني عند  
 الجاحظ . . . وما عتوى الأبيات الثلاثة الأولى سوى  
 موعظة مبتذلة لحفائق بدئية، يصوغها، بلا توفيق،  
 واعظ صبية مراهقين، لا شاعر . .  
 وانظر معي هذين البيتين في شرور الناس هل ترى  
 فيها شعراً؟

في الناس من تسهلُ المطالب  
 أحياناً عليه، وربما سمعت  
 وشيرة في الناس ربما جمحت  
 وشهوة في النفس، ربما غلبت . .

اما انا فلا ارى فيها شعراً ولا نظماً . . بل نثراً  
 متهاقناً حول « ربما » المكرورة، لا أكثر ولا أقل . .  
 يستطيع أي فقيه في مسجد القسرية، ان يلوكه،  
 ويعظه به . .

ولست ارى صواباً قول نيكلسون (١) بأن  
أبا العتاهية قد تفرد بالروح الشعبية حين قال: «انه ارانا  
لأول مرة . . وربما للمرة الأخيرة أيضاً في تاريخ  
الادب الكلاسيكي العربي انه في استطاعة الشاعر ان  
يستخدم اللغة البسيطة العادية في دقة ومهارة  
واضحتين، وبشكل مطرد. .».

يبدو انني اختلف ونيكلسون جلياً، مع  
احترامي لاستاذيته في هذا المجال . . فهو يعتبر  
الذي «يستخدم اللغة البسيطة العادية» شاعراً؛ وانا  
اخرجه نهائياً من دائرة الشعر، مع قائله . وقد لا  
اسميه «ناظماً» اذا اسف اسلوبه وابتذله . .

فالشعر، في نظري، القديم منه والحديث هو  
عملية خلق وابداع، وهي عملية شاقة الى حد كبير،  
كما يقول فاليري . فليس شاعراً كل من «رزق» موهبة  
رص الكلام او رصفه، وليس شاعراً كل من ارضى  
العامة بقوله الموزون او غير الموزون، . . ثم ان

---

(١) تاريخ العرب الادبي ص ٢٨٨ نيكلسون

الشعر ليس خطاباً ولا تبشيراً. انه تعبير حار عن احساس الشاعر وانفعالاته، عبر تجرية حلوة او مرّة، وبلغة شعرية خاصة، لا يعرفها العامة ولا يتداولونها، وان كانت تبهرهم وتهزهم .. هذا الشعر هو الذي يسمى شعراً، ويحتفظ بقيمته الفنية الكاملة، كما رأينا عند الكثيرين من شعراء «التجارب» جاهلين كانوا ام مسلمين. اما حين يصبح «الشعر» تعبيراً «عقلياً» مجرداً يستند الى الجدل والحوار، وايراد الأدلة والحجج، وباللغة الشعبية شبه الدارجة .. فلا يمكن ان نعدّه شعراً مهماً تساعنا .. وعندما بررنا تلقائية ابي العتاهية ووجدنا موهبته قلادة على الارتفاع بهله التلقائية الى رحاب التجربة الشعرية بعيداً عن السطحية والابتذال، حملناها فيه، ولم نسمه شاعراً إلا بحذر شديد ..

اما انه شاعر شعبي، من ناحية التعبير عن روح العصر، وما كان يسوده من شعور ديني عارم لدى الطبقات الشعبية المحرومة ضد الطبقة الحاكمة من جهة، وضد موجة الاستهتار والفسوق من جهة ثانية .. فهذه حقيقة واضحة تدل على ان ابا العتاهية كان ذا «روح شعبية» لم تفسدها حياة القصور، ولا

خفت من غلوائها، بل لعلها زادتها ضراما . فما هو  
 بعد ان تزهد قد ظل يتنقد ويمارض،  
 وينادي ويعط، مستكرا كثيرا من مظالم الحكام،  
 وتحكم الناس بعضهم ببعض، حتى الغلاء، رفع  
 صوته بمكافحته. غلاء اسعار السلع الاستهلاكية  
 الشعبية، لا تلك المكسبة في عنابر القصور كالخمرة،  
 والحز، والديباج، والأرز الفاخر، والأواني الذهبية  
 وغيرها..

اسمعه يصف دوائر الزمان وتقلب الاحوال،  
 وغلاء الاسعار، ويذمر الخليفة للته وتلافي حواقب  
 الامور؛ قال بعد ان وقف امام الموت وقفته الداهلة  
 المعهودة. ينصح الاحياء الاموات بالتزود بالتقوى  
 والعمل الصالح:

مَنْ مَبْلَغَ عَنِّي الْإِمَامِ  
 مَ نَصَائِحًا مَتَوَالِيَةً (١)  
 اِنِّي اَرَى الْأَسْعَارَ  
 أَسْعَارَ الرِّعِيَةِ غَالِيَةً

---

(١) يقصد بالطبع، الخليفة الذي هو إمام المسلمين أيضا أوضح  
 إسلامه..

والغلاء الى جانب البطالة وقلة الرزق يصبح أمرا لا يطلق:

وأرى المكاسب نزرّة

وأرى الضرورة غاشية

وأرى غموم الدهر را

ثحة، غمر، وغداية

وهذه منازل الشعب المسكين خلوة على عروشها،

ليس فيها الا الارامل واليتامى. بعد ان فقدوا

الازواج والآباء في ثورات.. ومغاز.. لم يكن لهم

دخل فيها سوى انهم وقودها، وادواتها..

وأرى السيتاسى والارا

ملّ في اليهوت الخالية..

من بين راج لم يزل

يسمو اليك، وراجية..

يظنون ان الشكوى تدفع البلوى، يا

لسداجتهم!! يشكون الجوع القاتل الذي اضعفهم

واوهن اصواتهم فهم لا يرفعونها اليك الا بجهد

جهيد، وهزال أكيد: «تأمل صورة الصوت الضعيف

- العالي! يشكون مجهدة باصوات ضعاف عالية..

انهم يرون فيك، ايها الخليفة، املمهم الآخرين،  
وملجأهم الوحيد، بل مبكى عيونهم الذي يلطفون عنده  
دموعهم:

مَنْ يَرْجِي لِلنَّاسِ

غَيْرَكَ ، لِلْعِيُونِ الْبَاكِيةِ ١٩

ومضي في تصوير الفاجعة اليومية التي يقع الشعب  
ضحياتها، تصويرا لا يمكن ان يصدر عن شاعر  
ارستقراطي كالشريف الرضي، مثلا، او ابن المعتز،  
او حتى ابي تمام.. تصويرا يعكس ظلال نفس ابي  
العتاهية التي اكثرت - يوما - بمראה الفقر، وذل  
الحياة.. وها هي في ترهدها تصور حياة الشعب من  
خلال اصدااء النفس:

مِنْ مَصِيبَاتِ (١) جُوعٍ

عَمِي وتصبح طاوية

مَنْ يَرْجِي لِدَفْعِ كِبَرِ

بِ مِلْمَةٍ هِيَ مَا هِيَ..

ويترك الخيال الخليفة ان يتصور مدى حجم

---

(١) مصيبت جمع مصيبة وهي الحزن

الكلثة حين لم يجد ابعادها: «هي ماهيا» وفي هذا  
ابداع في التصوير، واثارة للحس والخيال معا.. ها  
هو يعطي بعض الصور- النماذج الخاصة لا حدود لها:

من للبطون الجائعات، وللجسوم العارية  
من لارتياح المسلمين اذا سمعنا الواحية  
ويا ابن خير الناس يا خير خلف لخير سلف..  
لا فقدت: ان الموت يحصد الناس، والعافية تزول  
من كراهم، لا علمت العافية تذكر اصلك  
الطيب.. وكن على غراره.. فرحا طيبا اصيلا..  
وكان الشاعر يلزم بهذا الفرع ويغمز من قناته  
حين يذكره بأصله، ويستتجده..

وها انا التي بين يديك امثلة حية عما يكابده  
الشعب، وكفى بها غيضا من فيض، وصورة  
مصفرة عن الماسة:

القيمت انخبارا اليك م  
من الرعية شافية

القيمتا بين يدي عقلك ووجدانك للعمل  
والذكرى، لعل الذكرى تنفع المؤمنين... لقد حملت  
هذه المقطوعة كثيرا من نوازع الشاعر

واحاميسه والكثير من ابداع الموهبة وتجليها، خاصة عندما تحول هذه الموهبة في ساحات الشعب، واجوائه، مستلهمة، مصورة، مبدعة.. بدل ان تبقى هناك.. في القصر تحرق البخور على اقدام الخلفاء.. الاوثان، وتبادهم، في مدائحها المزورة، كذبا يكذب اورياه برياء! هناك.. حيث يموت الشعر، وتهلر الكرامة.. ما عدا حفنة قليلة من الشعراء الكبار الذين استطاعوا ان يرتفعوا بالخليفة-الشخص، الى الخليفة-الانسان، او الخليفة-البطل، وانتقلوا بمدائحهم، من الخاص الى العام، عبر التصوير المبدع والتصوير البعيد، وحلقوا في اجواء الوهم والاسطورة.. كما فعل ابو تمام في قصيدة فتح عمورية، وابو الطيب في الحديث الحمراء، والبحري، الى حد ما، في تصوير معارك المتوكل البحرية<sup>(١)</sup>

ومهما يكن فقد كان ابو العتاهية يشعر شعورا قويا بتلك الروح الشعبية التي فيه، وتلك الموهبة الشعرية التي

---

(١) انظر كتابنا: البحري بين البركة والايلان. والمتمم: امة في سجل الصائدين من دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨١ - ١٩٨٢



استغفته للتعبير عن هذه الروح في كثير من زهدياته  
وحكمه، ونراه يبرر أسلوبه الشعبي البسيط التركيب  
الحالي من الصناعة والفن بدعوى حماية هذه الروح  
من تعقيد يغطيها بستار كثيف من الصناعة اللفظية  
فلا يعود الشعب يتأثر بها لو يفهمها.

قال سلم الخاسر (الشاعر الفارسي الهوى) (١):  
أنشطني ابو العتاهية هذه الأبيات:

نفص الموت كل لسنة عيش  
يا لقومي للموت ما اوحاه

عجبا! انه اذا مات ميت  
صد عنه حبيبته وجفاه

حيثما وجه امرؤ ليفوت  
الموت، فالموت واقف بعذاه

---

(١) هو سلم بن عمرو بن حماد كان شاعرا معاصرا لابي العتاهية.  
ولقب بالخاسر لانه باع مصحفا واشترى به ظهيرا.. وكان يفتي  
شعوية فارسية، ويجهل بالزنتقة.. ولا فهو من تلامذة بشار..  
يقلده في كل شيء...

لما الشيب لابن آدم ناع  
قلم في عارضيه، ثم نعا  
من تمى المنى فافرق فيها  
مات من قبل ان يشال منها  
ثم قال لي: كيف رأيتها؟ فقلت له: لقد  
جودتها، لو لم تكن الفاظها سوقية.. فقال: والله ما  
يرغبني فيها الا الذي زهدك فيها...

فهو، كما ترى، يصرح على استعمال اللفاظ  
السوقية (كما يراها سلم) ويتمسك بطريقته الشعرية  
مهما كانت شعبية الاسلوب حتى في نظر معاصريه..  
على ان مسلماً هذا لم يوفق.. هنا.. حين نعت الفاظ  
هذه الأبيات بأنها سوقية.. فابن السوقية فيها واين  
الابتذال؟ اني لا لرى شيئاً منها.. لعله يقصد لينة  
القافية وسلامة التعبير من التعقيد، وهذا لا يعد  
ابتذالاً او سوقية على اي حال. ناهيك ببعض  
التشخيص المستحب الذي وفق اليه شاعرنا في البيت  
الثالث والرابع: تشخيص الموت برجل صامت يقف بازاء  
الانسان كالشبح الرهيب غير المرئي. ريتصور الشيب  
نذيراً ينهي على الانسان حياته. واقفاً كالقدر، على

هو ارضنا ليخطب فينا: أن هيا الى الرحيل فقد ازفت  
الساعة ودنت لحظة الوداع . .

واذا كان من فضيلة اخرى لتلك الروح الشعبية  
والاسلوبية السهلة فهي كلفة في انها جاءت استمرارا  
لتيار التجديد، في الشكل والروح والمضمون، الذي  
بدأه بشار، في الشعر، وابن المقفع في النثر، وحمل لواءه  
ابونواس، ودعا اليه، وغالى فيه ابو العتاهية.

فشاعرنا اذن، ليس بدعا في ذلك، بل هو استمرار  
لظاهرة التجديد الحضاري من جهة وتحد للرجعية  
العربية، في الفكر والشعر واللغة من جهة اخرى.  
اما فوادة ابي العتاهية، في هذا المجال، فهي في أكتاره  
الشديد لهذا النوع من الشعر والتمادي فيه، من حيث  
البساطة في التعبير واستعمال الالفاظ الشعبية، والبعد  
عن التعقيد، الى حد التمريض به ومهاجته . . ثم  
انصرافه، في الزهد، الى ذلك اللون الشرقي من شعر  
الاعتبار وإيراد الحكمة الزاجرة الزائفة بمعاني الترهيب  
والنصح والتحذير، انصرفا كلياً، لا يبعد عن رغبة  
الشاعر في ان يكون حكيم العرب والمسلمين، على  
غرار السلف الصالح، وان يذكره الناس بهذا  
اللون دون سواه . .

ولا ننسى انه، بهذا، قد عاد بالشعر العربي، الى منابعه المشرقية الاولى، الى ذلك الشعر الاعتباري الزاخر بحكمة الشرق وخشوع الحكيم الشرقي امام الله والقدر والموت، واستخلاص العبرة من ذلك الموقف الحاشع، ثم تحويل كل ذلك الى صلوات وترنيمات وابتهالات شاعرية الروح شاعرية الاسلوب.. امتلأت بها ملاحه ودواوينه واساطيره، وكتبه السماوية، والارضية، وترنمت به حناجر النساك والصوفية في خلواتهم وحلقاتهم وصوامعهم..<sup>(١)</sup>

كما عصمه زهد، وشعره الزهدي، عن اذى التردى في حماة الهجاء والكذب والسباب، ومن البقاء في مستنقع القصور حيث المديح الاجوف، المليء بالكذب والرياء والبعيد عن روح الشاعر وموهبته واحاسيسه الخاصة، ومن محدودية رثاء الاشخاص الى رثاء الانسانية كلها، فابو العتاهية حين رثى اشخاصا بعينهم، رثى من خلاهم الكون والحياة والانسان جميعا، ومهد بذلك الى قيام المدرسة

---

(١) انظر في هذا الكتاب: الزهد الشرقي القديم فصل خامس ص ٧٠.

العلامة، ويرهن ، أخيراً ، على ان الشعر العربي قادر على ان يكون وعاء للفلسفة والحكمة ، والتأمل ، فلا يظل متفصراً على الموضوعات الشخصية العابرة ، او البراعات اللفظية في تصوير التزوات ، والتجريح الاخلاقي في الهجاء ، وقلق المحصنات وصناعة الاحاجي والطلاسم . .

### سخريته الرقيقة : او رقة الساخرة .

اتهم ابو العتاهية بأنه كان في باديه امره غشاً ، يجعل زائلة المخبثين مثل ابي نواس ووالبة وسائر الخلقاء . كما اتهم بالزندقة ، وطعن في اصوله ودينه وملهبه الى ما هنالك من هموم ومغامز لو صبت على شاعر آخر كالاخطل او جرير مثلاً ، لشها حرباً شعواء على متهميه لا تبقي من اعراضهم وشرفهم شيئاً . . لكن لها العتاهية قابل كل ذلك بابتسامة ساخرة ، ويصمت الواثق من نفسه ويأثنه ، بالسعي والعمل ، لا بالكلام الفارغ ، قادر على رد كل هذه الاتهام خاصة وان اكثرها كان صحيحاً . . وتلقين المتهمين دروساً في الترفع والكبرياء . . وان الانسان بعمله وموهبته لا بأصله وفصله . .

هابوا عليه ان اياه كان حجاماً ويالغ جرار، فظل يساعد  
 اياه وانحاه في بيع الجرار والحجامة غير آبه بالتافهين  
 الفارغين، حتى بعد شهرته وحين عقد النية على الزهد  
 عاد الى صناعته الاولى، والجلوس في شوارع بغداد للتصيح  
 والارشاد، والحجامة. . اتهموه في حبه لعتبة وان هذا  
 الحب من طرف واحد وطلبوا للشهرة والوصول الى  
 بلاط المهدي. . لكنه وصل الى المهدي نفسه بالرغم  
 من فشله في حب جارية المهدي وكانت موهبة كشاعر  
 هي التي اوصلته وثقته بنفسه، ليس خير. .

ومن المؤسف ان يتحدى بعض المعاصرين من  
 الباحثين السلفيين فيقول: وان قصة غرام ابي العتاهية  
 بمعشوقته حبة ليست الا مظهرا من مظاهر انحطاطه  
 واضطرابه، وهي تدل على غرامه بالعبث، وعلى  
 قدرته وبراعته في تمثيل دور المحب العاشق. . الخ،<sup>(١)</sup>  
 هذا التحدى في الاستتاج ليس موضوعيا، ولا

---

(١) ابو العتاهية: حياته وشعره ص ١١١ د. محمد محمود الدش

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٨

قرينة عليه الا اقوال بعض المؤرخين القدامى وهي موضع شك.

ولنستمع الى ابي العتاهية نفسه يحدثنا عن قصة غرامه بعتبة لنجد اي روح مريحة كانت بين جنبيه واي سخرية ناعمة يثبها في كلامه رغم جدية الموضوع..

قال: قدعنا من الكوفة ثلاثة فتيان شبابا وادباء، وليس لنا يتغداد من نقصده، فنزلنا بالقرب من الجسر. فكانا ن بكر فنجلس في المسجد الذي يباب الجسر، في كل خداة. فمرت بنا يوما امرأة راكبة ومعها خدم سودان. فقلنا: من هذه؟ قالوا: خالصة. فقال احدها: قد عشقت خالصة<sup>(١)</sup> وعمل فيها شعرا،

---

(١) لعله ابو نواس فقد عرف من اشهره انه كان يتنزل بجارية اسمها خالصة. وله معها حكاية. قيل: وكنت نكرو فيه تحت وقفه.

كتب مره بيتا من الشعر حل باب سينها:  
لقد ضاع شمري حل بابكم  
كما ضاع عقد حل خالصة  
وداه سينها وهو يكتب لمارح الى عو طرف العين في صدر  
البيت وعجزه فاصبح هكذا:

لقد ضاع شمري حل بابكم كما ضاع عقد حل خالصة

فأعناه عليه. ثم لم تلبث ان مرت اخرى راكبة ،  
ومعها خدم ييضان. فقلنا: من هذه؟ فقالوا عتبة.  
فقلت : قد عشقت عتبة. فلم نزل كذلك في كل  
يوم، الى ان التأمت لنا اشعار كثيرة، فدفع صاحبي  
بشعره الى خالصة، ودفعت انا بشعري الى عتبة.  
والححنا الحاحا شديدا. فمرة تقبل اشعارنا، ومرة  
نطرد، الى ان أجدوا في طردنا.

فجلست عتبة يوما في اصحاب الجوهر، ومضيت  
فلبست ثياب راهب.. ودفعت ثيابي الى انسان معي،  
وسألت هن رجل كبير من اهل السوق، فدللت على  
شيخ صائغ، فبحث اليه. فقلت: اني قد رغبت في  
الاسلام على يدي هذه المرأة فقام معي وجمع  
جماعة من اهل السوق. وجاءها فقال: ان الله  
قد ساق اليك أجرا، هذا راهب قد رغب في الاسلام  
على يديك. فقالت: هاتوه فدنوت منها. فقلت:  
اشهد ان لا اله الا الله، وان محمداً عبده ورسوله،  
وقطعت الزنار، وذنوت فقبلت يدها، فلما فعلت ذلك  
رفعت البرنس فعرفتني. فقالت: نحوه. لعنه الله.  
فقالوا: لا تلعنيه، فقد اسلم! فقالت: انما فعل ذلك



لقلره، فعرضوا علي كسوة. فقلت: ليست لي حاجة  
 الى هذه. وانما اردت ان أشرف بولائها. فالحمد لله  
 الذي منّ علي بحضوركم. وجلست. فجعلوا  
 يعلمونني الحمد، وصليت معهم العصر. وانا في ذلك  
 بين يديها انظر اليها، لا تقدر لي على حيلة، فلما  
 انصرفت لقيت خالصة، فشكت اليها، فقالت: ليس  
 يخلو هذان من ان يكونا عاشقين أو مستأكلين. فصح  
 عزمها على امتحاننا بما لا على ان ندع التعرض لها،  
 فان قبلنا المال فنحن مستأكلان. وان لم نقبله فنحن  
 عاشقان. فلما كان الغد مرت خالصة، فعرض لها  
 صاحبها، فقال له الخدم. اتبعنا. فاتبعهم. ثم لم  
 نلبث ان مرت حبة، فقال لي الخدم: اتبعنا،  
 فاتبعهم. فمضت بنا الى منزل خلط لها بزاز. فلما  
 جلست دعت بي، فقالت لي: يا هذا. انك شاب،  
 وارى لك ادبا، وانا حرمة خليفة. وقد ثأنتك. فان  
 كفت، وإلا انيت امرك الى امير المؤمنين ثم لم آمن  
 عليك، قلت: فافعلي، بأي انت وامى. فانك ان  
 سفكت دمي ارحمني. فأسألك بالله إلا فعلت ذلك،  
 اذ لم يكن لي فيك نصيب. فلما الحبس والحياة ولا

اراك، فانت في حرج من ذلك، فقالت: لانكمل يا  
 هذا، وأبق على نفسك، وخذ هذه الخمسمائة  
 دينار، واخرج عن هذه البلدة. فلما سمعت ذكر  
 المال، وليت هاريا، فقالت: ردوه، فلم ترل تردني  
 فقلت: جعلت فداك. ما اصنع بعرض من الدنيا  
 وانا لا اراك. وانك لتبطلين يوما واحدا عن الركوب  
 فتضيق بي الارض بما رحبت، وهي تأبى إلا ذكر  
 المال، حتى جعلت إلي ألف دينار، فأبيت، وجاذبتها  
 مجاذبة شديدة، وقلت: لو اعطيني جميع ما يحويه  
 الخليفة ما كانت لي فيه حاجة، وانا لا اراك، بعد ان  
 اجد السبل الى رؤيتك.. وخرجت فبحثت الغرفة  
 التي كنا ننزلها، فاذا صاحب مؤرم الاذنين، وقد امتحن  
 بمثل محنتي، فلما مد يله صفعه، وحلفت خالصة لئن  
 رآته بعد ذلك لتودعته السجن. فاستشارني في المقام  
 فقلت له: اخرج واباك ان تقدر عليك. ثم التفتا فاخبرت  
 كل واحدة صاحبتها بالخبر، واحمدني عتبه، وصبح عندها  
 اني محب محق.. فلما كان بعد ايام دهنتي عتبه،  
 فقالت: بحياتي عليك، ان كنت تعزني، إلا اخلفت  
 ما يعطيك الخادم، فاصلحت به من شأنك.. فقد  
 غمفي سوء حالك. فامتعت فقالت: ليس هذا ما

نظن، ولكني لا احب ان اراك في هذا الزي.  
فقلت: لو امكنتي ان تريني في زي المهدي لمعلت  
ذلك.. فاقسمت عليّ، فدخلت الصرة، فاذا فيها ثلاثمائة  
دينار.. فاكسيت كسوه حسنة، واشتريت حماراً. (١).

ونحن لم نورد هذه القصة لنشير الى صديق ابي  
العتاهية في حبه لعبه، او كلبه، ولا لإظهار سوء  
حاله، واستهتاره حين قلم بغداد، وانما نؤكد روحه  
المرحة التي كانت تسيل عبر شعره، قبل تزهده، كما  
سالت عبر هذه القصة، وذلك الاسلوب النثث  
الفرقاني الذي تنسج خيوطه الشفافة شاعرية متألقة  
تتخلل الشعر، كما تتخلل النثر، فهو شاعر في نثره  
كما هو ناثر في شعره، بصرف النظر عن مستوى هذا  
الشعر وقيمه، فقد المضاء في ذلك، من قبل ولولا  
الموقف الجددي الذي كان يتطلبه الزهد منه، لبقي ابي  
العتاهية مرحاً، ساخراً، حتى بعد تزهده، ولعلنا لا  
نعدو الصواب اذا قلنا ان سخرية الضاحكة، قبل  
الزهد، قد انقلبت، هي نفسها، سخرية مرة عابسة،  
لان الروح التي أرتته الدنيا ضاحكة مقبلة، ايام

---

(١) تلويح بغداد / ٦ / ٢٠٤

الشباب، هي الروح ذاتها التي لوتها هذه الدنيا عابسة  
غدارة خزونة.. بعد المعاشة والخبرة، والتأمل.  
الملة، اذن، انقلبت مسألة عنده، وتعمير ادق: لقد  
استخرج ابو العتاهية في شعره، الذهني، المسألة من  
صميم الملة، فيكى وابكى.. واتعظ ووعظ، ولم يكن  
تزهد عبثاً كله.. ولا حكمته الزائدة نتاج فكر. واقتباس  
كلها.. بل نتاج وجدان عثرق وكيان منسحق، في كثير من  
الأحيان..

ونختتم هذه الدراسة الوجيزة حول هذه  
الشخصية الفريدة الميزة بشكلها وسمتها وسلوكها،  
وشاعريتها، وطريقة نظمها، وحبها وكرهها، ونقدتها،  
ورفضها، بحيث برهنا، قدر الجهد، انها شخصية  
مغايرة فذة، أقامت مفهوما خاصا للشعر، ونظاما  
خاصا للتعامل مع الناس، وموقفا مميزا من الحياة  
والأحياء، والله، والقدر، والموت، تألق في نشيج  
ابتهالي خاشع، ونشيد وجداني منيب، عاد بالشعر  
العربي الى روحانيته الشرقية القديمة، ونأى به عن  
مستقع العبث والعفن.. والانحراف..

كما دفعنا عن الشاعر فيها، كثيرا من التهم التي

كأنها له، جزافاً، دارسون قدامى ومحلثون، حين  
نظروا إليه، وإلى نتاجه، من زاوية ضيقة واحدة..  
فغابت عنهم مزاياه الذاتية والفنية، وما أكثرها، عند  
التحليل المتصف المجرد.

فكان بعيداً عنهم، بقدر بعدهم عنه..  
وكان قريباً منا، موصولاً بنا، روحاً واصالة، بقدر  
ما يتصل الفن بالفن، وماء السماء بالينابيع..

نماذج مختارة:

أ- في الغزل:

قال يتغزل بعتبة:

وأي لمجدٍ حل فرط حبها  
لأن لها وجهاً يدلُّ على حلِّي  
إذا ما بدت والبدر ليلة ثم  
رأيت لها فضلاً مينا على البدر  
وعجزت من تحت الثياب كأنها  
قضيبي من الريحان في ورق خضر

وتبسم عن ثغر نقي كأنه  
من اللؤلؤ المكنون في صلف البحر

يخبرني عنه السواك بطييه  
ولست به، لولا السواك، بلني خبر

أبى الله إلا ان أموت صبايةً  
بساحرة المئين طيبة النشر

الا انه غزل عادي، ليس فيه من مميزات  
عتبة شيء. نستطيع ان ننسب هذا الغزل الى أي  
شاعر عادي آخر. . خاصة لجميل بن معمر فإن فيه  
نفسه وروحه واسلو به. .

وفي ما يلي غزلية في عتبة اقرب الى روح أبي  
العتاهية واسلو به:

يا لطف نفسي على التي اجتبت  
بأي جرم ثروها عتبت

نبلوك الله، بش ما جنت  
بي في هواها، ويش ما ارتكبت

أَتَيْتَهَا زَائِراً فَمَا انْحَرَفْتُ  
عَلَيَّ إِذْ جِئْتُهَا، وَمَا احْتَسِبْتُ  
كَمْ مِنْ دَيُونٍ وَاللَّهِ يَعْلَمُهَا  
لَنَا عَلَيْهَا، وَلَمْ تَقْضِ إِذْ وَجِئْتُ  
مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ فَضْلِهَا حِنَّةً  
إِلَّا اسْتَرَدْتُ جَمِيعَ مَا وَهَبْتَ  
لِي يَا خَيْرَ وَائِي مَنْفَعَةٍ  
لِذَلِكَ قَدْ تَرَيْتُ مَا خَلَبْتُ  
اللَّهُ بَيْنِي، وَبَيْنَ ظَالِمِي  
طَلَبْتُ مِنْهَا وَصَالِحَهَا، فَابْتَ  
مَاذَا عَلَيْهَا لَوْ أَنِّي بَعِثْتُ  
مِنْهَا رَسُولًا إِلَيَّ، أَوْ كَتَبْتُ  
وَيَرْتَفِعُ فِي غَزَلِهِ، أَيْحَانًا، إِلَى ضَغْطِ الْمَعَانَةِ فِي  
جَوَامِعِ كَلَمٍ وَحِكْمَةٍ وَتَحْلِيلِ نَفْسِي:  
يَا حَتَبَ هَجْرِكَ مَسَوْرَثِ الْأَدْوَاءِ  
وَالْهَجْرَ لَيْسَ لَوَدُنَا بِجُجَزَاءِ  
يَا صَاحِبِي لَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الْهَوَى  
جَهْدًا، وَكُلَّ مَلَلَةٍ وَهْنًا  
عَلَى الْفُؤَادِ بِحَبِهَا مِنْ شَقَوَاتِي  
وَالْحُبِّ دَاحِيَةٍ لِكُلِّ بَلَاءِ

اني لارجوها واحلرها، فقد  
 أصبحت بين غفلة ورجاء  
 بخلت علي بودها وصفائها  
 ومنحتها ودي وعطس صفائي  
 فتخالف الأهواء فيما بيننا  
 والموت عند تخالف الأهواء.  
 ويعطينا صورة للمتهم الوطن.. ولا اصدق،  
 مأخوذة من حاله هو ومعاناته:

يقول أناس: لو نعت لنا الهوى  
 ووالله ما ادري لهم كيف انعت  
 سقام حل جسي كثير موسع  
 ونوم على هبي، قليل مفوت  
 اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي  
 له، وضع كفي فوق خدي، واسكت...

ولا ننسى الرقة والليونة اللتين تسريان في عروق  
 الصورة وظلالها، كما سرتا في عروق الشاعر المقيم  
 وروحه. مما جعل غزله يشيع ويسير، خاصة في  
 اوساط النساء. قال ابن قتيبة: وغزله ضعيف (أي  
 رقيق) مشاكل لطباع النساء، وما يستخفنه من



الشعر، وكذلك كان عمر بن أبي ربيعة في الغزل<sup>(١)</sup>  
ويوافقه في هذا الرأي ابن المعتز حيث يقول: «وخله  
لين جدا مشاكل لكلام النساء موافق لطباعهن...  
وله في قلوبهن موقع الزلال البارد من الظمآن لرقته»

وفي الاخائي: «ان جوارى المهدي كن يشتهين  
ان يسمعن شعر ربيعة الرقي. قال: وكان فيه لين،  
وكذلك كان ابو العتاهية»<sup>(٢)</sup>. وقد رأينا كم كان  
الحلفاء معجبين بغزل ابي العتاهية العف الرقيق، لا  
سيما الرشيد الذي كان يستلهم شاعرنا لسماع غزله،  
حتى انه كان يأمر مؤدبي اولاده الا يسمعونهم سوى  
غزل ابي العتاهية. ومن هنا ثار الرشيد ثورته على  
الشاعر حين قرر الامتناع عن قول الغزل ونوى  
التزهد.

ويذكر ابن الاثير قصة أبيات ابي العتاهية في  
مديح المهدي التي اولها:

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٩٧

(٢) اخفي سلسي ٣٧ / ١٥

إلا ما لسيّتي ما لها  
تدل، فاحلّ ادلائها  
والتي يقول فيها:

اتته الخلافة منقادة  
اليه تخرجرجر اذبالها  
فلم تك تصلح الا له  
ولم يك يصلح إلا لها  
ولو رامها احدٌ غيره  
لزلزلت الأرض زلزالها  
ولو لم تطعمه بنات القلوب  
لما قبل الله اعمالها

وقول بشار حين سماعها: «انظروا الى  
امير المؤمنين هل طار عن أعواده؟». ويعلق ابن  
الأثير على هذا فيقول: «ولعمري ان الأمر كما قال  
بشار، وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله من  
حالته». الخ<sup>(١)</sup>

---

(١) لؤلؤ الخراط الحلي ١/ ١٧٦

ونحن نقول: ان اللهجة الخطائية المرفقة، التي  
تتناهى اليها أصلها حين نتخيل ابا العتاهية يلقي  
قصيدته واسلوبه السهل الممتنع الذي صب فيه  
معانيه، والأروع من كل هذا تلك الصورة الحية  
المتحركة التي صور بها الخلافة فجعلها حسناء ذلولاً  
تمشي نحو ساحرها (الخليفة) مأخوذة بعظمته متفاداة  
الى جلاله، تهرجر اذياها ودلالها نحوه، لا تملك من  
امرها، حياله، شيئاً .

ثم تلك القدرة في تصوير اتحاد الأشياء، وتطابق  
الصور والمعاني، عبر سياق فني مضغوط، وكأن  
الكلمات في حقل مخفط، تفر منها اليها . . تتعالى، ثم  
تهبط، ولا مناص . .

ب- في الخمرة:

من ذكريات لوه ولذته، قال يصف مجالس  
الشراب في الكوفة متلهفا متحسرا، مبدها في  
الوصف، في معرض مدحه المهلبي:

لهفي على الزمن القصير  
بين الخورنق والسدير

اذ نحن في غرف الجننا  
 نأ، نغوم في بحر السرور  
 في فتحة ملكوا عنباً  
 نأ، الدهر، أمثال الصقور  
 ما منهم إلا الجمو  
 رُ على الهوى غير المحصور  
 يتعاودون مدامة  
 صهباء من حلب العصور  
 عذراء ريلها شعاً  
 عُ الشمس في حر الهجير  
 لم تُذَن من نار ولم  
 يعلق بها وضر القلوب  
 ومقرطق يمشي اما  
 م القوم كالرشا الغرير  
 بزجاجة تستخرج ال  
 سر اللفين من الضمير  
 زهراء مثل الكوكب الد  
 ري في كف المدير  
 وخصرات زوننا  
 بعد الملو من الخلود

ريساً روائفهن يمل  
 بسن الخواشم في المحصور  
 غر الوجوه عجباً  
 ت قاصرات الطرف حور  
 متنعمات في النعم  
 م، مضمخات بالعبير  
 يرفلن في حلال المحا  
 سن، والمجاسد، والحريز<sup>(١)</sup>  
 ما إن يترن الشمس  
 إلا الفسط، من خلل الشعور  
 نهج نواسي، لا شك فيه. ولكن أبا نواس يفوقه  
 دقة وشمولا في وصف مفاهيل الحمرة، والحوار مع  
 الساقى والساقية والنديم، ومزج وصف الحمرة  
 بوصف الطبيعة. فالكل عند النواسي مخموراو مشارك  
 مأمور، والكل مأخوذ بالجو. حتى الجو.

---

(١) مجاسد ج مجسد وهو القمص الذي يلي البدن. وهو قميص  
 النوم حلتنا.

## ج - في الزهد:

امام الموت:

الموت لا والدا يبقى ولا ولدا  
ولا صغيرا ولا شيخا، ولا أحدا  
للموت فينا سهام غير محطاة  
من فاته اليوم سهم، لم يفته هدا  
ما ضر من عرف الدنيا وغرورها  
ألا ينافس فيها أهلها أبدا  
حبذا، هنا، لو استرسل في التأمل، عبر الموت،  
ولم يتفلسف، مستجبا: أن حل الانسان الذي خبر  
الحياة: الا ينافس فيها أهلها أبدا.. وإذا كان يعني  
بالمنافسة: التكالب والاستئثار فلا بأس.. ولكن  
المنافسة غير التكالب..

وفيا يلي آيات يصف فيها زوال العمر، وقد  
وفق في تصوير الموت وتصوير نفسه توفيقا فنيا  
ملحوظا. قال:

أضيق من العمر ما في يدي  
وأطلب ما ليس لي بيدي

أرى الأمل قد فاني رده  
ولست على ثقة من غد  
واني لأجري الى غاية  
قد استقبل الموت لي مولدي  
وما زلت في طبقات الردى  
اصعد في مضعد مضعد  
فاوشك عما قليل أكون  
من الموت في البرزخ الأبعد  
تحليل رائع لنفسي الإنسان، عبر إنسانيته، يضع  
ما بيده، ويطلب من غيره، المستحيل والإنسان حائر  
بين حجزه عن رد ما فات، وبين حجزه عن معرفة ما  
هو آت. . والموت قابض على البدايات والنهايات،  
وما بينها من غايات. .

أما ما بعد الموت. . فيا ولي عما بعد الموت!!  
طبقات من الظلمات فوقها طبقات!! أنا فيها «في  
البرزخ الأبعد».. حقا لقد بلغ أبو العتاهية منتهى  
الروعة في تعبيره هذا، لقد عبر «البرزخ  
الأقرب»، في السهولة، الى البرزخ الأبعد، في  
الجودة وتآلق التعبير. . وكان شاعرا. .

وله قصيدة مثيرة في وصف زوال الدنيا وأحوال  
الموت خرج فيها عن الرتابة في الوعظ الى الخطابة

والاثارة، فأكثر من أدواة الاستفهام والتعجب،  
 وضرب الأمثلة الحية من تاريخ الشرق، بقصد الاقتناع  
 والتأثير والاستقطاب، في سياق متسام من جزالة  
 اللفظ وفخامة التعبير، ولهجة الوعيد والتهديد،  
 والتكرار بقصد الاقتناع والتأكيد:

المنايا تمحوس كل البلاد  
 والمنايا تبسد كل العباد  
 لتنالن من قرون اراما  
 مثلما نلن من ثمود وعاد  
 هن افنين من مضى من نزار  
 هن افنين من مضى من اباد  
 هل تذكرت من خلا من بني الاصفر  
 اهل القباب والاطواد  
 هل تذكرت من خلا من بني سا  
 سان اريب فارس والسواد  
 اين داود، اين، اين سليمان  
 ن المنيع الاعراض والاجناد  
 راكب الريح، قاهر الجن والإنس  
 بسلطانه، ملل الاعادي



ابن ممرود وابنه، ابن قارو  
 ن وهامان، ابن ذو الاوتاد  
 ان في ذكرهم لنا لاعتبارا  
 ودليلا على سبيل الرشاد  
 وردوا كلهم حياض المنايا  
 ثم لم يصدروا عن الإيراد  
 ايها الزمع الرحيل عن الدنيا  
 تزود لذلك من خير زاد  
 لتتلك الليالي وشيكا  
 بالمنايا. فكن على استعداد  
 اتنامت. ام نسيت المنايا  
 اتسيت الفراق للاولاد  
 اتسيت القبور اذ انت فيها  
 بين ذل، ووحشة، وانفراد  
 أي يوم يوم السباق واذا أنت  
 تُنادي، فما تحجب المنايا  
 أي يوم يوم الفراق واذا انت  
 من النزاع فني اشد الجهاد  
 اي يوم يوم الفراق واذا  
 نفسك ترقى عن الحشا والنزاد

أي يوم يوم الصراخ واذ  
 يلطمن حر الوجوه والاماذ  
 باكيات عليك يندبن شجوا  
 خافقات القلوب والاكباد  
 يتجاوبن بالرنين وينرفن  
 دموعاً تفيض فيض المزاد  
 أي يوم، نسيت يوم التلاقي  
 أي يوم نسيت يوم المعاد  
 أي يوم يوم الوقوف إلى الله  
 ويوم الحساب والاشهاد  
 أي يوم يوم المسر على النسا  
 ر واهوالها العنظام الشداد  
 أي يوم يوم الخلاص من النسا  
 ر، وهول العذاب والأصفا  
 كم وكم في القبور من اهل مُلْك  
 كم وكم في القبور من قواد  
 كم وكم في القبور من اهل دنيا  
 كم وكم في القبور من زهاد  
 لو بذلت النصيح الصحيح لنفسي  
 همت اخرى الزمان في كل واد

يؤمن لي يؤمن ميتاً يوم ابكي  
 بين اهلي وحاضر الغُراد  
 كيف ألهو، وكيف أسلو وأنسى  
 م، الموت، والموت رائح ثم غاد  
 ايها الواصل مترفض وصيل  
 هنك لو قد أذقت طعم التقادي  
 يا طويل الرقاد، لو كنت تدري  
 كنت ممت الرقاد حي السهاد...  
 لِمَ كل هذا الوقوف امام الموت والميتين؟ ماذا في  
 نفس الشاعر من نوازع؟ وهل انصرافه وتفرغه للزهد  
 كان، وحده، ما جملة يحيا ويحيي هاجس الموت في  
 نفسه وفي الآخرين؟ اذ ماذا امام الزاهد او الناسك  
 ليعط به ويזجر، سوى الموت؟ ام ان هناك اسبابا  
 اخرى؟

لقد ماتت نفس الشاعر ونحبا وجدانه حين انطلقا  
 فيه دافعان من اقوى دوافع حب الحياة ونوازع حب  
 البقاء. هما: الحبيبة الهاجرة، والشباب المولي. وكم  
 كانت ردة الفعل لدى العاشق المهزوم قوية، وقوية  
 جدا.. فلقد كان عشقه مركبا وكثيفا، بل مثلث  
 الزوايا والاضلاع: الحياة/ وعتبة/ والانا/ وحين افرغ

وجدانه ووجوده من الحياة وعته. وبالأصح: حين  
خبا قلبه وكبا، استغلق عقله ونما على حساب قلبه.  
فلذا بالحياة لا تساوي عنده قلامة ظفر، والأحياء،  
شروى فقير.. رغم ما كان يملو عليه، بين الحين  
والآخر من مظاهر الحرص وحسب المال ومعاشرة  
الناس.. حتى بعد تزوجه واثناء هرمه.. لعلها فقط  
استمرارية العادة المتأصلة، لا أكثر...

أما وقد تحرر العقل من تأثيرات القلب فقد  
انطلق به الشاعر نحو الحياة والأحياء مطالعا عليهم من  
لوق، سائرا من تكاليفهم على الحياة وما فيها، ناسين  
ما يتظلمون بها من فواجع وآلام ودهبات.. لكن  
سخرته هذه غير صريحة.. بل مرموزة، مبطنة بثوب  
الحكمة، ورداء الموعظة، تماما كأي حكم شرقي  
قديم، يحفظ الناس كل يوم، دون أن يجا معهم، أو  
مثلهم..

هؤلاء السائدون في هيهم، بم يحملهم  
يستيقظون؟ بأي سوط يلهب ظهورهم الرابضة على  
الفريسة كالبهيمة؟

لا شك أنه، هنا، عند شاعرنا، سوط الشعر،

وصوت التجربة، يعلن بها ان هذه الحياة التي تهيمون  
حباها ليست سوى متعة عابرة، ودار غرور، ومتاع  
الى حين. . . ويأتي الموت، والتخويف به، الموضوع  
الطبيعي الوحيد المقابل للحياة. فما دامت الحياة تافهة  
الى هذا الحد، فان الموت لا شك ليس تافها، بل هو  
قضية، وموقف وفلسفة. . . اي هو شيء هام وفؤ  
قمة. .

يقول شوبنهاور: «ليس من المؤكد ان الوجود غير  
من اللاوجود، بل لعل العكس هو الصحيح، كما  
يبدو لنا، لو امعنا النظر بعض الإمعان. ولو استطعت  
ان تسمى الى قبور الموتى، وتقرع ابوابها سائلا ايهم،  
هل يريدون العودة الى الحياة، اذن، لرأيتهم ينفضون  
اليك رؤوسهم رافضين، وإلا فعلام التعلق بهذه  
البرهة القصيرة التي يقضيها المرء في الوجود والتي لا  
تبدو شيئا، وسط تيار الزمان اللانهائي؟ انما هذا  
التعلق بالحياة حركة عمياء غير عاقلة. . . الخ. ولعل  
ابا العتاهية قد ذهب الى قبور الموتى وسألهم وحاورهم  
عرارا. وها هو في وقفته الطويلة امام الموت يتقل الينا  
هذا الحوار، الصامت الناطق، شعرا اعتباريا ولا

اصفى، ولا اصلق.. يجبرنا فيه، نحن المولى الذين  
لا نزال على قيد الحياة، باننا راحلون عما قريب،  
طال مكوثنا ام قصر، تعامينا عن الموت «الرائع  
الغادي» بيننا، ام لم.. ناصيا علينا مثل هذا الوجود  
الفسري وتلك الحياة المليئة بالشر والقبح والتفاحة.  
ناها نفسه قبلنا، في صور تأملية حارة، مريرة،  
وفي نشيج شعري مليء بالدم والدموع.. ختمه  
بهذا النداء الموجه:

يا طويل الرقاد لو كنت تلدي  
كنت ميت الرقاد حي السهاد..  
موحيا لأبي العلاء نفس الموقف ونفس النشيج، في  
قصيدته الرثائية الشهيرة: غير مجد في ملتي  
واعترادي.. ولكن في وقفة علالية تأملية أعمق وأرقى..  
ولا شك ان ابا العلاء قد احببه كثيرا بيت ابي  
العتامة الأخير: يا طويل الرقاد لو كنت تلدي..  
فصاغه صياغة حكمية جديدة حين قال:

ضجعة الموت رقدة يستريح الي  
جسم فيها، والعيش مثل السهاد  
وظل، لا عجابه، محتفظا بنفس البحر والروي

والقافية في قصيدته كلها . وظل الفارق بين الشاهرين  
قائما: المعري غواص ، تأمل ، فيلسوف ، وأبو العتاهية يمضي  
على رسله . . لا يلوي على شيء . . .

حيرة حائرة :

في الزمان والمكان وما بعدهما :

ليت شعري ، فاني لست أدري  
أي يوم يكون آخر همري  
وبأي البلاد تقبض روحي  
وبأي البلاد يحفر قبوري .

صورة رمزية :

نحن في الحياة ، أشباح هائمة تجسد ، في ملائكة  
الموت ، قطعانا ، تتوالى بعد قطعان :

كم ترانا بما انهي نبقى على  
جولان الموت في هذا الأفق  
نحن أرسال الى دار البهل  
تتوالى عنقاً بعد عنق

صورة الصديق اللاحق :

حكمة سائخة أو سخرية حكيمة بالألوان :

احلر الاحق واحلر وده  
 انما الاحق كالشوب الخلق  
 كلما رقعته من جانب  
 زعزعته الريح يوما فانهرق  
 او كصدع في زجاج فاحشر  
 هل ترى صدع زجاج يلتصق  
 فلذا عاتبه، كي يرموي  
 زاد شرا، وملاى في الحمق  
 قلما رأينا لأبي العتامة هجاء فنيا ضاحكا كهذا:

رأيت الفضل متكئا  
 يتلجى البحرَ والسمكا  
 فارسل عينه لما  
 رأيَ مقبلا ويسكى  
 فلما ان حلفت له  
 بأني صائم ضحكا..

موقعة كونفوشيوس:

انما انت بحيسك  
 ومن \* الناس، بأنسك



لا يفتونك بيومك  
ما فت منك بأمسك  
أرحم الناس جميعا  
فهم أبناء جنسك  
ابغ للناس من الخير  
كما تبغي لنفسك

حدث القاسم بن عيسى العجلي قال: حججت فرأيت أبا  
العتاهية واقفا على أهرابي في ظل ميل<sup>(١)</sup> وعليه شملة. فقال له:  
كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة. فقال له: يا  
هذا، لولا أن الله فتح بعض المباد بشر البلاد، ما وسع خير البلاد  
جميع العباد.. فقال له: فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم  
معشر الحاج، ثمرون بنا فتتال من فضولكم، وتنصرفون فيكون  
ذلك. فقال: اننا نمر وتنصرف في وقت من السنة. فمن أين  
معاشكم. فاطرق الأهرابي. ثم قال: لا والله، لا أدري ما أقول  
الا اننا نرزق من حيث لا نحسب أكثر مما نرزق من حيث  
نحسب فولى أبو العتاهية، وهو يقول:

---

(١) صفة للضباب. يقال: ضباب ميل مع الريح يتكاثف. (السان  
العرب ملحة مثل)

هب الدنيا نواتيك  
 أليس الموت أتيك  
 الا يا طالب الدنيا  
 دع الدنيا لشانك  
 وما تصنع بالدنيا  
 وظل الميل يكفيك  
 واخبر السعودي ان ابا العتاهية قال هذه الايات  
 للرشيد، وكان حج معه في بعض السنين، فنزل الرشيد عن  
 راحلته، ومشى ساحة، ثم أعيا، فقال: هل لك يا أبا العتاهية ان  
 نستريح الى ظل هذه الليل؟ فلما قعد الرشيد اقبل على أبي  
 العتاهية. وقال: حركنا. فقال ابر العتاهية هذه الايات...

تجارب واحترافات:

بكائية الى الدنيا:

ما انت يا دنيا بدار إقامة  
 ما زلت يا دنيا كفيء ظلال  
 وخفقت يا دنيا بكل بكية  
 ومزجت يا دنيا بكل وبال  
 قد كنت يا دنيا ملكت قيادي  
 فقرنتني بوساوس وغبال

تحولت يا دنيا جمال شيبتي  
 قبحاً، فمات لذلك نور جمالي  
 غرس التخلص منك بين جوانحي  
 شجر القناعة، والقناعة مالي  
 الآن ابصرت الضلالة والهدى  
 والآن فيك قبلت من عدائي  
 وطويت عنك ذبول برد صُبُوتِي  
 وقطعت حبلك من وصال حبابي  
 وفهمت من نوب الزمان عظمتها  
 ونظنت للأيام والاحوال  
 وملكت قود عنان نفسي بالهدى  
 وطويت عن تبع الهوى اذبابي  
 وتناولت فكري عجائب جمّة  
 بتصرف في الحال بعد الحال  
 الخ..

والموت هاجسه هل الدوام :

تمسكت بأمل

طوال، بعد آمال

واقبلت على الدنيا  
 بعزم، أي إقبال  
 وما تنفك ان تكلح  
 اشغالا بأشغال  
 فيما هذا تجهز  
 لفراق الأهل والمال  
 ولا بد من الموت  
 على حال من الحال  
 صورة كناية لتأنيد، ولكن: هذه هي  
 الحقيقة:

أبقيت مالك مهراشا لوارثه  
 فليت شعري، ما أبقى لك المال  
 القوم بعدك في حال نسرهم  
 فكيف بعدهم، دارت بك الحال  
 ملوا البكلاء، فما ييكيك من أحد  
 واستحكم القيل في الميراث والقال  
 عبّادان : مصدر الزهد و... النقط ا

وصف أبو المتاهية عبّادان وهي مدينة على  
 مصب دجلة في الخليج العربي، وهي عن البصرة

مرحلة<sup>(١)</sup> ونصف. وكان فيها نساك منقطعون للعبادة  
ولأجل هذا ذكرها واصفاً:

سقى الله عبّادان غيثاً جُلاًلاً  
فإن لها فضلاً جديداً واولاً  
وثبت من فيها مقبهاً مرابطاً  
فما إن أرى عنها له متحولاً  
إذا جثتها لم تلق إلا مكبراً  
تخل عن الدنيا، وإلا مهلاً  
فاكرم بمن فيها على الله نازلاً  
واكرم بعبّادان داراً ومنزلاً  
يحكم اجترارية مكرورة تنظم رجزاً ما تعرفه  
الخاصة والعامة ولا غناه فيها، ولا شعر... كهله:

من سالم الناس سلم  
من شاتم الناس شتم  
من ظلم الناس اسأ  
من رحم الناس رحم  
من طلب الفضل الى  
غير ذوي الفضل حرم

---

(١) للرحلة: جميعها مراحل وهي المسافة التي يقطعها المسافر في  
نحو يوم. (محيط المحيط مادة رجل)

مَنْ حَفِظَ الْعَهْدَ وَفَى  
 مَنْ أَحْسَنَ السَّمْعَ فَهَمَ  
 مَنْ صَلَّقَ اللَّهَ عَلَا  
 مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ  
 مَنْ خَالَفَ الرُّشْدَ غَوَى  
 مَنْ تَبَعَ الْغِيَّ نَدِمَ  
 مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا  
 مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ  
 مَنْ عَفَّ وَاكْتَفَى زَكَا  
 مَنْ جَحَدَ الْحَقَّ أَثِمَ  
 مَنْ مَسَّ الضَّرَّ شَكَا  
 مَنْ عَصَى الدَّمَرَ أَلَمَ  
 لَمْ يَحْدِ حَيْثَا رَزَقَهُ  
 يَرْزُقُ أَمْرَى حَيْثُ قُسِمَ

وشتان بين «مَنْ» هذه، و«مَنْ» زهير في  
 معلقته..

وعلى عادته، نجد أيا العتامية حيناً في القعة،  
 وأحياناً في السفح.. في هذه الأبيات الأربعة التالية نراه  
 وقد سما أسلوباً وشاعرية:

الليل شَيْبٌ والنهارُ كلامها  
 رأسي بكثرة ما تدورُ رحاها  
 يتاهبان لحومنا ودماءنا  
 ونفوسنا جهراً ونحن نراها  
 الشيب احدى الميتين فقلمت  
 احدهما وتأنخبرت احدهما  
 فكأن من نزلت به اولاهما  
 يوماً، وقد نزلت به اخرهما

وكذلك في هذه القصيدة العصماء التي اخذ عنها  
 المتنبي نفسه بعض معانيها، وبعض اشعارها:  
 الدهر ذو دولٍ والموت ذو عللٍ  
 والمرء ذو أملٍ، والناسُ أشباهُ  
 ولم نزل عبر فيهن معتبرٌ  
 يجري بما قدر، والله أجراه  
 يكي ويضحك ذو نفس مصروفةٍ  
 والله اضحكه، والله ابكاه  
 والمبتلى فهو للهجوم. جانبهِ  
 والناس حيث يكون المال والجاه

يا بائع الدين بالدنيا وباطلها  
ترضى بدينك شيئا ليس يسواه  
حتى متى انت في طو وفي لعب  
والموت نحوك يهوي فاغرا فاه  
ما كل ما يتمنى المرء يدركه  
رب امرئ حثه فيها ثمناه  
ان المني لغرور ضلة وهوى  
لعل حثف امرئ في الشيء يهواه  
كان حيا وقد طالت سلامته  
قد صار في سكرات الموت تغشاه  
والناس في رقدة عما يراد بهم  
وللحوادث تحريك وانباء  
أنصف، هديت، اذا ما كنت متصفاً  
لا ترض للناس شيئا لست ترضاه  
يا رب يوم انت بشراه مقبله  
ثم استحالت بصوت النحي بشراه  
لا تحضرن من المعروف اصغره  
أحسن، فعاقبة الاحسان حسناه  
تلهو، وللموت ممانا ومصبنا  
من لم يصبحه وجه الموت مساه



ما اقرب الموت في الدنيا وابعد  
 وما أَمْرٌ جنى الدنيا واحلاه  
 كم نافس المرء في شيء، وكابر فيه التنا  
 من ثم مضى عنه وخلاه  
 بينا الشقيق على إلف يُسرُّ به  
 اذ صار اضطره يوماً وسجاء  
 يكي عليه قليلاً، ثم يُخرجه  
 فيمكن الأرض منه، ثم ينساه  
 أمثال سائرة:

لو رأى الناس نبياً  
 سائلاً ما وصلوه  
 انت ما استغثت عن صا  
 حبك، الدهر، اخوه  
 فاذا احتججت اليه  
 ساعة بك فوه  
 -نام الخليل، لانه خلّو  
 فمن يَزُرُقْ عينه الشجرُ  
 ما إن يطيب لذي الرعاية  
 للأيام، لا لعب ولا هو

اذ كان يسرف في مسرته  
 فيموت من اعضائه جزؤ  
 واذا المشيب رمى بهوخته  
 وهت القوى وتقارب الخطؤ  
 واذا استحال بامله زمن  
 كثر القلى، وتكدر الصفؤ

قال اسحاق الموصلي: انشطني اسحاق بن مخلد  
 الرازي لابي العتاهية هذه الايات، فقلت: ما  
 احسنها فقال: اهكذا تقول! حقا انها روحانية بين  
 السماء والارض...

اما «ذات الامثال» الشهيرة فهي ارجوزة كبرى  
 يقول المؤرخون انها مؤلفة من اربعة آلاف مثل، وكلها  
 في الاعتبار والوعظ.. الا ان الأيام لم تبق منها سوى  
 نيف وخمسين مثلاً او بيتاً. واليك بعض هذه  
 الخمسين.

حسبك مما تبتغيه القوت  
 ما اكثر القوت لمن يموت  
 الفقر فيها جاوز الكفافا  
 من اتقى الله رجا وخافا

ان كان لا يهنيك ما يكفيك  
 فكل ما في الارض لا يهنيك  
 ان القليل بالقليل يكثر  
 ان الصفاء بالقليل، ليكثر  
 ما انتزع المرء بمثل فعله  
 ونحير ذخيرة المرء حسن فعله  
 ان الفساد ضيره الصلاح  
 ورب جد جره المزاج  
 يهنيك عن كل قبيح تركه  
 يهين الرأي الاصيل، شكه  
 يا رب من اسخطنا بجهوه  
 قد سرنا الله بغير حمده  
 من لم يصل فارض اذا جفا  
 لا تظعن للهوى أخفا  
 لكل ما يؤذي وان قل ألم  
 ما اطول الليل حل من لم ينم  
 ان اختفى ما في الزمان الآي  
 فقس على الماضي من الاوقات  
 ما تطلع الشمس ولا تغيب  
 إلا لأمر شأنه عجيب

لكل شيء معدن وجوهر  
 واوسط واصغر واكبر  
 وكل شيء لاحق بجوهره  
 اصغره متصل باكبره  
 من لك بالمحفن وكل عتج  
 وسوس في الصدر منك تحتج  
 ما زالت الدنيا لنا دار اذى  
 ممزوجة الصفو بالوان القلى  
 الخير الشر بها أزواج  
 لذا نتاج ولذا نتاج  
 لكل انسان طبيعتان  
 خير وشر وهما ضدان  
 والخير والشر اذا ما عدا  
 بينهما شأو بعيد جدا  
 انك لو تستشق الشجيا  
 وجدته انتن شيء رجا..  
 الترك للدنيا النجاة منها  
 لم تر ائى لك منها عنها  
 من جعل النعام هنا هلكا  
 ملافك الشر كباغيه لك

من لم يكن في بيته طعام  
 فماله في بيته مقام  
 صلح قرين السوء للقرين  
 كمثّل صلح اللحم والسكين  
 وللكلام باطن وظاهر  
 في ساحة العدل يموت الجائر  
 ان الشباب والفراخ والجمدة  
 مفسدة للعقل اي مفسدة  
 ان الشباب حجة التصابي  
 روائع الجنة في الشباب  
 اصحب ذوي الفضل واهل الدين  
 فالسر منسوب الى القرين  
 لا تلعبن في الامور فرطاً  
 لا تسألن ان سألت شططاً  
 وكن من الناس جميعاً وسطاً  
 ذكر سليمان بن ابي الشيخ قال: قلت لأبي  
 العتاهية اي شعر قلته اجود واحجب اليك قال:  
 قولي: ان الشباب والفراخ والجمدة  
 مفسدة للعقل اي مفسدة

وقولي: ان الشباب حجة التصايي  
روائع الجنة في الشباب..

قال عمرو بن بحر الجاحظ: وفي قول ابي العتاهية  
« روائع الجنة في الشباب معنى لمعنى الطرب الذي لا  
يقدر على معرفته الا القلوب، وتعجز عن ترجمته  
الالسنه الا بعد التطويل، وادامة الفكر الجليل،  
والتفكر الجزيل. وغير المعالي ما كان الى القلب  
اسرع من اللسان.

اما انا فاقول: ان هذا البيت يساوي، وحده،  
كل ما قاله ابو العتاهية من الشعر... وواضح ما  
بين القمة والسفح في شعر شاعرنا من التفاوت  
الكبير عما فصلناه سابقا، وصح فيه قول  
الاصمعي: « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع  
فيها الجواهر والذهب، والشراب، والخرف،  
والنوى... »

ونختم، اخيرا، هذه النماذج بابتهالية من  
ابتهالياته الخاشعة المستسلمة للنية، يرتلها ابو  
العتاهية، صلاة حري بين يدي ربه:

إلهي لا تعذبني فإني  
 مقرر بالذي قد كان مني  
 وما لي حيلة إلا رجائي  
 وعفوك إن عفوت وحسن ظني  
 فكم من زلّة لي في الخطايا  
 وانت عليّ ذو فضل ومنّ  
 إذا فكرت في ندمي عليها  
 عضمت أناسي وقرعت سني  
 يظن الناس بي خيراً واني  
 لشر الناس، ان لم تعف عني  
 أجن بزهرة الدنيا جنونا  
 وافي العمر فيها بالتمني  
 وبين يدي تحبّس ثقبيل  
 كأنني قد دعيت له كائي  
 ولو اني صدقت الله فيها  
 قلبت لأهلها ظهر الجن  
 بل هي اعترافات انسان يتضور ندماً، ويضج  
 اسى ولوعة... يصعد كل ذلك في دعاء لاهت

حزين.. احسست كأنني ارفع يدي معه نحو السماء  
طالباً العفو والغفران، لي وله ولجميع المؤمنين..

آمين..



## الفهرست

الموضوع	الصفحة
استهلال .....	٣
ابو العتاهية: مَنْ هو؟ .....	٧
أصله النبطي .....	١٠
تأثير الصفات والسمات .....	١٤
عصره .....	١٦
العصابة إياها .....	٢٠
وفاء الأصدقاء .....	٢٤
انقلاب خطير .....	٢٨
الشاعر - العالم .....	٣٤
مذهب الشاعر .....	٣٥
قلبه .....	٤٢
حرصه على المال .....	٤٦
ثروته .....	٥٠
تاريخ الزهد في الشرق القديم .....	٥٣
الزهد العربي .....	٦٣

الموضوع	الصفحة
الزهد الاسلامي .....	٦٨
ردة فعل .....	٧٤
الزهد العتاهي - دوافعه .....	٨٣
كثرة شعره الزهدي .....	٨٩
غزارة المادة .....	١٠٧
كثرة الحكمة في شعره .....	١٠٨
بين حكمة وحكمة .....	١٠٩
القيمة الفنية .....	١١٢
نماذج من حكم ابي العتاهية .....	١١٦
حكيمته في الزهد .....	١٣٦
أمام الموت دالها .....	١٤١
احجاب المتنبي بمعاني طشاعر .....	١٤٦
احجاب ملك الروم بحكمة الشاعر .....	١٤٩
وافظ الخلفاء ومبكيهم .....	١٥١
حكمه الاجتماعية .....	١٥٦
العلمية والشاعر .....	١٦١
سحرته .....	١٧٩
دفاع عن الشاعر .....	١٨٦

الموضوع	الصفحة
نماذج مختارة من شعره	١٨٦
شوينهور واللاوجود	٢٠٢
حيرة حاضرة	٢٠٤
تجارب واعترافات	٢٠٧
بكائية الى الدنيا	٢٠٧
امثال ماثرة	٢١٤
الارجوزة الكبرى - الصغرى .. او ذات الامثال	٢١٥
ابتهال أخير	٢٢٠

الموسوعة الأدبية الميسرة

٨

# حسان بن ثابت رضي الله عنه من المحرقة الى الالتزام

مكتبة  
الأستاذ خليل شرف الدين

دار مكتبة الهلال  
بيروت - لبنان

جميع حقوق النشر والاستحقاق  
وإعادة الطبع محفوظة  
للمكتبة الهلال  
طبعة جديدة منقحة  
١٩٨٧

بيروت - طرابلس - شارع مركزك بنادي برج الصفاة  
مركز دار الهلال - تلفون ٨٣٦٩٨١ - ١٦٣٥٥٧  
ص.ب ٢٠٠١٤ بوقيا ملكهلال

## استهلال

من الوثنية إلى التوحيد ، من التجميد إلى  
التجريد : وثبة هائلة من الزمان الرتيب ، والمكان  
الجديب ، إلى حيث الزمان حدوده الأبد ، والمكان  
تخومه الأرض بما وسعت ، والسماء بما رحبت . .

وثبة حققها العربي - البدوي ، على يد النبي ﷺ ،  
فاجتاز معه وبه ، من المتناهي ، إلى اللامتناهي ،  
إلى . . . الله . . . فكانت الرسالة المحمدية إحدى ،  
بل لعلها آخر المحطات الكبرى لذلك الإنسان البدوي  
في إنطلاقته نحو تكوين « الأنا » المفتحة الخلاقة ،  
وتحقيق الذات المجتمعية ، البديلة . .

وما نزعة الزهد ، من ثم ، وحالة التصوف في  
الإسلام ، إلا تجسيدا رائعا لكيقونة هذه الذات  
المتشوقة ، وقدرتها الفائقة ، على الاختراق والتجاوز

إلى ما وراء المادة ، نزوعاً إلى الكمال . . ونوقا إلى  
المثال .

إلا أن المعادلة بين ما هو جسدي - مادي ، وما  
هو إلهي ، ظلت هي السائدة والرائدة في تعاليم  
الإسلام ، وسيرة كبار المسلمين . وحين تجاوزت  
الصوفية حدودها كُفّر أصحابها ، ويُلعنوا . . غير أن  
الغزالي بقي مؤمناً بالمعرفة الحقيقية نأثيه ، كما  
الصوفية ، من ذلك « النور يقدسه الله في القلب » فينداح  
في الكيان ، ويتلفه العقل العاجز . واستمر  
المسلمون - في السيرة والتفكير غزاليين ، أشاعرة في  
غالبيتهم ، إلى أن جاء ابن رشد وقلب المعادلة . .

حتى في العلوم كان اهتمام العرب بالجانب  
الإلهي في المادة أكثر من المادة نفسها ، وذلك  
لإيمانهم بأن الله يتجل في المادة أو « يتمظهر »<sup>(١)</sup> فيها  
كما يقول المستشرق « روم لاندو في كتابه : « الإسلام  
والعرب »<sup>(٢)</sup> وما كانت أبحاثهم المضيضة في الفلك  
والحيوان إلا لإظهار حقيقة هذا التمظهر من جهة وقلوة

(١) تظاهر الله أو التجلي بالصير الدني : Transfiguration de Dieu .

(٢) انظر ترجمة هذا الكتاب إلى العربية لمنير البليكي - دار العلم  
للملايين .

الله على الخلق والإبداع من جهة أخرى .

سقنا هذه المعجالة لنبرهن أن العربي الجاهلي حين حطم ، بالإسلام ، وثنياته ، وقضى بقوة الروح ، وعمق الإيمان ، على أصنامة ، لم يستطع ، أولم يرد ، أن يحطم صنمية التقاليد ، وأنماط عيشه القديم ، ولا سيما أنماط تعبيره وأساليب لغته ، وقوالب شعره ، فظل أسير اللغة ، وعبّد قوالب قصائده ويصورها الرمزية الجافة . .

فثنان بين تلك القفزة الروحية الهائلة التي قفزها على دروب التسامي والتجرد ، والتجريد ، وتمشق المشال والكمال ، وبين هذه القوالب اللغوية والتعبيرية الضيقة ، على رحبها ، بين هاتيك الوثنية التجسيدية في العادات والتقاليد ، على أصالتها ، وبين هذه الشطحات الجديدة في عالم الروح والعقيدة . .

لها السبب يا ترى؟ . .

لعل ذلك عائد ، في نظرنا ، إلى أن العربي سَلَفِي في طبعه يتشوق إلى القديم والمحافظة عليه ، أكثر مما يتمشق الجديد والانغماس فيه . خاصة ذلك العربي الجاهلي المعتر بترائه . إعتزازه بإسلامه ، وبلغته وسحر



بيانها . وإيمانه الشديد بكمالها ، وإن ما قاله فيها من شعر ونثر قد بلغ الغاية ، وأن لا جديد يمكن أن يضاف إلى كل ذلك . . . وها أن القرآن قد أخناه عن كل نثر وشعر ، إذ رأى في آياته اللينات مزيجاً مدهشاً من روائع الكلم المشور ، والصور الشعرية المثيرة . وهكذا « قعد » هذا العربي المسلم يتأمل معجزات التعبير القرآني ، مستغرقاً فيها ، مستوحياً منها ، في شبه ذهول ، دون أن يقلد أو يجدد . . . مما أبقاه بعيداً عن دائرة الضوء الجديد ، في هذا المجال .

واستمر الشعر التقليدي ، الذي أكثر منه في الجاهلية ، ماثلاً أمامه كالصنم لا يكف عن التبعيد له وحرق البخور على قدميه . . . وحين أطلق النبي ﷺ حرية الشعراء في الرد على المشركين ، بعد أن نهاهم عن قول الشعر ، أو ، بالأصح ، عن بعض موضوعاته التي لا تسلام وتعاليم الدين الجديد ، كالنزل الإباحي ، والخمرة ، والاقذاع في الهجاء ، وذكر الأصنام والازلام والميسر وما شابه ، حين فعل النبي ﷺ ذلك لم يجد هؤلاء الشعراء ، وأكثرهم مخضرم ، سوى الشعر الجاهلي يعبّون منه اختراعاً وبلا قيد ، أو تغيير ، في المباني والمطالع ، والصور .

كان الإسلام إذن إنقطاعاً عن الجاهلية ، على صعيد النظر أو المضمون . واستمراراً للجاهلية على صعيد الشكل أو التعبير<sup>(١)</sup> . والسر كما رأينا ، يكمن في أن الإسلام قد بنى ذلك الشكل الجاهلي على أنه المعبر الأكمل عن شخصية العربي في مجال اللغة والفكر . وقد استحال على الإسلام تفسير تغييره ، بل لقد اتهم النبي ﷺ بأنه يقول شعراً وليس قرآناً .. كما سبق القول . إذن ، ظل الشاعر وارثاً لهذا الشكل الثابت لا يغير فيه شيئاً ، فهو ناسخ له ومكرر . أما المضمون فقد سلب منه أيضاً ، وليس عليه إلا أن يغير في الأسماء ، عند الملح ، وأن يضع كلمة حرب أو غزو أو واقعة بدل يوم أو أيام وأحياناً لا يغير شيئاً . وهكذا انتقل الشاعر الإسلامي من مبدع للمضمون إلى ناسخ له ومن صاحب خُصْم شخصي إلى متحدث عن حُلمس إلهي ..

لم يعد الشاعر في الإسلام ذاتاً مستقلة ، بل أصبح جزءاً من جماعة أو أمة .

من هنا كان إنحسار الشعر ، كمّاً وكيفاً ، في

(١) أنونس . الثابت والتحول ٣ صلبة الحفلة ص ٢٢٢ دار العودة - بيروت ١٩٧٩ .

الإسلام حين أصبح الشاعر في الدرجة الثانية باعتباره  
وصيلة وليس غاية ، بعد أن كان غاية وطاقة خلاقة في  
الجاهلية .

### نشأة حسان :

في هذا الجور الجديد نشأ حسان أو بالأحرى بدأ  
حياته في قسمها الثاني ، إذا صح التعبير ، ( كان عمره  
حين أسلم قرابة الستين وقد عُمر ١٢٠ عاماً . . كما  
يرجع الرواة ) ما عدا يروكلمن<sup>(١)</sup> .

نشأ ، إذن ، مشدوداً إلى وترين : وتر الإسلام  
وجاذبية روحانيته ، وتر الجاهلية وذكرياته الحميمة  
ليها ، وتر التجديد روحاً وموضوعاً ، وتر التقليد منهجاً  
وطرائق وحسية تصوير . ثم أنه هو نفسه شاعر  
مخضرم ، فلا يعقل أن ينقلب بين عشية وضحاها إلى  
شاعر مجدد مهما كانت دوافع التجديد قوية أسرة .

ويمضي العهد الإسلامي الأول كله على هذه  
الوتيرة ، فلا تجديد ، عند حسان وغير حسان من  
الشعراء . وكذلك مضى النقد على الوتيرة نفسها . إلى

(١) انظر : تاريخ الأديب العربي لبروكلمن ج ١ ص ١٥٧ .

أن كان العهد الأموي حيث التمت في الأفق بعض  
ومضات التجديد .

ومما أبقى حسان أسير ماضيه الجاهلي . أنه عاش  
كشاعر وكإنسان ، زمناً طويلاً في رحاب الفساسة  
والمناخرة على أطراف الجزيرة العربية ، يتعشش بشعره  
ويحقق به مقلاً رفيعاً ومجداً قلما دانه فيه شاعر سوى  
النايفة . . وظل هاجساً طوال إسلامه ، يحن إليه وإلى  
رموزه حيناً جارفاً أنصح عنه في كثير من المناسبات ،  
كما سنرى .

### هويته :

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن خرام بن زيد  
مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار<sup>(١)</sup> . . . بن  
ثعلبة ، وهو العنقاء بن عمرو ، سمي بذلك لطول  
عنقه . . . انتهاء بيهرب بن قحطان .

---

(١) وينو النجار هم تيم الله بن ثعلبة لأخوال رسول الله ﷺ فلشاعرنا إذن  
صلة بالرسول وقربة . الخاقاني ج ٤ ص ١٣٤ ويسمون بني معلقة ، وهي  
امركة من القين ، واليهما كتبوا ينبون . رواية مصعب الزبيري عن  
الحسن بن علي .

**گنتہ :** \_\_\_\_\_

يكنى **حسان** بابي الوليد ، وأبي عبد الرحمن ،  
وأبي حسان .

\_\_\_\_\_ : **آیه**

أما أمه فهي الفريضة ابنة خالد بن قيس بن لوزان  
عبدود . : ابن الخزرج . أدركت الإسلام واسلمت .

فیسبک

إذن هو من بني النجار من قبيلة الخزرج ، يمني  
قحطاني ، يوقى من جهة الأم إلى آل جفنة الغساسنة  
العرب المسيحيين اليقطينيين ملوك الشام<sup>(١)</sup> وكنفلك إلى  
المنافذة اللخمين العرب المسيحيين النسطوريين ملوك  
العراق في الحيرة<sup>(٢)</sup> .

(١) وكانوا على خلاف عقدي مع المناوذة السطوريين حول طبيعة الهد  
المصحح . يفسرون بغيرهم في جلق ، وليس في دمشق . فكانوا  
أقرب الى حياة البلدية منهم الى حياة الحاضرة على عكس أقربائهم  
المناوذة ( في الحيرة ) الذين كانوا يشتهون ببيعة أسيادهم الأكاسرة  
وطرائق عيشهم وسكناتهم .

(٢) الحمرة أو حرا في السرمية ، ومضغها الخيمة . مما يدل على ان المتأخرين سكنوا الخيام في اوائل حكمهم . ثم لما تغلبوا بالأكاسرة بنوا مثلهم القصور وتحصروا . حتى تاريخ العرب المطول ج ١ ص ١٢٢

فهو بهذا طيب الأرومة عالي النجار صافي  
العروية . . وقد أحس هو بذلك إحساساً عميقاً ، ظهر  
في مدائحه لأقربائه آل جفنة الغساسة ، وآل المنذر ،  
كما ظهر في مفاخره ، واعتزازه ، في شعره ، بإتنامه  
إلى أرفع بيوتات العرب القحطانيين .

### طول عمره : —————

يجمع المؤرخون على أن حائناً أسنّ حتى بلغ  
المائة والعشرين . نصفها أو يزيد في الجاهلية ،  
والنصف الآخر في الإسلام . ومعنى هذا أن حياة  
الشباب ، والهوى ، والمجون ، والتجوال ، والعيش في  
القصور مع الملوك ، قد أنتجا لنا شاعراً مشبوب  
العاطفة عميق التجربة ، ذا نتاج قيم ، أو هكذا يجب  
أن يكون ؛ بإمكانه أن يصل بمضيه ، على الأقل ،  
إلينا ، في كثير من هواجسنا وهواطفنا ، ورؤانا .

أما حياة الشيخوخة والعيش في رحاب الجو النبوي  
المهيب ، والإلتزام الإسلامي الرهيب ، فقد أفرزنا لنا  
شاعراً فاتراً متواتر المعاني ، لا قيمة فنية تذكر لشعره ؛  
واشدد على فنية ، كما سنرى — إذ أن باقي مدائحه  
النبوية ، ومدافعاته عن العقيدة الإسلامية تنضح بالصدق

وطول باعه في معرفة أنساب المشركين وأيامهم  
ومخازيهم ، كما تنم عن عزيمة الإلتزام وصرامته في أن .

مثل هذا الشعر إن دل على شيء ، فإنما يدل ،  
في المقياس النقدي الصحيح ، على حقيقتين لاثالثة  
لهما . أولاهما : أنه جاء وثيقة تاريخية في قالب  
شعري ، لأهم مرحلة من مراحل الإسلام في أولى  
إنشاقاته ، وبواكير ظهوره ، تسجل بأمانة ما كان يعانيه  
النبي ﷺ من إهداء مشركي مكة له ، كما تسجل أهم  
انتصاراته وغزواته ، وتتغنى بمآثره وصفاته ، والقيم  
الجديدة التي بشرَ بها وعمل لها ، ويجاهد في سبيل  
تجسيدها في أرواح وكيانات الرعييل الأول من  
المسلمين .

وهذه الحقيقة لا تمنح الشعر امتيازاً في نظرنا ..  
لتسجيل الوقائع والأحداث من شأن الشر وموضوعاته .  
إذن ، هو نظمٌ وليس شعراً ، وبالتالي فهو لا يحصل بنا  
إلا كما تصل البديهيات - المسلمات في العقول  
والأذهان ..

وثانيتهما : أن نتاج الشيخوخة لا يمكن ، إلا في  
حالات نادرة ، أن يأتي إبداعياً أو مثيراً ، أو قادراً على

الإستمرار ، لأن الموهبة تكون ، في الستين وما فوق ،  
قد خبت أو كادت ، وضائق دائرة إشعاعها ؛ فيصبح  
الشاعر معها وقد اجتر نفسه وكرر معانيه ، ولم يأت  
بجديد ، كما هي الحال مع أكثر شعرائنا القدامى ومنهم  
حسان .

### قبيلة الشاعر - الأنصار :

تقدم معنا أن حسان كان من الخزرج لجهة أمه  
ومن الأوس لجهة أبيه . وحين نصرروا النبي ﷺ يوم  
جاءهم مهاجراً إلى المدينة سمووا بالأنصار . يقول ابن  
خلدون في تاريخه<sup>(١)</sup> : « ونزل رسول الله ﷺ على أبي  
أيوب الأنصاري حتى ابتنى مساكنه ومسجده . ثم انتقل  
إلى بيته ، وتلاحق به المهاجرون ، واستوعب الإسلام  
سائر الأوس والخزرج ، وسموا بالأنصار يومئذ بما  
نصروا من دينه » . وكانت لهؤلاء الأنصار حرمة وإشارة  
عند النبي ﷺ لما بللوه في سبيل الإسلام من دمائه  
وأموال وحماية ، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يشهد لهم  
بذلك .

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ج ٢ من ٢٠٨ طبعة دار الكتاب العربي -  
بيروت .



وحين بلغهم من بعض المنافقين أن النبي ﷺ يقسم  
 الغنائم « فومن كان يستألفه على الإسلام من قريش  
 ومساوهم ، وجدوا<sup>(١)</sup> في أنفسهم وقالوا : سيوفنا تقطر  
 من دمائهم ( دماء المهاجرين ) وغنائمنا تقسم فيهم  
 إلخ » وبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم وقال : يا معشر  
 الأنصار : ما الذي بلغكم عني . فصدقوه الحديث<sup>(٢)</sup>  
 فقال : ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي ، وعالة  
 فأغناكم الله ، ومتفرقين فجمعكم الله ؟ فقالوا : الله  
 ورسوله أثنى . فقال : « والله اني لأعطي ( الغنائم )  
 رجالاً استألفهم على الدين ، وغيرهم ( أي أنتم ) أحب  
 إليّ . . . أما والذي نفسي بيده ، لو لا الهجرة ، لكننتُ  
 امرأة من الأنصار . الناس دناء ، وأنتم شعاب ، ولو  
 سلك الناس شغباً ، وسلكت الأنصار شغباً لسلكتُ  
 شغب الأنصار ! ففرحوا بذلك . إلخ . . . »

وهكذا أصبح كل إنسان يسكن المدينة<sup>(٣)</sup>

(١) وجدوا : من الوجد أو الاضطلال .

(٢) إشارة إلى الحديث الذي نقله بعض المنافقين إلى النبي .

(٣) وكان اسمها أول الأمر . يثرب . سميت باسم بابنها يثرب بن فاتية ابن  
 مهلهل بن إرم بن عيل ابن عوف وعيل آخر عاد . والأصح ، على  
 رأي ابن خلدون : أنه يثرب ابن سائد بن عبيد بن . . . عمليق بن  
 لاود بن إرم . ومنه المماثلة . لما الأوس والخزرج لم يوطد جفنة =

أنصارياً ، وأصبحت المدينة منسوبة بحلول النبي ﷺ فيها<sup>(١)</sup> . وكل قبيلة فيها أنصارية ، وحسان بن ثابت أصبح أنصارياً . لكنه ذهب وحده بهذه الصفة ولازمته واشتهر بها ، فقبيل : حاسن بن ثابت الأنصاري . وغلبت الشهرة النسب / ولعل هذا الضرد بالأنصارية ناتج عن كونه شاعر النبي ﷺ المميز عن سائر شعراء الدعوة من المهاجرين ، ورمزاً ساطعاً من رموز الأنصار ، والناطق الأوحد باسمهم ، المتغني بمآثرهم وأمجادهم ، وحسن بلائهم في الإسلام ونصرة نبيه .

هؤلاء الأنصار تساموا بالخطوة لبني النبي ﷺ ، وكادوا يتفوقون على المهاجرين في حبه والاستشهاد بيه

:- الفلسفي وحين هاجز إليها الرسول سماها طيبة بدلاً من يشرب ( من الشرب وهو اللوم والتعير ) فكانه كره ذلك .

(١) غوطب الرسول في القرآن باسماء والقباب وبموت كثيرة اسمها : النبي والرسول . يرجع الدكتور جواد علي ان كلمة نبي عبرانية Nabî وقد وردت النقطة في اكثر من ٣٠٠ موضع في العهد القديم . نقابها في العربية كلمة : نبأ Nabîa ونبو Nabîu وتعني . الرأي أي الناظر والمنظر يوحي من الله قبل كونها في هذه اللفظ . وكل رسول نبي . غير ان من الأنبياء من ليسوا رسلاً . والرسول عند المسلمين أقل عدداً من الأنبياء بكثير للتفصيل انظر : تاريخ العرب في الاسلام د. جواد علي ط ١ دار الحديث بيروت ١٩٨٣ .

ييديه ، مما ولد عندهم شعوراً بالعزة ، من جهة ، وبالإحقة في خلافته ، من جهة أخرى . حتى إذا توفي النبي ﷺ « اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة »<sup>(١)</sup> بن كعب ، ودعت الخزرج إلىبيعة سعد بن عباد . وقالوا للمهاجرين : « منا أمير ومنكم أمير ، ضنا بالأمر أو بعضه فيهم ، كما يقول ابن خلدون »<sup>(٢)</sup> لما كان من قيامهم بنصرة رسول الله ﷺ . لكن المهاجرين رفضوا . فلذكروهم الأنصار بوصية النبي ﷺ ، في آخر خطبة له ، حيث قال : « لو وصيكم بالأنصار انهم كرشي »<sup>(٣)</sup> وعييتي<sup>(٤)</sup> وقد قضا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ؛ فلو وصيكم بأن تحسنوا إلى محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئتهم . قال المهاجرون : لو كانت الإمارة ( الخلافة ) لكم ، لكانت ، ولم تكن الوصية . فحججهم ، فقام

---

(١) خبر سقيفة بني ساعدة : ملخصه : قال الطبري : اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لوصيوا سعد بن عباد . فبلغ ذلك أبا بكر فجهل وجهه عمر وأبو عبيدة بن الجراح . فقال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء الخ نظر عمر سعد أملاء .

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٦١١ طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت .

(٣) كَرَشِي الرجل : صار له جيش بعد انقراذه .

(٤) عييتي : من الرجل : موضع مرء .

زعيم الخنزرج وبائع لأبي بكر ، واتبعه الناس ، الخ<sup>(١)</sup>  
 أما سعد بن عبادة الذي رشحه الأوس فقد تخلف عن  
 البيعة ، ولحق بالشام ، إلى أن ملك . ويروي عنه ابن  
 خلدون خبراً لا يخلو من طرافة وخيال مفاده أن الجن  
 هم الذين أهلكوه . كما روى بيتاً لأحد شعرائهم يقول فيه :  
 نحن قتلنا سيد الخنزرج سعد بن عباده  
 وضربناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده ..

### فتش عن اليهود ! :

وكان في المدينة ، عدا الأوس والخنزرج فئة قليلة  
 من اليهود من بني النضير ، وبني قريظة ، يتعاطى  
 أكثرهم الزراعة ، ويرجع المؤرخ حني في تاريخه  
 المطول<sup>(٢)</sup> أنهم يتحدرون « من القبائل العربية والآرامية  
 التي تهودت » . كما يذكر أنهم هم الذين استبدلوا اسم  
 « يثرب » القديم باسم جديد : « مدينا » وهو آرامي .  
 ثم أعطاهم المسلمون صفة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ  
 إليها ، فصارت : المدينة المنورة ، وصارت هكذا في  
 التاريخ .

(١) تاريخ العلامة ابن خلدون ج ٢ ص ٦١٢ .

(٢) تاريخ العرب المطول - حني - ج ٢ ص ١٤٦ .

وعين جاء الرسول ﷺ للمدينة مهاجراً ، دعاهم إلى الإسلام ، بعد أن أسلمت الأوس والخزرج ، فأبوا ذلك ، وراحوا يكيلون للنبي ﷺ ، ويؤازرون أحزاب المشركين يوم الخندق . .

وعندهم النبي ﷺ أنهم إذا أسلموا يأمنون على دنائهم وأموالهم وأبنائهم ، فأبت بنو قريظة ، فَحَكَمَ الرسول ﷺ بقتلهم . كما كان قد أمر بني النضير بالجلء عن المدينة ، بعد أن رفضوا المدخول في الإسلام<sup>(١)</sup> .

وقد كانت هاتان القبيلتان اليهوديتان ، بمواقفهما المخزية والمؤذية للإسلام في أوائل عهده ، مادة نخصة لشاعر النبي ﷺ حسان ، فراح ، في حرية تامة وحملات ديني حارم ، يمجوهما ، مصوراً لؤمهما وعداءهما للإسلام وحملتهما التاريخي لكل دين غير دينهم ، كما سنذكر ذلك في حقه .

---

(١) وبعد الآفات في عسفهم رحلوا إلى عسير وموحصين في اليمن ، وبعضهم رحل إلى الخزجات وأوها . للتفصيل : انظر كتاب : موكب النبوة في سيرة الرسول للاستاذ المرحوم محمد زكي يونس ص ٢١٢ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٠ .

## صفاته ، ما ثبت منها وما لم يثبت : —————

سمته : كانت لحسان ناصية ( أو غرة ) قد سد لها بين عينيهِ . وعشرون مخضب بالحناء ولحمة غير مخضبة . قال له ابنته عبد الرحمان : يا أبت : لِمَ تفعل هذا ؟ .

قال : لأكون كأنني أسدٌ والغب في دم ا ومن عاهاته الجسدية أنه كان مقطوع الأكحل<sup>(١)</sup> . ولعل هذا من أسباب قعوده عن المدافعة ، بالسيف ، فجعلوا منه مثلاً في الجبن ، وأنعدام الشجاعة . حتى قيل : أجبن من حسان ،<sup>(٢)</sup> ..

## أخلاقه : —————

أما سائر صفاته ، فكرم العنصر وطيب الأرومة ، ونبل النفس والوفاء ، والجود ، وسرعة الخاطر ، وخصوبة الذهن ، وقريحة في الشعر فياضة .

---

(١) الأكحل : عرق في وسط الذراع . قال ابن سيده : يقال له عرق النساء في الفخذ ، وفي الظهر يقال له الأهر . وسمى عرق الحيلة ونهر الجن .

(٢) ستاثن مائة جين حسان في سمته .

وله مع النجاشي قصة تدل على نبهه وسماحه  
وجرائته :

هجا النجاشي الحارثي<sup>(١)</sup> يوماً حسناً . فهجا  
حسان قوم النجاشي بأبيات منها هذا البيت العائر :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم  
جسم البغال وأحلام العصفور

ثم قال لقومه : اكتبوها صكوكاً وألقوها إلى صبيان  
المكاتب : فما سُرَّ بضع وخمسون ليلة حتى طرقت بنو  
عبد المذنان حسان بالنجاشي مكبل اليدين ، وارغوا  
ببابه ، فقال لابنته : ما هذا الذي أسمع ، قالت : ما  
والله أدهي . قال : إن أبلك كان ذا شرارة في العرب  
بلسانه . فانظري من طرفني . فإن كانت ابل تعوي  
هواء الكلب توطأ على أذناها كأنها تراحف إلى ودائها  
فهي ابل مضرية : وإن كانت تبكي ، تشكي المذارى ،  
تلوي أصابعها . . فهي ابل الحارث بن كعب ، وقد  
أتيت بالعبد ( يريد النجاشي ) . قالت : يا أبت هي  
والله ، كما وصفت . قال : لندي بأبيات « اطم » ( أي  
حصن ) حسان ليأتيك قومك . فحضروا . فلم يبق أحد

---

(١) النجاشي الحارثي من بني الحارث بن كعب : ابن سلام ص ١٢٥ .

في عالية ولا مسافة ، إلا رمي بهم إلى فارغ اطم حسان  
 معهم السلام . فلما اجتمع الناس ، وُضع منبر ، ونزل  
 في يده مخرصة . فقام عبد الله بن عبد الممدان .  
 فقال : يا ابن الفريمة ، جئتلك بابن أخيك . فاحكم فيه  
 برأيك . . فأتي بالنجاشي فجلس بين يديه ، واعتذر  
 القوم : فنادى ابته ، فقال : البقية من جائزة معاوية .  
 فاته بمائة دينار إلا دينارين . فقال ( للنجاشي ) : دونك  
 هذه يا ابن أخي . . وحمله على بخله امد الرحمان ،  
 فقال له ابن الممدان : يا ابن الفريمة ، كنا نفتخر على  
 الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا . قال كلا ألس  
 القائل :

وقد كنا نقول إذا رأينا  
 لذي جسم يُمد ، وفي بيان  
 كأنك أيها الممطى بياناً  
 وجماً ، من بني عبد الممدان  
 فعادوا الى الافتخار بملك<sup>(١)</sup> .

وواضح ما في هذه الواقعة من آية النبيل والسماح ،

---

(١) انظر كتاب : شرح هيران حسان بن ثابت الأنصاري . تحقيق  
 البرقوقي - دار الأندلس - بيروت ١٩٨٣ .



حين تمكن من النجاشي الشاعر وشهر بقومه وانخراطهم ،  
لما كان منه ، بعد ان مثل النجاشي بين يديه مقيداً ،  
إلا أن عاد وذكر ابن الملدان بقوله : وقد كنا نقول اذا  
رأينا ( البيتان ) .

ليرد بذلك اعتبار قوم النجاشي ، وكرامتهم .

اما ما لها من الجرأة الادبية فواضح ولا حاجة  
لثباته . ناهيك « بشرارة لسانه » الأسود السليط ، على  
حد تعبيره ، هجاء وتحدياً واستعلاء .

فأين جبن حسان ، إذن ، وما مدى صحته ؟ :

هل اخناه قلعه ولسانه عن زنده وسيفه ، ام سقط  
دونهما في ساح البطولة والابداع ؟ ظهر لنا ، حتى  
الآن ، ان حسان كان يتمتع بصفتين واضحتين : شرة  
اللسان في الهجاء ، والجرأة الادبية التي برزت في عدة  
مواقف ، في الجاهلية والاسلام .

وهذه قصته مع النجاشي بن الحارث ، كما تقدم ،  
وموقفه من الحارث بن هشام ، حين حمّره بفراره يوم  
بدر . قال يؤنب الحارث :

ان كنت كاذبة الذي حدثتني  
فنجوت منحي الحارث بن هشام

ترك الأحبة ، لم يقاتل دونهم  
ونجا برأس طمرة ولحم  
ملأت به الفرجين فامتدت به  
ونوى أحبته بشر مقام  
وكان الحادث هذا قد فر يوم فتح مكة أمام ضغط  
المسلمين<sup>(١)</sup> .

وقد ظلت جرأته الأدبية مرافقة له حتى بعد أن  
عمي وشاخ : روى صاحب العقد<sup>(٢)</sup> عن جبلة بن  
الأيهم بن أبي شمر الغساني لما أراد أن يُسلم على يد  
الخليفة عمر بن الخطاب . . . ثم ارتداده السريع عن  
الاسلام ، وتنصره . . . الى آخر الرواية التي جاء في  
آخرها : « ثم التفت جبلة الى الجوارى اللواتي هن  
يمينه ، فقال : يا الله اطريرتي . فاندفعن يتقنين يخفن  
بعيدانهن ويقلن :

لله در عصابة ناعمتهم  
يومنا بجلف في الزمان الأول

(١) العقد الجديد ج ١ ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٥٨ وهي رواية مفصلة .

يُسْقَوْنَ مِنْ وَدِّ الْبَرِيصِ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ  
 بَرْدِي<sup>(٢)</sup> يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ  
 أَوْلَادَ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ  
 قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ  
 يُفْتَشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُكَ لَابِهِمْ  
 لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ  
 بِيضِ الْوَجْهِ كَرِيمَةِ أَحْسَابِهِمْ  
 شَمِ الْأَنْوَفِ ، مِنْ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup>

وهكذا يظهر من سياق الرواية أن حسان ، بالرغم  
 من إسلامه ، لا يزال يكن لانسابه الغسانية ،  
 وبالأخص لهجته ، حباً لم ينكسه ، حتى في حضرة  
 الخليفة ، بل جاهر به ، وتباهى ، كما في الأبيات  
 التالية :

إِنْ ابْنُ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ  
 لَمْ يَفْتَنُّهُمْ أَبْلُؤُهُمْ بِالسُّلُومِ

(١) البريص : نهر بدمشق ( لعله من روافد بردى ) .

(٢) وفي مكان آخر : راحاً بديل بردى .

(٣) لا غرو فقد كان أكثر شعر حسان يفتنى به ( كما جله في العقد ج ٢  
 ص ٦ ) .

لم ينسني بالشام إذ هوربها  
ملكاً ، ولا متنصراً بالروم  
يعطي الجزيل ، ولا يراه عنده  
إلا كبعض عطية المعلوم  
فقال له رجل كان في مجلس عمر : أتذكر ملوكاً  
كثرة أبادهم الله ولقناهم ؟ قال : من الرجل ؟ قال :  
مُرَني . قال : أما والله ، لولا سوابق قومك مع رسول  
الله لَطَوَّقْتُكَ طرق الحمامة .

ليس هذا دليلاً كافياً على جرأته الأدبية الصارخة ،  
رغم شيخوخته وهماه ، إلى جانب وفاته واعتزله بجميل  
تلك «العصابة» التي نادى بها ، يوماً بجلق ، في هواكير  
الشباب ؟ ...

وهذا هو يتحدث الخليفة عمر نفسه ، لكن بأدب .  
جاء في الاغتاني<sup>(١)</sup> : مر عمر بحسان وهو يشد في  
مسجد رسول الله ﷺ . فانتهره عمر . فقال حسان : قد  
انشدت فيه من هو غير منك فأنطلق عمر<sup>(٢)</sup> . كما  
وردت الرواية بشكل آخر على لسان مسلم بن يسار .

(١) ج ٤ ص ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه .

قال : مر عمر بحسان ، وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ . فأخذ بأذنه ، وقال : ارغاء كرغاء البعير؟! فقال حسان : دعنا عنك يا عمر! فوالله لتعلم أنني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فلا يُقَرَّ عليّ ا فصلقه عمر .

وواضح ان كل معاني البطولة الأدبية ورموزها في حسان - الانسان ، قد نطقت وتجسدت ، في مثل هذه المواقف ، فعوضت عن تلك البطولات المادية التي لم يكن من سبيل اليها عند حسان - الشخص لاسباب صحية وفيزيولوجية واضحة ، تجاهلها خصومه ، وحيانا كثيرة ، مجتمعه الذي كان لا يزال مجتمعا بدويا - فروسيا في عاداته وتقاليده . فلا يعقل ان يكون في رجل ، اي رجل ، لا يصول ولا يطلول ولا يحارب مع المحاربين ، مهما كانت معاذيره وتعللاته . مجتمع يزهو بوجود علي وعمر وابي بكر وخالد واسامة وعلى رأسهم النبي ﷺ ، ومن قبلهم ، في الجاهلية ، امثال عمرو بن ود ، وعشرة بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، وابن معدي كرب ( صديق حسان ) وعلى رأسهم ابو سفيان . . مجتمع ، كهذا ، كل قيمه ، وكل مفاخره وامجاده مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقوتين المادية والمعنوية ،

الجسدية والعقلية ، فلذا انصرف الرجل الى القوة الملدية  
او الجسدية خسر شيئاً كثيراً ووجد صعوبة كبرى في  
تحقيق اي نوع من انواع السيادة او الرياسة بالقوة  
المعنوية وحدها .

هكذا مجتمع حاول الاسلام جاهدا التخفيف من  
غلواء مثل تلك القيم حين دعا وياصرار الى الوسطية في  
كل شيء . ولولا تدخل النبي ﷺ في مسألة قعود حسان  
عن الحرب لقضي عليه قضاء مبرما . .

لقد كان النبي بأمثال هذه المواقف الانسانية يرمص  
لمفاهيم جديدة في مجتمع جديد يكون فيه الدفاع عن  
القيم والمقائد بطولية سقراطية اهم بكثير من البطولات  
الجسدية او الحربية وحدها . ويكون فيه الموقف  
الجريء ، والكلمة الشجاعة امام الطغاة ينطق بها  
مجهورة رجل هزيل مضموف الجسد ، اعمق تأثيرا من  
بطولات عترية لا تدوم طويلا . والبطولة الحققة قد  
تكون احيانا بالصمت عندما لا يفيد النطق ، كما عند  
الرواقيين ، وليس بتضريب أعناق الملوك ، وان تُرى  
لك الهبوات السود والعسكر المنجّر . . لا غير . .

اذن : لقد ذهب حسان ضحية مجتمعه ، ولم ينقله

سوى لسانه ، في الهجاء ، وحسن دفاعه عن الاسلام  
بالشعر ، واحتضان النبي له .

### عقاب وثواب : —————

جاء في الاغانى<sup>(١)</sup> : كان حسان بن ثابت يجلس  
الى اطمه فارح ، وهو حصن متين ويجلس معه  
اصحاب له ، ويضع لهم بساط يجلسون عليه . فقال  
يوما ، وهو يرى كثرة من يأتي الى النبي من العرب  
فيسلمون :

ارى الجلابيب<sup>(٢)</sup> قد عزوا وقد كثروا  
وابن الفريجة<sup>(٣)</sup> أمسى بيضة البلد<sup>(٤)</sup>

(١) كان المشركون يسمون المهاجرين الذين اسلموا : الجلابيب ، او  
يسمونهم : الفلابيس . وهم الأعلاط من كل وجه ، والسفلة من  
الناس انظر : لسان العرب وتاج العروس في شرح القاموس ج ٥  
ص ١٢ .

(٢) ابن الفريجة : حسان بن ثابت . وكان ينادى به .  
(٣) العرب تقول للرجل : هو بيضة البلد ، يسمونه بذلك ، وتقول  
للاخر : هو بيضة البلد ، يسمونه بذلك . والممنوع يبرأ به البيضة  
التي يحضنها الطليم ويثبها ، لأن فيها فرجة . والممنوع يبرأ به البيضة  
المنبوذة بالمراد ، الطيرة ، التي لا حافظ لها ، ولا يترى لها أب ،  
وهي تريكة الطليم . قال الرماني : إذا كانت النسبة الى مثل المنجدة  
ومكة والحصرة فيبيضة البلد مدح ، وإذا نسب إلى البلاد التي أهلها أهل  
ضمة فيبيضة البلد ذم .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال : من لي بأصحاب  
البساط بفارح ؟ فقال صفوان بن المعطل : انا لك يا  
رسول الله منهم ، فخرج اليهم ، فاختطف سيفه ، فلما  
راوه عرفوا الشر في وجهه ، ففروا ، وتبددوا ، وادرك  
حسان داخل بيته فضربه فغلت إلية . قال : وبلغنا ان  
النبي عوزه ، بعد ان اسلم واعتذر ، حائطا<sup>(١)</sup> فباعه  
من معاوية ، بعد ذلك ، بمال كثير . فبناه معاوية  
قصرًا ، وهو الذي يقال له : قصر الدارين . وقد قيل :  
إن صفوان بن المعطل انما ضرب حسان لما قاله فيه من  
الافك الخ<sup>(٢)</sup> .

(١) الحائط : البستان . وفي كتاب التيه للبكري : فاصطه النبي عوزًا  
ببرحاء ، وهي قصر بين حطبة بالمدينة . كانت مألًا لأي طلحة بن  
سهل ، تصديق بها رسول الله ، فاصطه حسان في ضربته .

(٢) حديث الإفك : هو الحديث الذي تعرضه قوم (من المهاجرين) على  
عائشة زوج النبي . وكان ذلك عقب غزوة خيبر التي كان يصطحب  
فيها عائشة . فحدثته انه لفر بالرحيل . وكانت عائشة منطلقة لبعض  
شأنها ، فلما يهودجها فحمل على بعره . ولما انقضى عنها فيه . ولم  
تكن هناك . فلما رجعت عائشة إلى المروج ألقت النبي وأصحابه قد  
ارتحلوا . فمكثت مكثها حتى عثر بها صفوان بن المعطل فاسترجع  
وأشاخ ناقه مرجعها إلى المدينة . فلوجع بها تناس ، ورومها  
بالأفك ، وكان منهم حسان بن ثابت ، حتى نزلت الآية الكريمة ببراءة  
زوج النبي . الخ الخ ج ١ حاشية الصفحة ١٥٦ .  
وقد سمي هذا الحديث بحديث الإفك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلِئِينَ =



كما عوض النبي حسان عن ضريبة صفوان بن  
 المعطل له بأن وهبه سيرين ، وهي أمة قبطية ، واخت  
 مارية القبطية إحدى زوجات النبي وام ابراهيم ابن  
 رسول الله ، فأولدها حسان ابنه عبد الرحمان . فتمت  
 له قرابة نبوية ولا ارقى . . ألم تكن ، الشاعرية والحظوة  
 والجراة الادبية كافية ، لتكون بديلا عن كل بطولة جسدية  
 اكتفى بها اصحابها . .

ثم ذلك الرضا والمباركة بآتيانه من لدن النبي  
 الكريم ، في كل مناسبة يُطْفَن فيها حسان ويتم في  
 رجولته ، ألها كاترين لوضعه في صفوف ابطال المسلمين  
 الذين دافعوا عن الدعوة وصاحب الدعوة ، دفاعا نهاليا  
 فذاثيا ، سواء بسوفهم ام بالستهم ، ولعل وقع الالسة  
 في القلوب ، اشد واعق من وقع الالسة . وحسان كما  
 علمنا صاحب ذلك اللسان الذي وصفه صاحبه بأنه  
 « يفلق الصخر » وانه شواظ من نار . مشحونا بكهربائية  
 الالمان ، و « معلوماتية » اي بكر وخبرته بأنساب  
 المشركين ومثالبهم .

جاء في العقد<sup>(١)</sup> : قال النبي لحسان : شن

== جازوا بالافك حصة منكم ﴿ سورة التور الآية ١٠ .

(١) العقد ج ٢ ص ٢٧٧ .

القطاريف على بني عبد مناف . فوالله لثبثك اشد  
عليهم من وقع السهام في غلس الظلام . وَتَحَفُّظُ بَيْتِي  
فيهم . قال حسان : والذي بعثك بالحق نبياً ، لأَسْلُتْكَ  
منهم مسلَّ الشعرة من العَجِين . ثم اخرج لسانه فضرب  
به ارنبة أنفه ، وقال : والله يا رسول الله انه ليخيل لي  
لو وضعت على حجر لقلقه ، او على شَعْرٍ لحلقه . فقال  
النبي : ايد الله حسان ، في هجوه ، بروح القدس<sup>(١)</sup> .  
لست ادري كيف لا تستقيم لمثل هذا الانسان رجولة  
اذا جمع كل ، صفات الرجولة ما عدا البطولة  
الجسدية . هل قضى على الفكر العربي الا يفكر او  
يزن الرجال الا بميزان القوة الجسدية وحدها ؟ هل  
هلبنا ، اليوم ، ان نبقي قائلين مع السلفين ، بجبن  
حسان دون تبرير او تمحيص ، هل نمي باحثونا  
المعاصرون مقاييس علم النفس الحديث ، ومعايير  
الشخصية البطلة ، فراحوا يكررون ما قاله القدامى عن  
حسان وجبن حسان . . . حتى ضربوا به المثل ، فقالوا :  
اجبن من حسان ؟ ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث  
الموضوعي ، والسبر العميق لمثل شخصية حسان ،

---

(١) أكد الصحابي ابو هريرة هذا القول في ما روى عن النبي ﷺ . انظر  
المقي ج ٤ ص ١٣٧ .

وحقيقة وضعه الصحي على الأقل<sup>(١)</sup> .

مضى المقدامى في سرد روايات جبن حسان ، لا يلوون على شيء ، ومضينا ، نحن ، في اثرهم لا نلوي على شيء ، كان فينا ، مثلهم ، نهماً للشهير ، وطمس حقائق الاعلام ، والتعظيم على كفءاتهم الأخرى التي كثيراً ما عوضت عما خسروه ، قسراً ، في ميادين البطولات المادية ، والمتريات . . إن ما رواه عن جبنه ، وقعوده عن الحرب ، كان شيئاً كثيراً حقا . ننقل منه ، هنا ، بعضه ، لا لتأكيد ، أو التشفي من صاحبه ، فليس بيننا ، وبين حسان ، والحمد لله ، سوى صلات واهية من انسانية وقومية . . بل لتبيان هزاله وحلم صحته ، ورفع الظلم عن شاعر كل ذنبه انه كان مقطوع الاكل لا يقوى على حمل السيف والقتال .

ولسنا هنا للدفاع عن بطولة حسان غير الموجودة ، او لاثبات عكس ما اتهم به . فنحن لا يهمنا ذلك اطلاقاً ، بل كل ما يهمنا اظهار زيف تلك الروايات التي لفقت عن جبن حسان ، وتهافت حججها ، وانقطاع

---

(١) كان حسان مقطوع الاكل كما علمنا وهو عرق في وسط الجراح . كما تؤكد ذلك روايات القلة . فكيف يحمل سيفاً ؟ وإذا حله لى له أن يحارب ويثبت في المعرك . .

اسانديها ، ومدى ما لحق بالتراث واعلامه من تزوير  
وتحريف .

### من هذه الروايات :

جاء في الكامل لابن الاثير<sup>(١)</sup> عن جبن حسان ،  
في واقعة الخندق ( الاحزاب ) : « وكانت صفية ، حمة  
النبي ، في فارح<sup>(٢)</sup> وكان حسان فيه مع النساء ، لانه  
كان جباناً . . ( ولم يقل : مريضاً أو عاجزاً عن القتال  
كما هو الواقع ) قالت : فأتانا آت من اليهود . فقلت  
لحسان : هذا اليهودي يطوف بنا ، ولا نأمنه أن يدل  
على عوراتنا . فانزل اليه فاقتله . فقال : والله ما انا  
بصاحب هذا ، قالت : فدخلت عمودا ، ونزلت اليه  
لفقتله ( . . . ) ثم رجعت فقلت لحسان : انزل اليه  
فخذ سلبه . فانه يمنعني منه انه رجل . فقال : والله ما  
لي سلب من حاجة . الخ . .

على اننا لا ننكر تولد حالة تشبه حالة الجبن لدى  
اصحاب المعاصات الجنسية ، يسميها علماء النفس :  
الاسترخاء ، او الخوف او القعود عن تقويم الصعاب .

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) الفرح : اسم من لحسان .

حسان يهجن حتى عن انتزاع اسلاب اليهودي بعد قتله .. هذا ، ان صحت الرواية ، ليس جنباً على كل حال ، بل استرخاء او خوف وقعود قسري من التضح . . وهي حالة يبررها اليوم علماء النفس التجريبيون ، ويقولون انها تخلق لدى صاحبها شعوراً بالدونية *Sentiment de moindre valeur* يسعى معه أمثال حسان جاهدين ، الى اجترار امور غير عادية ، او التطلع دائماً الى العلاء *Sublimation* لتفطية ذلك الشعور او التعويض عنه . وهذا ما فعله شاعرنا حين راح يحقق ، منذ اصيب ، اسجاده الشعرية ويؤكد ذاتيته ، كشاعر اوجد للاتصال ولسائر أهل الهمن ، ثم برز ، بعد اسمه ، كشاعر للنبي يكاد يكون اوجد ايضاً ، مؤيداً « بروح القدس » على حد تعبير النبي نفسه ، مما زاده اعتلاء بنفسه واستعلاء الى درجة انه تحدى حتى الخليفة عمر ، وكبار الصحابة ، وابطال المسلمين<sup>(١)</sup> ، متسلحاً بحماية النبي له ، وكونه شاعر

(١) يقول اطر : اشهر علماء النفس الألمان : ان تحول الانسان بالدونية لي بأنه دون غيره ، من اعظم الدوافع الى العمل وسبل الجهد ، وان الفرزة المنسلطة هي فرزة السيطرة والتطلع الى العلو . وعندما يصير الشخص من إيجاب ذاته واكتساب الفؤد الاجتماعي الذي يصبو اليه ، نظراً لمحبته الجسمانية خاصة ، كقصر القلعة ، لويح الهشة ، او

الانصرار ، وسائر اهل المَستَر ، على حد تعبير ابي  
عبيدة ، حيث يقول<sup>(١)</sup> : اتفقت العرب على ان اشعر  
اهل المَستَر اهل يشرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ،  
وعلى ان اشعر اهل يشرب حسان بن ثابت ، وانه شاعر  
اهل اليمن في الاسلام .

وهكذا تولد عند شاعرنا « المعاق » و فهم « تام  
و لحالته » فواجه سوء فهم الكثيرين لهذه الحالة ،  
بالصراحة التامة ، كما جرى له مع صفية عمة النبي ،  
وبالعودة في اطمه فارح ، مع النساء يوم الخندق . فقد  
تقمصت ، في لادعيه ، تلك الحالة بحيث استطاع ان  
يتمثلها<sup>(٢)</sup> ويهضمها ، فتجري معه في دمه وكيانه  
وشعوره ، ولا يرى فيها بأساً . .

---

الاحليلاب ، لو شئت في الاطراف ( كما عند حسان ) اوضح في  
النظر ، اوحى في اللسان الخ لانه يلجأ الى سبل مختلفة من  
التصوير ، قد تؤدي به احياناً الى الضيق والقيام بأعمال جلية ،  
واسيراً انتهى الى استطاع سلوك شاذ كالقوة ( كما في مجاهد حسان )  
والاستبداد في ضحك البنية الخ . والادعاء الكاتب والصلف ( شمة  
حسان ) فلما عندما راح لي أكثر مشاعره يتلن بالقوة والبطولة  
في معارك لم يخضها .

(١) اغني ج ٤ ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) من التمثل في التصوير السيكلوجي Assimilation .

وهذا ما يؤكد علماء النفس بقول بعضهم : « انه كلما نجح المرء في ان يُخرج الى ضوء العقل ، كل ما هو مختبئ في هاشم الشعور ، وان يركّزه في بؤرة الشعور ، اصبح قادراً على ان يملك زمام نفسه ، وان يحقق في شخصيته المثل الأعلى الذي نادى به سقراط : اعرف نفسك »<sup>(١)</sup> وحان عرف نفسه حين اخرج الى ضوء العقل « كل ما هو مختبئ في هاشم مشاعره ، من احساس بالخوف والتقص في كمال جسده ، فتعامل مع نفسه ، ومع الآخرين ، على انه انسان سوي ، وصريح ، وجريء ، ومميز ، وانه يُشغل ، بعيداً عن بطولاتهم المادية ، حيزاً اجتماعياً واسلامياً وفتياً مرموقاً هو البطولة الحققة حينها . وحسبه بطولة ، انه جاهد في سبيل ذلك جهاداً مريراً . . وفاز . .

قلت : انني حين انفي تهمة الجبن عن حسان ، لا لود ان اضعه بين الشجعان ، فهذا امر لا يهمننا ، نحن ، ولا يهمه هو ، كما لا يهم المعجبين بشعره ، او غير المعجبين .

(١) انظر كتاب مبادئ علم النفس العام ، د. يوسف مراد دار المعارف بمصر ط ٧ ص ١٨٢ .

فنحن قد نكره في ابن الرومي ، مثلاً ، تردده ،  
وخوفه ، ووساوسه ، لكننا لا نملك إلا أن نهضت من  
اعماقنا لروائع وصفياته ، ودقة تصويره لخلجاته ،  
ومراثياته ، وابداعه في السخرية وتجسيد هبوب  
المشوهين ، والتافهين . .

ونحن قد نكره ، كذلك ، في حسان ، اشياء  
كثيرة ، الا اننا لا نملك الا نعجب به كشاعر ( جاهلي  
خاصة ) في تصويره لمزايا ملوك القساسنة وتلك الحياة  
الرخية التي عاشها في اكنافهم . وهذا الهتاف الحار  
لذكرياتها : **الله در عصابة نادمتهم . . .**

وجبن حسان كان ، كما سنرى ، فرية ، لا اساس  
لها من الصحة . . ومن الظلم ان يستمر هذا الجبن  
صفة لازمة من لوازم حسان ، يأخذها المتأخر عن  
المتقدم على انها حقيقة . لا مرأى فيها ، ولا  
اصطناع . . فانبرنا ، في هذه الدراسة ، لنرفع هذا  
الحيف عن شاعر ، كل عيبه ، انه كان مريضاً ، مقطوع  
الأكحل ، وفي ذمائه بالذات . . وليس جباناً على  
الاطلاق . وعزاء هذا الانسان ، انه ليس اول ولا آخر  
من اقترى عليه الرواة الملققون الذين اسلوا ، من  
حيث يشعرون أو لا يشعرون ، الى التراث واعلامه ،



فشوهوا تاريخ الادب ، والفلسفة والدين بما اختلفوا ،  
ولفسوا . . غير انه لا يسعنا ، هنا ، ان نفيض في  
ذلك ، كما فصل أحد المحققين المعاصرين<sup>(١)</sup>  
حيث عقد فصلاً كاملاً ، ملأ من كتابه نهضاً وستين  
صفحة ؛ اظهر فيه زيف الكثير من الروايات ، وتلفيق  
الرواة سواء في تاريخ الادب العربي ، وسيرة اعلامه ،  
او في الحديث النبوي ، وما دس عليه من نحل ،  
وتشويه ، واختلاق : متنبهاً الى تهمة الجبن التي  
الصفت بحسان ظلما وبهتاناً ، مرجعاً بطلانها ، بعد  
مقارنات وتحقيقات قام بها خلّل النصوص الواردة في  
المراجع المختلفة ، معتمداً منهجية علمية افترق اليها  
القدامى ، وخانت اكثر المعاصرين . .

الهك ، بايجاز ، اهم اسباب الشك في صحة  
التهمة :

أولاً : ان قصود حسان عن المشاركة في حروب  
المسلمين ، وغزوات النبي لا يمكن ان يكون بسبب  
الجبن . فالاسلام لا يعترف بالجبن في الرجال ، ولا

---

(١) انظر : نظرات جديدة في تاريخ الادب للدكتور أحمد لؤي السليمان  
البناني ١٩٧١ - بيروت .

يجيز للجبناء مثل هذا القعود ، لكي يسمح لحسان وغير حسان الا يشاركوا في قتال المشركين ؟ فلا استثناء في هذا المجال الا للعميان ، والعرج ، والمرضى ، كما تنص الآية الكريمة في سورة الفتح<sup>(١)</sup> . حتى الشفوخة ، مع سلامة البنية ليست مانعاً في المفهوم الاسلامي الجهادي . وحسان كان فعلاً مريضاً اي مقطوع الاكمل في النزاع الضارية . وهو سبب وجيه مقروناً بتقديم حسان في السن<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : كان لحسان خصوم في الجاهلية والاسلام ، وشعراء الداء يهجونه ويهجومهم بأقبح الصفات . ومع هذا لم نجد أحداً منهم تناوله في جنبه وخوفه وتقاعسه . مع ان هذا الجبن لو كان صحيحاً لوفر لخصومه مادة دسمة للطعن والتجريح . كما فعل جرير ، مثلاً ، مع الفرزدق ، حين هجاء في رخن ساعده ، وضرباته الطائشة . وهذا ديوان حسان بين ايدينا ، وكثير من المراجع الأدبية كالأغاني ، والكامل ،

---

(١) الآية : ﴿ ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار . ومن يحول عليه جناحاً ليا . ﴾

(٢) كان حسان قد تجاوز الستين من عمره أيام الرسول .

ومروج الذهب ، والشعر والشعراء وغيرها ، فأننا لا نجد فيها شاعراً ممن هجوا حسان ، يوجه إليه تهمة الجبن . تناولوه في كل شيء ما عدا تهمة الجبن ، وهم من هم ضراوة في مصالوة حسان<sup>(١)</sup> ومقارعتة الحجة بالحجة والتهمة بأقوى منها . وهذا الأخطل ينعت « بالجحش » حيث يقول :

وإذا نسبت ابن الفريضة خلته  
كالجحش بين حمارة وحمار  
ولعمري ان حسان كان يفضل ، الف مرة ، ان ينعت بالجبن على ان ينعت بأنه جحش بين حمارة وحمار .. او ان يطعن في نسبه ودينه . وإخلاصه لهذا الدين ، على ان تنزع عنه صفة الانسان ..

ثالثاً : قصة صفة حمة النبي ، وقتلها ذلك اليهودي المتسلل ( الى فارغ ) بممود على رأسه ، او بين كفيه .. وامتناع حسان ، لجبنه ، عن البروز له وسلبه ، قصة مضروقة مقطوعة الاسناد ، مشكوك في صحتها من أساسها الى رأسها . قال عتق قديم هو

---

(١) أمثال : تيس بن الحطيم ، وحيد الله بن الزبير ، وضراوة بن الخليل ، والنجاحي بن الحارث وعروة بن العاص ، والأخطل .

السهلي في كتابه : الروض الأنف ، عن القصة ايها :  
 « ومجمل هذا الحديث عن الناس ان حسان كان  
 جباناً ، شديد الجبن ، وقد رَفَعَ هذا بعض العلماء  
 وانكروه ، وذلك انه حديث منقطع الاسناد ، ولو صح  
 هذا لهجي به حسان الخ » .

رابعاً : اما قول بعضهم ، وهو ابن السراج بأن  
 « سكوت الشعراء عن تعبيره بذلك ( اي الجبن ) هو من  
 اهلان<sup>(١)</sup> النبوة ، لانه شاعره عليه السلام » فهو قول متهافت  
 وساذج « لان كثيرين ممن خاصموا حسان وكانوا اهلًا  
 لتعبيره ، لم يكونوا يؤمنون بنبوة رسول الله ، وكانوا  
 يلمون حتى النبي نفسه »<sup>(٢)</sup> وقد رأينا ان من المسلمين  
 من لم يكن يحترم في حسان حظوته من النبي ، او  
 على احسن تقدير يتناساها ، كما فعل الخليفة عمر حين  
 أخذ بأذي الشاعر عندما صمعه ينشد شعراً في مسجد  
 رسول الله صالماً به « ارغاء كرفاء البحر »<sup>(٣)</sup> ولولا جرأة  
 حسان في جوابه المشهور : « اني والله كنت أنشد فيه  
 من هو خير منك ، لهزيء بهذا حسان ، وأخزي » .

(١) اهلان او علامت : معجزات .

(٢) نظرات جديدة في تاريخ الادب ط ١ ص ٩٣ ، الجامعة اللبنانية - بيروت

وضربة صفوان له بالسيف حتى قَلَقَ إليه ، ثأراً منه على ما تأوله عليه الشاعر في حديث الإفك . كل هذه المواقف من الشاعر ، لا تشير الى ادنى احترام له ، او تقدير لحظوته من النبي ، وبالتالي ، فلا معجزة ، او شبه معجزة لجمت هؤلاء الخصوم عن ايهاء الشاعر ، وسحرتهم او اذهلتهم عن التعرض له ، ووصمه بأية آفة او نقیصة : كما ذهب ابن السراج في قوله الى « ان سكوت الشعراء عن تعييره بالجبن هو من اصلام النبوة »<sup>١</sup>.

يذكر المحقق شوقي ضيف : « ان النبي كان من فرط وثوقه بحسان واشاره له برفع ازواجه الى اطمه ( اطم حسان ) ، حين يخرج لحرب اعدائه »<sup>(٢)</sup> . فما معنى هذا بالنسبة الى جبن حسان ؟ معناه ان النبي ، وهو ادرى الناس بحسان ، لو كان يعرف انه جبان لما ائتمنه على نسائه في غيابه . . إذ ليس ضرورياً أن يكون الجبان في الحروب جباناً مع النساء ! والمأهة النفسية تجر صاهات ، وتخلق في الانسان آفات أقلها الكلب والخيانة . فالجبن يُعرف عند علماء النفس

(١) انظر كتاب : العصر الاسلامي د. شوقي ضيف ص ٧٨ دلو المعارف بمصر ط ١ ، ١٩٦٣ .

بأنه : « هروب من المواجهة القاسية » . وعامة الكذب والخيانة التي يخلفها الجبن هي أيضاً : هروب من المواجهة وتزوير الحق والحقيقة . . والنبي الكريم من اكبر علماء النفس في عصره : فِرَاسَة ، وسبراً ، وحذراً . . ثم إن الأمين يَأْتَمَنُ الأمين ، لا الجبان . . ويتق بالشجاع لا الرعيد . .

محاسناً : صحيح أن حسان كان يفتقر التماساً  
والأماً ، حين يخاطب نفسه ، خَبَرَ صاحبه « شعشاء » في  
مثل قوله :

لعمري ايُّك الخير يا « شعث » صائباً  
على لساني في الحروب ، ولا يلي

لكن هذا دفاع انسان نبيل تجنى عليه اللؤماء ،  
ونعتوه ، بما هو أقسى من الجبن ، وربما اتهموه  
بالنسوية ، اذا صبح التعبير ، وبالتخلف ، والجلوس مع  
النساء في اطعمه ، متجاهلين اسباب ذلك من مرض او  
نقص في الذراع ، وافتقار الى وسائل البطش والقتال .  
فقدوه ، حتى خالجه شعور دائم بالنقص والضعف  
والهوان ، فتصدى له بالنفي والتعالي حيناً ، والمكابرة  
والادعاء حيناً آخر ، خاصة امام حييته « شعث » أو

« شعناء » .. وإمام نفسه الأحب . وطالما تصاعدت من  
سويدائه ، وعلى أسلالت لسانه السليط ، زفرات حرّى ،  
في شكل هجاء هجومي مرير : ما أباي ، أنبّ بالحزن  
نيس أمّ لحائي ، بظهر غيب ، لثيم .. أو في شكل  
انكفاء على الذات ، واستسلام حزين ، هو السعادة كل  
السعادة ، في نظره ، حيث يتطهر بالبرامة ، والبعد عن  
الأنى :

وإن امرأً يمسي ويصبح سالماً  
من الناس ، إلا ما جنى ، لسعيد<sup>(١)</sup>

حينته إلى عشراء الصبا ( في الجاهلية ) :-

روى صاحب المقد<sup>(٢)</sup> عن جبلة بن الأيهم بن أبي  
شمس الغساني ، لما أراد أن يسلم على يد الخليفة  
همر بن الخطاب ثم ما كان من أمر طوافه في الكعبة ،  
واصطدامه بأحد الأعلاج الذي وطئ ثوبه ... ثم  
ارتداداه عن الاسلام وتنصره .. إلى آخر الرواية التي  
جاء في آخرها : « ثم انفتحت جبلة ، ( في قصره  
بالقسطنطينية ) إلى الجولاري اللواتي عن يمينه فقال :

(١) نظرات جديدة ص ٩٦ .

(٢) المقدج ٢ ص ٥٨٥ .

بالله اطربني ، فاندفعن يتغنن ويقلن :

لأنه در عصاة نادتهم  
يوماً بخلق في الزمان الأول.

ويمضين في ترتيل قصيدة حسان :

يسقون دوماً الرحيق ولم تكن  
تدهي ولا تدمع لنقض الحنظل  
فلبثت ازماناً طوالاً فيهم  
ثم ادركت ، كأنني لم أفعل  
ولقد شربت الخمر في حانوتها  
صبياء ، صافية ، كطعم الفلفل  
يسمى علي بكسائها متنظف  
فجعلني منها ، ولو لم انهل  
ان التي ناولتني فرددتها  
قُلت ، قُلت ، فهاها لم تُقتل . .

وتتم لُجْبة نشوتان : نشوة السكر ونشوة الشعر .  
وحين صحا منهما أراد ان يُسلم ولكن . . وها هو ،  
حسان ، بالرغم من اسلامه . لا يزال يكن لعشراء الصبا  
ولذات العمر الأول حباً لم تمحه الأيام ، وحينئذ ما فنيء  
يخالجه وينعشه . يروى انه كان ماراً ليلاً بازاء قبر



صديقه القديم الحميم ربيعة بن مكرم<sup>(١)</sup> ، فلذا بناقته  
تفر من حجارة القبر ، فتثير فيه هذه الحركة ذكريات  
هوى دفين لذلك النديم الأغر والفراس المَعْلَم الراقِد  
تحت الثرى ؛ يتهر ناقتة وكأنه يويخها على نضورها من  
تلك الحجارة الحرة الكريمة . قائلًا :

نفرتُ قلوصي من حجار حُرّة  
نصبت على طلق المدين وهوب  
لا تنفري يا ناق منه فإنه  
شريب خمر ، مُسَوِّر لحروب  
لولا السفر وطول قفرتهم  
لتركناها تحبو على عروقوب

حقاً إن الحنين إذا تغفل في كيان الشاعر ،  
انهمر ، عند أول إشارة ، وأدنى إشارة ، وقوة التمثل  
والمشاركة تبرز في هذا الحوار الحميم بعقده الشاعر  
بين نفسه وناقته وقبر صديقه وما تتطوي عليه « حجارته  
الحرة » من ذات كريمة لبطل كريم أقل شمائله انه :

---

(١) هو ربيعة بن مكرم من بني فراس ... بن كنانة ، وكان ينظر على قبره  
في الجاهلية ، ولم ينظر على قبر أخيه المقدح ١ ص ١١٦ .

شريب خمر مسعرٌ لحروب<sup>(١)</sup> . فهي حجارة تنلدى  
بالخمرة ، وتلظى بنار الشرف والكرامة . . وتجمع  
التقيضين وتتأبى على العلمين . . وينهض البطل الميت  
حياً رغم البلى . . ليعانق حنين الأوفياء . .

ويترى حسان ليتلو على الضريح - الصديق صلاة  
غفران واعتذار ، ويسكب دمع وفاء وثناء . بهله الأبيات  
الآهات التي ، ان دلت على شيء فوق هذا ، فانما تدل  
على ان العقيدة الجديدة ، مهما سمت وترسخت في  
كيان الشاعر - الانسان ، لا يمكنها ان تمحو فيه كياناً  
آخر أصيلاً ، وقيماً أخرى جليلة ، وذكريات شباب عاشه  
بكل أحاسيسه الأولى ، وبواكير صبواته ، في ذلك  
الزمان الاول الذي نادم فيه الأثقال والأبطال ، وارتشف  
معهم رحيق الصبا ، ووضباب الجمال . .

ولعل اسلام امثال حسان من الأوفياء ، هو عندي  
أروع وأثبت من اسلام غيره من الذين خلت قلوبهم من  
ثمالات الهوى والحب والحنين والوفاء . .

قد يلداني حسان فارسٌ محب ، ويظل عاشق ،

---

(١) شريبٌ خمرٌ مسعرٌ لحروب : يختصر الشاعر بهذين الصفتين أقوى  
وأعلى صفات البطولة واليافة في الجمالية .

لكن يتلنى عنه ، حتماً ، فارس بلا حب ، وبطل بلا  
عشق ، ومؤمن بلا قلب . . وشاعر بلا ذكريات . .

### حسان الجاهلي :

مع آل جفنة ، لقرية ، الفساية<sup>(١)</sup> .

وكانت إمارتهم في الشام حاجزاً بين أسياحها  
الرومان ، وخلفاتهم البيزنطيين ، وبين بدو الصحراء ،  
نرد غاراتهم ، وتساعدتهم في حروبهم ضد الفرس ،  
ومن كان يؤيدهم من عرب المناذرة في الحيرة  
بالمراق . وهكذا نشأت إمارتان عربيتان متصارعتان ،  
يؤمّن ملوكها وامرؤهما مصالح القباصرة من جهة ،  
والأكاسرة من جهة أخرى . كما نشأت في شمالي نجد  
إمارة ثالثة ، هي إمارة كتلة دانت بالولاء لملوك اليمن  
الحميريين .

(١) جاء في تاريخ ابن خلدون ج ٧ ص ٥٨١ ما يلي : قال المصموي :  
« سار عمرو بن قتيبة حتى اذا كان بالشقرة بمكة ، اقام هناك بنو  
نصر بن الأزد ، وحمير الكاهن ، وعلي بن حنيفة بن عمرو بالأزد ،  
حتى نزلوا بلاد الأحمريين ، وحك ، حتى ما يقال له حسان بن  
واحين يقال لهما زييد وزمعة ، فشرروا من ذلك الماء فسموا حسان .  
وكانت بينهم وبين نقة حروب ، الى ان قطرت بهم نقة ، فالتحق بهم  
الى الشقرة ، وهو جبل الأزد وهم على قنوق الشام ، ما بينه وبين  
الجبال يلي أعمال دمشق والاردن » .

وآل حفنة أو الغسانية ، هم أيضاً من أصل يمني ،  
 نزحوا مع من نزح من عرب الجنوب إلى الشمال ،  
 كقبائل جذام ، وعاملة ، وكلب ، وقضاة . أما جفنة ،  
 ومنه الملوكة ، فهو ابن عمرو بن عامر مزينة ، واخوه  
 الحارث ، وثعلبة وهو العنقا ( لطول عنقه ) أحد أجداد  
 الشاعر حسان ، فليس مستغرباً ، إذن ، أن يمدحهم  
 ويتغنى بمآثرهم ، وسطولاتهم . ولا سيما صديقه  
 جبلة بن الأيهم الذي خصه شاعرنا بمدائح معروفة .  
 وظل الاثنان على حب واعجاب متبادلين حتى بعد  
 اسلام حسان وتنصر جبلة<sup>(١)</sup> .

وملوك حسان على التوالي هم : الحارث بن عمرو  
 مزينة ، ثم الحارث بن ثعلبة بن جفنة ، وهو ابن مارية  
 ذات القرطين ، وقد ذكرها حسان في شعره ، ثم  
 النعمان بن الحارث بن جفنة ، وأبو شمر بن الحارث ،  
 واخوه المنذر بن الحارث ، وجبلة ، وبعدهما عوف بن  
 أبي شمر ، وفي هذه كانت بعثة الرسول . وقد كتب  
 النبي إلى الأحياء من هؤلاء الملوك يمدحهم إلى  
 الاسلام ، فلم يسلّموا ما عدا جبلة بن الأيهم الذي

---

(١) انظر قصة جبلة مع الخليفة عمر بن الخطاب في مطلع سابق من هذا  
 الكتاب .

اسلم ثم لوتد وتصر ، وهو آخر ملوك غسان<sup>(١)</sup> وجفنة هو الذي بنى جلق او جلولا قرب دمشق ، وهي ليست دمشق كما توهم الكثيرون .

وتعد أيام الحارث بن جبلة « لزهى أيام تمرت بالفسامنة ، إذ امتد سلطانهم في « بطرا » الى الرصافة ، شمالي تدمر<sup>(٢)</sup> . اما ابنا الحارث الأصغر : النعمان وعمرؤ فقد كانت لهما جهوش جرارة تجوب نجداً والصحراء الشمالية ، وتدين لهما القبائل العربية الأخرى بالطاعة . وعمرؤ هذا هو الذي كثيراً ما خصه شاعرنا بمدائح . ومنها المدحية الشهيرة التي ذكرنا بعض أبياتها ، ومطلعها :

اسألت اسم الدار، ام لم تسأل.  
بين الجواي<sup>(٣)</sup> فالبضيع فحسومل.

إلى أن يقول :

---

(١) مجموع ملوك غسان أحد عشر ، على رواية المسموطي . واتسان وثلاثون على رواية ابن سعد في تاريخ الأمم . وقد تحدر منهم « الشركس » بعد نزوحهم إلى القسطنطينية .

(٢) وهي غير رصافة بغداد بالطبع .

(٣) جمع لجلية الجولان ، ما بين دمشق الى الاردن .

## لله در عصابة نامتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

ويبدو ، من اخبارهم ، ان الغساسنة لم يكونوا  
اجلاًفاً ، على بدلوتهم ، وسكناتهم الوير ، بل كانوا  
ذوي نعمة ويسر . وصف شاعرنا مجلساً من مجالس  
جَبَلَةَ بن الأيهم . فقال : « لقد رأيت عَشَرَ قِيان : خمس  
روميات يغنين الرومية بالرباط . وخمس يغنين غناء اهل  
الحيرة . وكان يقد اليه مَنْ يُغْنِيهِ مِنَ العرب من مكة  
وغيرها . وكان اذا جلس للشراب فسرّش تحته الاس  
والياسمين ، واصناف الرياحين ، وضرب له العنبر  
والمسك في صحاف الفضة والذهب ، واتي بالمسك  
الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندي إن  
كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بَطْنٌ بالكُج . واتي هو  
واصحابه بكساء صيفية ، يتفضل هو واصحابه بها في  
الصيف ، وفي الشتاء الخراء الفَنَك ، وما اشبهه ، ولا  
والله ما جلست معه قط إلا خَلَعَ عليّ ثيابه التي عليه  
في ذلك اليوم<sup>(١)</sup> .

شاب في مقتبل العمر ، ولبان الطموح الى الشهرة

(١) اخفي (سلي) ١٤/١٦ .

والمجد الأدبي ، لا بد الا ان ينتجع مثل هذه  
المتجمعات ، تخفيفاً من جفاف صحرائه ، وفراغ  
شبابه . فكيف اذا كان المتجع غسانياً وعند انسابه آل  
جفنة بالذات ؟ .

إذن كان سهلاً عليه الاتصال بهؤلاء الانساب  
والعيش معهم ، كما كان صادقاً الصلق كله في  
مدحهم ، وتصوير حياتهم في خشونتها ، وفي لينها ،  
وحروبهم في كرها وفرها ، وكان اكثرها كراً موفقاً  
تَوَجُّه أخيراً في يوم حليلة ، الذي انتصروا فيه على  
المنافرة انتصاراً كامحاً . حتى ذهب مثلاً ، فقيل : وما  
يَوْم حليلة بسر<sup>(١)</sup> . تذكر سيرته انه كان يمكث في  
المدينة سنة ، وسنة عند ملوك غسان يصف ايمانهم  
ويتغنى بمآثرهم وينال عطائهم . ولا غرو ان يوفق في  
ذلك لانه كان جزءاً لا يتجزأ من ذلك الجو الملكي  
العابق بالطيب من كل نوع ، وبالاربعيات من كل  
لون . .

---

(١) وحليمة : هي بنت الحارث بن أبي شمر الفسلي . وجه أبوها جيشاً  
إلى المظفرين ماء السماء . فانجرت حليلة لهم مركناً فلبسهم . ويوم  
حليلة أحد أيام العرب المشهورة ، وهو يوم التقى المنذر الأكبر  
والحارث الأكبر الفسلي . شرح النجاشي ص ٢٠١ ( البرقي ) .

## مداعبات :

وكثيراً ما كان الحارث الغساني يداعبه ليرى مدى صدقه في صحبتهم لهم . قال له مرة : يا ابن الفريعة ! لقد نبئت انك تفضل النعمان ( بن المنذر اللخمي ) عليّ . فقال : وكيف الفضله عليك . فوالله لفتاك احسن من وجهه ، ولأمك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه . ولحرمانك انفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولشمالك اشروع من غديره . ولكرسوك ارفع من سريرته ، ولجدولك اغور من بحره ، وليومك اطول من شهره ، ولشورك أمد من حوله ، ولحولك خير من جفبه ، ولزندك اورى من زنده ، ولجندك اعز من جنده ، وانك من غسان ، وانه من لخم . فكيف الفضله عليك واحدله بك ؟ . فقال : يا ابن الفريعة ، هذا لا يُسمع الا في الشعر فانشد :

نبئت أن أبا منذر

يسلميك لسلاحك الأصغر

فتاك احسن من وجهه

وامك خير من المنذر

ويسرى بديك على عسرها

كيمنى يديه على المعسر



وشتان بينكما في النمل  
وفي البأس والخير والمنظر<sup>(١)</sup>  
وتراه حين يفتخر بنسبه يمدح الغساسنة أيضاً .  
ذلك لأنه منهم وفيهم :

ألم نَرْنَا أولادَ عمرو بنِ عامرٍ  
لنا شرف يعلو على كل مرتقى<sup>(٢)</sup>  
رسا في قرار الأرض، ثم سمت له  
فروعٌ تسامي كلُ نجمٍ محلق  
ملوك وإبناء الملوك كأنما  
سواي نجوم طالعاتٍ بمشرق

ولا يفتك حسان مربوط الكيان بمن كانوا هم  
الكيان ، مهما بعثت الأيام ، وشط المزار ، فكأنه لا  
يجد نفسه ، ولا يتحس ذاته إلا بهم ؛ رغم بعده  
عنهم . وهذه « شعاء » تذكره بهم فيضعف حينه ،  
فينشد :

يا لقيوم ، هل يقتل المرأة مثلي  
واهن البطش والمظالم سؤوم<sup>(٣)</sup>

(١) الخير : الكرم وقيل الشرف .

(٢) عمرو بن عامر هو : مزنياء بن عامر بن ماء السماء بن حنظلة .

(٣) يقصد صاحبه شعاء .

همها العطر ، والفراش ويعلو  
 ها لجيئ ، ولؤلؤ منظوم  
 لو يلب الحولي من ولي الد  
 ر ، عليها ، لأتبتها الكلام  
 لم تفقها شمس النهار بشي  
 غير ان الشباب ليس يدوم  
 إن خالي خطيب جابية الجو  
 لأن ، عند النعمان ، حيث يقوم<sup>(١)</sup>  
 وأبي في «سميحة»<sup>(٢)</sup> القائل الفا  
 صل ، يوم التفت عليه الخصوم  
 وأنا الصقر ، عند باب أبي سلمى  
 يوم نعمان في الكبول مقهم<sup>(٣)</sup>  
 ويذهب في هذه الانشودة كل ملعب في الفخر

---

(١) أراد بالنعمان بني جفة أو الفاسنة . عماله : سلمة بن مخلد .  
 الجابية : الموضع الكبير . الجولان : من أعمال دمشق على طريق  
 مصر .

(٢) سميحة . يثر بالمدينة ، كانت للأوس والخزرج ؛ تحاكموا عندها إلى  
 جده المنذر بن حزام

(٣) ابن سلمى : النعمان بن المنذر النخعي . نعمان : هو ابن مالك بن  
 نوفل بن عوف ، وكان حبه النعمان بن المنذر ، فوسط له حسان ،  
 وأطلقه .

والانتساب والمباينة ، والتعريض بابن الزيمري<sup>(١)</sup> ،  
وتسليط الأضواء على ذاته ومكانته ، وعظم شأن قومه  
من بني عبد الدار بن قصي ؛ رغم أنه الصقر ( السيد )  
عند باب النعمان بن المنذر . لكنه عند باب شعثة عبد  
أسير لحاظها وعطرها . يقتله غنجا ويذيه جمالها ،  
وتفخره أضواء فتتها ، ويصيه ريمان شبابها .. لكن ،  
مهلاً ، يا شعثة ، أيتها الجميلة المدلة : تأكدي أنك  
بصندوقك وهجرتك تسيثن إلى هذا الجمال ، حين  
تستيقن ذات مساء فيلذا بهذا الجمال وقد ذوى بين  
يدي الزمن :

---

(١) هجا حسان ابن الزيمري ، قبل أن يسلم هذا الأخير ، طبعاً ، وهو عبد  
الله بن الزيمري بن فوس بن حنفي بن سعد القرشي . كان من أشد  
شعراء قريش على النبي وأصحابه . وكان من الشعر الناس على رأي  
ابن سلام . أسلم عام الفتح بعد أن هرب إلى نجران فرماه حسان  
ببيت واحد كان كافياً ليمود من نجران ويسلم على يد النبي ويحضر إليه  
فيقبل النبي عليه . هذا البيت هو :  
لا تأخذ من رجلاً أحلك بنفسه

نجران في عيش أجد لئيم  
وابن الزيمري هو القاتل في جعله ،  
حيلة ثم صوت ثم نشر حيلة خرافة يا أم عمرو  
وهو القاتل يمنح سيد قريش عمرو بن لطي ( حاتم ) ..  
عمرو الملا حاتم الشريد لقومه ورجال مكة مستون عجاج

لم تفتتها شمس النهار بشيء  
غير أن الشباب ليس يلوم ..  
وإذا بي أبذل جمالك بجمال آخر<sup>(١)</sup> ومستلهم ،  
يومها ، أشد التلم ..

هكذا يجري حسان ، في الجاهلية ، على حرية  
مطلقة ، ويلهية هيش وشباب ، تلوة عند انبثائه  
الفساسة وتارة عند المنافرة ، لكن النابغة كان يستأثر  
باعتجاب هؤلاء وعطايهم . فلم ينل عندهم شاعرنا ما  
تمناه ، وتارة ثالثة نراه يتنقل في الأسواق منشداً شعره ،  
وحين استمع اليه النابغة في عكاظ ، بعد ان استمع الى  
الخنساء ، قال له : انك لشاعر ، وانها لبكامة .. وهو  
ميزان نقدي ، مزاجي ، كما نرى ، يصدر عن حكيم  
عكاظ وحكيها دون تبصر او موازنة دقيقة . ميزان

---

(١) يروى ان حسان احب فتاة اخرى وتزوجها تدمي فغرة . وهي غير  
عمرة بنت علقمة الحارثية التي خرجت مع زوجها من بني عبد الدار  
(في معركة أحد) فلما قتل اصحاب اللواء ترك ويقر خارجاً لا يريه  
أحد فاعتقه عمرة عليه ورفضته فلجئوا اليها ثم اوتلوا على المسلمين  
الذين انشغلوا بالنسب . واقلب النصر هزيمة . اما عمرة صليحة حسان  
فهي . عمرة بنت الصلت بن محالد بن عطية تزوجها حسان ثم طلقها  
ثم اتبعها نفسه . وهناك عمرة ثالثة شبيب بها . بن بن الحليم . وهي  
عمرة بنت ربيعة اخت عبد الله بن ربيعة أحد شعراء النبي .

بدائي ، يعتمد البيت الواحد ، او الشهرة الغالبة ، او  
الميل الشخصي .

### حوار غير متكافئ : —————

إذا صحت الرواية التي تقول إن الخنساء انبرت  
لحسان بالنقد حين سمعته ينشد النابغة فخريته التي جاء  
فيها :

لنا الجفنفات الغر يلمعن بالضحي  
واسيافنا يقطرون من نجدٍ قما .

فقالت له على التو : لقد قلت : يلمعن بالضحي ،  
وكان حقه البدجي . وقلت : الغر ، وكان حقه البيض ،  
ويقطرون . وكان الاجمل : يسلن او يفضن . وإذا صح  
أن النابغة دافع عنه وأنصفه ، وغلبه عليها . . تكون  
الخنساء - المرأة قد وقعت بين شاعرين (رجلين) لا  
يعترفان بقوة المرأة يومذاك على التفوق في الشعر .  
مع ان النابغة قال لحسان نقداً : « أنت شاعر ، ولكنك  
أقللت أجفانك ، وأسيفك ، وفخرت بمن ولدت ولم  
تمخر بمن وألفك » . قال الصولي في أوراقه : فانظر  
الى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقباء كلام  
النابغة ، ودياجة شعره ، لأنه قال : واسيافنا ، واسياف

جمع لأدنى العدد ؛ والكثير السيوف . والجففات ،  
كذلك ، لأدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخر  
بآبائه ، وفخر بمن ولد نسؤه .

وينضم الصولي الى ميزان النابغة ، وتبقى الخنساء  
وحيدة بلا منصف . . إلا من فوقها المرفف ورقة  
شعرها وتدفق عاطفتها فيه . النابغة اوسى يحكك  
شعره ؛ والخنساء تفيض كما الهبوب ، ثم تنهمر كما  
الشلال . . كما تبرز ، أمامنا ، مثلاً ساطعاً لهائيك  
الحرية المطلقة ، والجرأة الأدبية التي بلغت المرأة  
الجاهلية قبيل الاسلام ، شاعرةً وناقدة .

### حسان والمنافرة :

إذا كان سهلاً عليه الاتصال بلوكك الغساسنة  
الانبياء ، وإذا كان صادقاً الصديق كله ، في مدحهم ،  
وتصوير حياتهم في خشونتها ولينها ، وحروبهم في كرها  
وفرها ، فهل كان سهلاً عليه وينفس اليسر ، الاتصال  
بالمنافرة وهم أعداء الغساسنة ؟

لن يكون ذلك سهلاً على الاطلاق ، ومتجع  
الحيرة غير متجع جلق او الجابية او بصري ؛ وملوك  
المنافرة الكسرويون عقلية وعيشاً وطريقة حكم وسرعة

غضب ، هم غير ملوك الغساسنة الانعم والالطف  
والاحب والأبنت . . غير أن همة حسان ، وشاعريته ،  
وطموحه ، أبت إلا أن يظل شاعر البلاطات ، على  
تخوم الجزيرة : غسامنة كانوا أم مناذرة . لكن النابغة ،  
هناك ، بالمرصاد . وما هي ، في حسانه ، الا خطوة  
أولى ويتم اللقاء ، وتحقق الشهرة ، ويسرتوي  
العطشانان : عطش النعمان الى الاستطاب ، والشاعر  
الى زحزحة النابغة . . ولكن هيهات !

خطوة أولى بثمة : جاء في العقد<sup>(١)</sup> وولد حسان  
بن ثابت على النعمان بن المنذر<sup>(٢)</sup> قال : فلقبت رجلاً  
ببعض الطريق . فقال لي : أين تريد ؟ قلت : هذا  
الملك . قال : فإنك إذا جئت متروك شهراً ، ثم شهراً  
آخر ، ثم عسى أن يأذن لك . فإن أنت خلوت به

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) هو النعمان الثالث الملقب بليلى قابوس ، وهو ابن المنذر الرابع . جاء  
في الأساطير : أن النعمان احتكر زراعة ذاك النوع من الزهر البري  
الأحمر ، فلا يروج الا في حديقته الملكية حتى عرف بها وعرفت به  
فلقب : شقائق النعمان . ولكن هناك اسطورة اقدم عهداً من النعمان  
يجعل الإله أدونيس (تموز) يتقلب زهرة من شقائق النعمان حين عرج  
لصيد وهاجسه غزير بري ، فاختطف نابه في جسمه وقتله . ولا يزال  
الإله أدونيس يعرف بهذا القلب الى يومنا الحاضر لتظل . تلويح العرب  
المطول . حتى . جرد . ١ - ١٩٥٨ دار الكتاب - بيروت .

واعجبته ، فأنت مصيب من خيراً ، وإن رأيت أبا أمامة  
النايفة ، فاطمن ، فإنه لا شيء لك ، قال : فقلت  
عليه ، ففعل بي ما قال . ثم خلوتُ به ، وأصبْتُ مالا  
كثيراً ، ونادته . فيئنا أنا معه ، إذا رجل يرنجز ،  
حول القبة ، ويقول :

أنا ؟ أم يسمع رب القبة  
يا أوهب الناس لعن صُلْبَة  
ضاربة بالمشفر الأذية  
ذات نجاء ، في يديها جلبة

فقال النعمان : أبو أمامة ! ائذنوا له . فدخل ،  
فحياه ، وشربَ معه ، ووردت النعمُ السودُ ، ولم يكن  
لأحد من العرب بعيرٌ أسودٌ غيره ، ولا يفتحل أحدٌ فحلاً  
أسود . فاستأذنه النايفة في الانشاد . فأذن له . فأنشده  
قصيدته الشهيرة التي يقول فيها :

فإنك شمس والنجوم كواكب  
إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبٌ  
فأمر له بمائة ناقة من الإبل السود برعاتها . . فقال  
حسان : « ما حسدتُ أحداً ، قط ، حسدي له في  
شعره ، وجزيل عطائه » .



## الخطوة الثانية :

لكن حسان ما زال بهم حتى قلموه ، واستمعوا إليه ، خاصة بعد أن غضب النعمان أبو قابوس على النابغة ، حسب القصة الشهيرة التي تروي حكاية علاقة النابغة بالمتجردة امرأة النعمان ووصفه لها بما لا يليق . . لكن ، ظهر ، ان المنخل الشكري ، أحد شعراء البلاط ، هو الذي أراد أن يزيح النابغة عن عرش الشعر ، في ذلك البلاط ، فلفق تلك الرواية متهماً النابغة ظلماً وافتراء . وكان ان غضب النعمان على النابغة ، قبل التحقق ، ذلك الغضب الذي جعل النابغة يلتجئ إلى الغساسة ، فيمدحهم معرضاً بالمنافرة . ظهر أن التهمة والغضب أقضا على النابغة مضاجعه ، فراح يطلق أروع قصائده في تصوير خوفه من الملك النعمان ، معذراً عن هربه ولجؤه إلى خصومهم ، بقصائد مشهورة سميت بالاعتذاريات . وفيها تظهر براعته ، وصدق في وصف تلك التجربة الرهيبة التي مر بها . . الى ان رضي النعمان بعد ان اكتشف صلق الشاعر وخيانة المنخل مع المتجردة ، فيقتلها معاً ويستقدم النابغة ويرضى عنه .

أنشاء ذلك اطلق حسان في المنافرة بعض مدائحه

التي تفوح منها رائحة المصلحة الشخصية . وهي ليست من الجودة والصدق بمنزلة غسانياته طبعاً . وكثيراً ما كان يفخر ، فيها ، بنسبه ملحقاً الفساسة والمنافرة معاً ، الذين كانت بينهم قرابة في النسب . لكن هذه القرابة لم تمنعهم من الاقتتال ، والتنافس في حكم عرب الجزيرة . قال يعمد أبطال القبيلتين :

كجفنة ، والقمقام عمرو بن عامر  
وأولاد ماء المزن ، وابني محرق<sup>(١)</sup>

لم يطل المقام بحسان عند المنافسة وعاد إلى الفساسة بعد أن تركهم النابغة . حتى أدركه الإسلام وهو في المدينة ، بعد هجرة الرسول إليها . فأسلم مع الأوس والخزرج . وما لبث أن أصبح شاعر النبي الأقرب ، والأكثر حظوة .

لماذا ؟ والشعراء أيام النبي كثيرون ؟ جاء في

---

(١) جفنة : هو ابن عمرو بن ملوك الفساسة وقد تقدم تعريفه . القمقام : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل . أولاد ماء المزن . أولاد ماء السماء ، وهو لقب عمرو بن مزيق لأنه كان كماء السماء يوم قومه في الجندب وابن ماء السماء هو المنذر الثالث . وماء السماء لقب أمه مارية لوماوية . وهو والد عمرو بن هند . وهذا هو : أميرة غسانية نصرانية . وهي التي بنت الشعر المعروف باسمها في الحيرة . انظر : تاريخ العرب المطول لحي .

العقد<sup>(١)</sup> : شعراء النبي البارزون هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن الزبيري ( بعد أن أسلم ) وعبد الله بن رواحة ، ومن كبار الصحابة شعراء معزون كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب : كان راوية للشعر أكثر منه شاعراً . . . وعلي بن أبي طالب ، وكان أشعر الثلاثة ، وعمر بن العاص ، وأبو حمزة وأنس بن مالك خدام النبي وغيرهم كثير . لكن كبار الصحابة هؤلاء صرفهم عن قول الشعر دورهم الخطير في نشر الإسلام ، والذب عن حياضه ، وقال المشركين ، فلم يكن لديهم متسع من الوقت للانصراف الى قول الشعر : فمن قتال ، الى بعثات ، الى اقامة صلاة وحلود ، الى خطابة ، الى الاهتمام ، مع النبي وبعده ، بتأسيس دولة الاسلام ، وترسيخ بنائها الحديث ، الى الاستفتاء بالقرآن الكريم عن كل ما دونه من الشر والشعر . ثم ان النبي اضطر الى اصطناع الشعراء ، بعد ان اشتدت وطأة شعراء المشركين عليه . وقد اتهم النبي من قبل المشركين بأنه « شاعر مجنون » ( أي يستمد وحيه من الجن . . )

---

(١) ج ٥ ص ٢٨٣ .

فنزلت الآية بغني التهمة ، وتبعها آيات<sup>(١)</sup> . فلا يعقل ان يقول هؤلاء الشعر او يروجوا له<sup>(٢)</sup> . فقد اصبح الاسلام غذاءهم الروحي اليومي ، والقرآن رباختهم الفكرية والشعورية الدائمة .

ولا يكاد حسان يتغرد بزعمامة الشعراء ، بعد ان اطلق النبي لهم العنان في هجاء مشركي قريش ورد

(١) كما في الآية : ﴿ ويقولون اتنا فطرنا هؤلاء لعنهم مجنون ﴾ سورة الصافات ٣٦ .

والآية : ﴿ بل قلوا اخلافك احلام ، بل افتره ، بل هو شاعر ﴾ سورة الانبياء ٥٠ .

والآية : ﴿ لم يقولون شاعر فترهه به رب المتون ﴾ سورة الطور ٣٠ .

والآية : ﴿ وما هو يقول شاعر ، لئلا ما يؤمنون ﴾ سورة الحاقة ٤٠ .

(٢) علماً بأن كبار الصحابة لبثوا شعراء وثقفة شعر ، يروونه ويعلقون عليه . واسمياً ينظمونه . وقد نسب الى الامام علي هيران شعر ، ولكن الثابت ان له مقطوعات وشذرات شعرية ابتغالية وجعمية كثيرة اثبت منها صاحب كتاب : « اعيان الشيعة » والبيلاوي مجموعة لا بأس بها . وذكر الجاسق في البيان والبيان ونضال بني هاشم ان الامام علي كان اشعر الصحابة وانشطهم . ولذكر الصريضي في « معجم الشعراء » شعراً كثيراً للإمام . في حين ان الزمخشري لا ينسب للإمام سوى بيتين من الشعر هما :

تكلم قريش ثمناتي لتقتلني      فلا وريث ما يروا وما ظفروا  
فلان هلك قريش من ذمتي لهم      بللت ودفن لا يعضو لها السر

افتراءاتهم ، حتى يضوق عليه كعب بن زهير ، ويتنزع  
منه هدية النبي الكبرى : بردته الشريفة ، وكذلك كان  
عبد الله بن رواحة ، شاعراً ومناضلاً .

ولعل نبوءة تلك المكاة السامية لبى الرسول ﷺ ،  
كان ناتجاً عن كونه قريب النبي وزوج مسيرين شقيقة  
مارية القبطية زوج النبي وأم ولده إبراهيم ، من جهة ،  
ومن جهة أخرى كونه كبير الشعراء سنأ ، وأقدمهم  
شاعرية ، ومعرفة بأنسب المشركين خاصة بعد ان امله  
ابو بكر بمعلومات قيمة عنها ، استطاع بها ان « يسله »  
( اي النبي ) من بينهم ، كما نسل الشعرة من العجين  
على حد قوله ، وكونه لا عمل له تقريباً ، ولا مقدرة  
عنده إلا على الشعر ، بعد ان علمنا مرضه وضعفه  
الجسدي ، وانه كان مقطوع الاحمل . فكان النبي  
الطيف به من نفسه ، فصرفه عن كل جهد ومجاهدة ،  
وجعله يتضرع لهجاء المشركين والدفاع عن الاسلام  
« مؤيداً بروح القدس » كما قال له يوماً . . لا لانه  
جبان ، كما زعموا ، وقد اظهرنا زيف تلك التهمة في  
فصل سابق .

## هزال هذا التفوق فناً : —————

يبد أننا ، رغم شهادة الكثيرين من مؤرخي  
الأدب ، قديماً وحديثاً ، الذين تبرعوا ، بمجانية مطلقة  
وبسخاء حاتمي ، فاطلقوا على حسان نعوتاً والقاباً  
كثيرة ، أقلها أنه أشعر أهل المدر ، وأشعر أهل اليمن ،  
وشاعر النبي الأول والخ . . لا نرى لحسان أحقية مطلقة  
بهذا التفوق ، ولا استحقاقاً . . لا من حيث الصياغة ،  
او العمق ، ولا من حيث الجودة والابداع . . كل  
مدائحه النبوية ، وهجائياته في المشركين ، كانت تدور  
ضمن إطار روتيني كلاسيكي من المباني والمعاني  
المكرورة ، لا جودة فيها ، ولا إثارة ، ولا تنوع ، ولا  
خيال رفيع . ولعل ذلك عائد ، في نظري ، إلى نفوب  
شاعريته ، بعد أن شاخ ، وإلى ان الاسلام ، فيه من  
الغنى والوضوح والقوة والجدة ، بحيث لا يحتاج معها  
الشاعر الى المبالغة التي تزوق الواقع وتجمله ، وتصبغ  
الحقيقة الساطعة بصور الخيال ، وتهويل الجمال . .  
وتفاجيء القارئ بما لم يكن بالحسيان . . كان الاسلام  
هو المفاجأة الكبرى ، التي أخرست الشعراء ،  
وأقعدتهم عن أن يزيّدوا شيئاً عليه والقرآن آيته  
العظمى . . فكأنه جاء يلب الشعراء أدواتهم ،

ومستهم بما حمل من عناصر الدهشة ، والفكر والصورة  
والاعجاز .. فبالذا يمدح حسان ، وغير حسان ، هذا  
الدين ، وهو فوق مدحهم ، وفوق مجال خيالهم ؟ وماذا  
يضيفون على صفات النبي وشمائله . وهو الإنسان الفوقي  
الذي عنه الشاعر بقوله :

وإذا استظال الشيء قام بنفسه  
وضياء نور الشمس يذهب باطلاً  
لذلك جاءت معاني مدائح حسان وسواه ، معادة لا  
جديد فيها ، ولا تشويق ولا إثارة ، من الناحية الفنية .

كان حسان في الجمالية يقدح زناد فكره ، ويشير  
عجاج خياله حين يتغزل أو يمدح أو يهجو أو يصف  
فيأتي شعره عن تجربة معاشة ، ومعاناة في جو من  
الحرية المطلقة ، متاحة للخيال كما هي متاحة  
للإنسان . أما مع الإسلام فأمر الشعراء يختلف :  
أنهم ، من جهة ، أمام عقيدة متكاملة ، وصاحب  
عقيدة كامل ، وعبقري سوي .. ومن جهة ، أمام حد  
فاصل أو ( خط أحمر كما يقال اليوم ) لا يتعدونه ،  
وأمام التزام وشبه جبرية ، وتعبير آخر : أمام حرية  
محدودة لا مجال معها للتلاعب أو الكلب أو التزوير

وحتى التزويق ، او الخوض في موضوعات محرمة او متعارضة مع الفوق والقيم الجديدة .

ثم ان الجو الاسلامي العام ، خاصة في بدء الدعوة ، ليس جواً شعرياً ، يسترخي معه المملوح على هرشه واريكته وطفافه وهات يا شاعر ويا مطرب وابدأ بإحراق مبانعرك وكرامتك على قدمي سيدك . . بل هو جو مهيب ، وجدي ، مشحون بروح الثورة والجهاد . . جو قرآني ، لا مجال معه للتفیش والادعاء ، ونبش الاغراض ، والكلف . . كل المجال للوسطية في كل شيء . . . والشعر ، كما نفهم ، ونعلم ، تجربة حرة مبدعة ، لا مجال معها للوسط أو الانحدار عن الوسط ، لا سيما في مواجهة الحقائق المرفوضة والقيم الفاسدة . . يموت الشعر حين يواجه الحقيقة بتهيب والتزام وحذر وحياء ، فلا يخترق ، ولا يغير . .

وهكذا مات الشعر ، كظاهرة فنية تطويرية ايام الاسلام الاول ، وَجَعَدَ عند حدود سنته الاولى . بل لقد تأخر الشعر وانحدر الشعراء ، ايام النبي ، فلم يبدعوا ولم يجددوا ، وراحوا يدورون حول الحقيقة الجديدة ، ولا يدخلون رحابها لويضاغلون معها .



ولو كان الشعراء بدرجة من الوعي والحرية والثقافة  
 لنظروا الى الدين الجديد ، كظاهرة اجتماعية ابداعية ،  
 جاءت لتتشل الانسان ، كل إنسان من وثنيته ،  
 وهوانه ، وعبوديته ، وراحوا من هذه الزاوية يطرونها  
 ويتباهون او يتماهون بها ، كمصدر جديد من مصادر  
 استلهاهم ووحهم .. لو فعلوا ذلك لكان لنا ، منهم ،  
 شعراء دعوة حضاريون مبدهون .. لكنهم كانوا أدنى  
 من هذا المستوى بكثير ، وكانت الدعوة ابعد واعمق من  
 مجال فكرهم وخيالهم .. وعذرهم الوحيد ان اشعتها  
 النورانية المنبثة في منارة القرآن وشخصية النبي ،  
 وفدائية حواريه ، كانت أقوى من أبصارهم ، فسقطوا  
 كالفراشات حولها ، وظلوا ، بلا أشعة ، على شاطئ  
 بحرها العباب ، يلتفتلون أصدافه بانتظار عودة البحار  
 ليبحروا معه .. ولكن هيئات ! .

لم يستطع ، إذن ، خيال هؤلاء الجاهلي أن يلحق  
 بإبعاد الدين الجديد ، وان ترقق من حواشيه ، فظل  
 سادياً ، مفرقاً في ماديته ، سادراً في غلوائها لا  
 يريم .. وظل حسان مع رفلقه ، من شعراء النبي ،  
 جاهلي الصورة ، والصياغة والخيال ، متمسكين بتلك  
 النمطية الجاهلية في الوقوف على الاطلال ، ووصف

الناقة ، أو الفرس ، وغناء السفر للوصول الى مكة او المدينة .. ولم يتغير عندهم سوى الموضوع .. فاستبدلوا الملك او الأمير او السيد بالنبي ، وراحوا يصفونه بنفس الصفات التي كانوا يسبقونها على الملك او الأمير او السيد .. وقلما استمدوا من شخصية النبي معاني جديدة : كالانسانية والابوة ، والرحمة والعفو والسماح ، وسمو الروح والفكر والتجرد والانقاذ ، والدعوة الى السلم ، والمساواة بين البشر .. وغير ذلك من السمات الجديده التي دعا اليها الاسلام ونبي الاسلام وكرسها في حياة المسلمين وسيرتهم .. بل ظلوا يلويون حول شخصية النبي كزعيم او سيد قبلي .. فهو : بطل ، كريم ، مشرق الوجه وضاح الجبين ، رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد .. إذا ماشتا .. نملأ كصخر الخنساء ، أو من شابه صخراً في نخوته ، وكرمه وبطوكته .. وأمثالها من الصفات المعروفة التي لم تكن شيئاً مذكوراً امام صفات النبي وسماتله الربانية وخلقه العظيم .. وشيمه الانسانية الفسلة .. وبالتالي : لم يصل إلينا النبي من خلال شعرهم ، كما وصل إلينا من خلال الفكر العربي والمفكرين العرب .. ثم من خلال الفكر العالمي ..

ذلك ان العقل العربي استطاع ان « يفهم » النبي ، كما يجب أن يفهم ، في حين ان القلب العربي لم يفعل كفاية والشعر حديث القلب والروح : فإذا لم يمتثل بما يوحي ، وما يشير ، فبأي حديث ترى ، يحدثان ؟ !

كان هجاء الشعراء المسلمين للمشركين بتكليف رسمي من النبي ، ولم يكن تلقائياً أو ذاتياً ، ومدحهم للنبي كان تقليدياً روتينياً .. هجاء أدنى بكثير من مستوى الشخص الممنوح ، ومن رسالته ..

ولولا تشجيع النبي لشاعره حسان ، وتأنيده بروح القدس وتسليحه بخبرة أبي بكر في أنساب قريش ومثالب المشركين ، لما استطاع الاقلاق .. ورغم كل المنشطات والافراءات واهدائه سيرين ، لظل يهلي باهوائه واشعاره الجاهلية و« يرغي » في انشادها « رغاء البعير » .. على حد قول عمر له ..

إليك نموذجاً هشاً من مدائح حسان ، مع أنه مؤمن ، لا شك في ايمانه ، وقريب الرسول وسيد شعراء اليمن و« اهل المَنذر » كما قالوا عنه ، وطالما طاف على اطراف الجزيرة ، وتأثر بالحضارات القديمة التي كان يمثلها الغساسنة والمناذرة والفرس والروم ،

ويتأثرون بها عيشاً وفكراً وأدبياً . . قال يمدح النبي :

أغرّ، عليه للنبوة خاتم

من الله مشهور، يلوح ويشهد<sup>(١)</sup>

وضم الإله اسم النبي الى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن: اشهد

وشق له من اسمه ليحله

فلو العرش محمود، وهذا محمد

نبي آتانا بعد يأس، وفتره

من الرسل، والأوثان في الأرض تُعبد<sup>(٢)</sup>

(١) اغرّ: كريم الاتصال . والأغر من الغرة يباشر في الوجه . جاءه في شرح الديوان (للبرقوقي) : وقوله عليه للنبوة خاتم من الله ، يجوز أن يكون المراد عليه من اثرائه وثلاذذه ، ومن جميع خصاله طابع النبوة يلوح ويُشاهد . أو أن يكون المراد خاتم النبوة على حقيقة ، وخاتم النبوة قيل : أنه شامة خضراء أو سوداء محضرة في اللحم . وقيل : كندة عند خضروف كفه اليسرى . قيل : ولد عليه السلام به . وقيل : بعد أن وُلِدَ - وهو الشارة إلى أنه خاتم النبيين . الحاشية ص ١٣٤ .

(٢) أصل الأوثان عند العرب : كل تمثال من خشبة أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ، وكانت العرب تصعبها وتعبدونها . وقد سمي الأحيى الصليب يستظم النصرى وثنا وقال :

نطوف العظة بإبراهيم كطوف النصرى بيت الوثن : أراد الصليب وقال علي بن حاتم (وكان نصرانياً) : قدمت على النبي ﷺ وفي عتي صليب من ذهب . فقال لي : ألق هذا الوثن هناك . وبعضهم جعل الصنم والوثن واحداً ، وآخرون فرقوا بينهما ، قال ابن الأثير . -

فامسي سراجاً مستنيراً، وهادياً  
يلوح كما لاح الصقيل المهند  
وانذونا نارا، ويشر جنة  
وعلمنا الاسلام، فالله نحمد  
وانت إله الخلق ربي وخالقي  
بذلك ما عمرت في الناس، أشهد  
تعاليت رب الناس عن قول من دعا  
مواك إلهاً، أنت أعلى وأمجد  
لك الخلق والنعماء والأمر كله  
فليساك نستهدي، وليساك نعبد  
النبي محمد خاتم الأنبياء، واسمه مشتق من اسماء  
الله الحسنى، يهبط عليه ربه وملائكته خمس مرات  
في اليوم، إذ يقول المؤذن: إن الله وملائكته يصلون  
على النبي. كما يذكره اسمه بجانب اسم الله خمس  
مرات كذلك. كلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا

= الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جنة معمولية من حوله  
الأرض. أو من الخشب والمجسدة كصورة الأفعى، وتُصنَّب،  
تُعبَد. والصنم: الصورة بلا جنة. ويقول شافعي المصنوع في كتابه:  
«يُفرَّق تَقْلًا عن الجِلَاط:» في بعض الروايات أنهم كانوا يسمون في  
الجِلَاطية من أجناس الأوثان مهمة. ولم يزل الأصنام. وهذا يعني  
أن الجِلَاط كابن لاثير، يفرق بين الوثن والصنم.

الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . وقد جاءنا ، يقول  
 حسان ، بعد انتظار ، سراجاً منيراً تلمع حناياه لمعان  
 السيف الصليل ، جاءنا هلياً ونظيراً .. وكلها ، كما  
 نرى ، معان وصور وعبارات مأخوذة من القرآن  
 الكريم .. ثم ما أسرع ما يختصر الشاعر المديح ليعود  
 إلى رب العالمين ليمدحه ويشكره ويتعبد له ، في  
 ابتهالية بسيطة لا حرارة فيها ولا توتر ..

إن أي شاعر إسلامي مثل حسان لن نجد عنده  
 سوى إثبات هذه الصور والمعاني تتكرر بألقاظها  
 وحروفها تقريباً عند شعراء النبي كمبد الله بن رواحة ،  
 وكعب بن زهير والنابغة الجعلي ، وسواهم .. ويظل  
 النبي أمامهم ، هوايله ، كما نعرفه من سيرته ، ومن  
 القرآن . فلا هو استبحال رمزاً كبيراً ، ولا مصلحاً  
 اجتماعياً خطيراً ، ولا نائراً من ثوار الإنسانية في مطولة  
 تضح بالمعاني الملحمية والصور الجشيّة ، حتى تقارب  
 الخلقة .. كل ما نجده أنه إنسان مهيب ، قوي ، يلمع  
 كالسيف ، وأنه يشير ونظير ، وسراج منير .. إلى ما  
 شابه هذه الصفات المأخوذة ، بيرودة ، من قاموس  
 المديح في الجاهلية .. وبإلئهم استرسلوا في ذلك  
 وتملأوا الأبيات القليلة التي لا تفي بجانب واحد من

جوانب عظيمة النبي وغنى شخصيته ، ولست أدري ، كيف أن حرباً قبلية ضئيلة كحرب البسوس أو داحس والغبراء تنظم فيهما ، قبيل حسان ، المعلقات الطوال ، ولا تنظم في حروب النبي وانتصاراته ، ودعوته الانقلابية الخطيرة ، قصائد طوال ، وملاحم ضخمة تنطلق من الحقيقة الرائعة الى الخيال البعيد !؟ لست أدري اذا كان السبب ، كما قلنا ، هو الجو الديني الضاغط على الشعراء ، ام هو نضوب شاعرية حسان ، ورفاقه ، وضيق افقهم ..

### أم معبد أشعر !

ولعمري ان امرأة بدوية لا تعرف النبي محمد قد وصفت وصفاً يفوق في دقة وصدق كل ما وصفه به هؤلاء الشعراء جميعاً . انها أم معبد الخزامية<sup>(١)</sup> التي مرَّ بها النبي مهاجراً من مكة إلى المدينة مع صاحبه أبي بكر ومولاه عامر بن فهيرة ، والدليل اللبني عبد الله بن الأرقط . وما كان من معجزة النبي مع شاة أم معبد .

(١) هي عاتكة بنت خالد بن مطلق بن ربيعة ... بن حشمة ، خزامية كعبية صحابية . وكانت نزلت بخياله في طريق المدينة . وقصتها مع رسول الله ﷺ مشهورة مروية بتواتر وأسناد . وحيش بن خالد هو أخوها .

وكانت عجباً لا يدر لبنيها ، فمسح النبي ضرعها ودعا  
 ربه ، فإذا بلبنها يتدفق ليرتوي منه الجميع . . . وحين  
 عاد زوجها من الرعي ، ورأى اللبن ، عجب ، وقال :  
 من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب ،  
 جبال ، ولا حلوب في البيت ؟ قالت : لا والله . إلا أنه  
 مر بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا . قال : صفه  
 لي يا أم معبد . قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة<sup>(١)</sup>  
 ابلج الوجه<sup>(٢)</sup> حسن الخلق ، لم تبعه ثجلة<sup>(٣)</sup> ، ولم تُزِر  
 به صملة<sup>(٤)</sup> وسيمًا قسيماً<sup>(٥)</sup> في عنقه دُخج<sup>(٦)</sup> وفي  
 أشفاره وطف<sup>(٧)</sup> وفي عنقه سَطع<sup>(٨)</sup> وفي صوته صَحَل<sup>(٩)</sup>

(١) الوضاعة : حسن الوجه ونظافته . ومنه اشتق الوضوء .

(٢) ابلج الوجه : مشرق الوجه . يقال ابلج الصبح اذا اشرق وانوار .

(٣) لم تبعه ثجلة : لم يعب بالترهل . الثجلة : استرخاء البطن .

(٤) الصملة : صفر الرأس . وفي رواية : صفة . وهي الخاصرة ، تريد  
 أنه ضامر الخاصرة .

(٥) القسيم بمعنى الوسيم . قلصت أن كل موضع منه أخذ لهما من  
 الجمال .

(٦) الدخج . شدة سواد العين . أو سواد السواد . والخسَر : يبيض  
 اليافس .

(٧) الوطف : طول شعر الشفاه المن .

(٨) السطع : الطول ، حتى سطماء : طويلة .

(٩) الصحل : كالبيضة . تريد أنه ليس يحيط الصوت .



وفي لحيته كسائة<sup>(١)</sup> أَرْجُ أقرن<sup>(٢)</sup> إن صمت فعليه  
 الوقار ، وإن تكل سَمَاءَ وأَعْلَاهُ البهاء . فهو أجمل التاملي  
 وابهاهم من بعيد ، واحسنهم واجملهم من قريب . .  
 حلو المنطق فصل ، لا نَزْرُ ، ولا هَلَزْ<sup>(٣)</sup> كأن منطقهُ  
 خرزات نَظْمٍ يتحدرن ، رَيَقَةٌ : لا يَأْسُ مِنْ طُولِ ، ولا  
 تفتحهُ مِنْ مِنْ يَقْصِر . . غُضٍ بين غُضَيْنِ ، فهو انْقِصُرُ  
 الثلاثة منظراً ، واحسنهم قدراً ، له رفقاء يَحْفَون به ،  
 أن قال افضوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفور  
 محشور ، لا عابس ، ولا مُفَنَّد<sup>(٤)</sup> . .

قال أبو معبد : هو والله صاحب فريش الذي ذكر  
 لنا من أمره ما ذكر بمكة . ولقد هممتُ بأن أصحبه ،  
 ولا فعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً . فأصبح صوته  
 بمكة عالياً ، يسمعون الصوت ولا يدرون مَنْ صاحبه .  
 وهو يقول :

جزى الله رب الناس خيرَ جزائه

رفيقين قالاً خيمتي أم معبد<sup>(٥)</sup>

(١) الكتاة : كثرة أصول اللحية . لا دقيقة ولا طويلة .

(٢) أريج القرن : الرجح : دقة شعر الحاجبين والقرن أن يصل ما بينهما .

(٣) ممثل الكلام فلا هو عي ولا هو مهذار .

(٤) المفند : الذي لا نفقة من كلامه لكبر أصابه .

(٥) قالاً : من التهلولة : الاستراحة نصف النهار .

هما نزلها بالهدى واحتلت به  
فقد قساز من أمسى رفيق محمد ..  
إلى آخر الأبيات .

فلما سمع بذلك حسان ، قال يجابو الهائف :  
لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم  
وقُدس من يسري إليهم ويفتدي  
ترحل عن قوم فضلت عقولهم  
وحل على قوم بنور مجدد  
إلى آخر الأبيات .

وهكذا أخلت تتدفق في وصف سماته وصفاته ،  
بما يدهش ، فعلاً ، ببلاغته ، ودقته ، وشموله<sup>(١)</sup> مما  
قصر عن مداه حسان وأمثال حسان ..

أما المقطوعات التي لا تتعدى اليتمين أو الثلاثة ،  
فربما ، أجاد حسان فيها كقولها يمدح الرسول :  
وأحسن منك لم تر قط عيني  
وأجمل منك لم تلد النساء

---

(١) اللوقوف على تفاصيل الرواية انظر : شرح المديوان للبرقوقي صفحة  
١٢٨ وما بعدها . الناشر : دار الأندلس - بيروت .

خلقت مبرأ من كل عيب  
كانك قد خلقت كما نشاء

لا سيما البيت الثاني ، في صياغته وإيجازه ومعناه  
الجديد ؛ هذا إذا اعتبرنا جودة المعنى مقياساً لامتنياز  
الشعر .. أما البيت الاول ، فلا يخرج الشاعر عن  
اعتبار النبي شخصاً جميلاً نادر المثال .. وهو معنى  
جاهلي مادي مكروء ..

ونرافق حسان في مذائحه النبوية كلها فلا نقف  
على « شعر » بالمعنى المقبول نسبياً .. بل نجد سجلاً  
مجتزأً لوقائع النبي وغزواته ، وإشاعة بمواقفه المشرفة  
من المشركين حين انتصر عليهم يوم الفتح<sup>(١)</sup> ..  
وتاريخاً مضبوطاً لمسيرة الدين الجديد ، وبعض  
الخبرات بالمواقع الجغرافية ، « الاستراتيجية » ان صح  
التعبير .. يقول ابن الأثير<sup>(٢)</sup> : قيل لرسول الله : من  
أين تدخل مكة ؟ فقال : من حيث أشاء حسان . يريد  
قوله في وعيد قريش :

---

(١) عندما قال للمشركين واتباع أبي سفيان : انهبوا ماكنتم الأطفال .

و« من دخل بيت أبي سفيان ، فهو آمن الخ » .

(٢) الكامل ج ٢ ص ١٦٧ .

عدمتنا خيلنا إن لم تروها  
تثير النقع ، موعدها كذاة<sup>(١)</sup>  
وخبرة بأشباه الحضارة وأدواتها كالورق مثلاً .  
قال :

عرفت ديار زينب بالكشيب  
كخط السوحي في الورق القشيب<sup>(٢)</sup>

### تقسيم هجائياته : هجاء بلا سخرية : ———

أما الهجاء عند حسان المسلم ، فلم يخرج عن  
بقائه جاهلياً يعتمد النسيب والقبذ ، والطمع  
بالأنساب . . ولم نجد هذا الهجاء يرتقي ويسمو إلى أن

(١) كذاة : موضع في أعلى الخضر مكة ، أو التبة العليا بمكة مما يلي  
المقابر وهو المعلي . وفي الحديث : إن النبي دخل مكة عام الفتح  
من هذا الموضع .

(٢) نضيف من قول حسان هنا : إن الورق القشيب ( الأبيض ) كان  
موجعاً وكان الوحي يكتب عليه كما يستفيد أن هذا الورق هو غير  
الجلد أو الأدهم . وأعله ورق البردي . فقد روي أن عمار بن الوليد  
كتب كتاب الأمان لأهل الشام ( ٦٣٥ ) على القراطيس . وسمي ابن  
الندوم ورق البردي القراطيس المصري ، والطومار المصري .  
والقراطيس وارد في الشعر الجاهلي وأخبار الصحابة . يقول طرفة  
وعند القراطيس الشبلي ومثفر كسبت اليماني قد لم يُجرد

يصبح « سخرية » ضاحكة ناقلة إلا على يد الجاحظ ،  
 في النشر ، وابن الرومي ، في الشعر ، ثم سخرية  
 فاجعة ، على يد المتني ، وأبي العلاء ، ثم على يد  
 أبي حيان التوحيدي الذي لقب بالجاحظ الثاني . .  
 وقبل هؤلاء المبدعين لم نجد الهجاء على شيء من  
 الفن والتطور ، وسبب ذلك أن الشاعر الجاهلي أو  
 الاسلامي المخضرم كان متلبساً « بحسن الشعر »<sup>(١)</sup> لم  
 يعرف السخرية ، أو قلما عرفها ، مسكوناً بالشعور  
 بالفاجعة والمذاب المستمرين . . فلم يكن لهذا  
 الجاهلي أن يفرح ، أو يتسم ، في خضم المداومة  
 والمفاجأة التي هي من طبيعة تلك القوة الخفية التي  
 تزعجه ، وتقلقه على الدوام ، عنيت : الموت أو  
 الغياب ، أو قسوة الوجود العلمي الرابض بضراوة على  
 كفيه . . وحين أراد الاسلام أن يرتب له فوضى حياته ،  
 ويخفف من غلواء وجوده المهدد طلع له بفكرة الروح  
 والخلود ، والخلاص . أراد أن يرفعه عن صحراء  
 وواقع ، كان في حرب دائمة معهما ، وخوف ،  
 وتربص . . لكنه ظل خائفاً وجللاً ، ولم تتغير نظرته إلى  
 « الآخر » إلا حين كان يصحو على صوت العقل ،

(١) انظر : ديوان الشعر الجاهلي - الكتب التي ص ١ .

وضربات منابك خيل المسلمين تلك له مواقع عالمه القديم ، وتدفع به إلى معاشة قبحر جديد وأمل جديد كان يخشى زوالهما ؛ وهكذا ظل الهجاء في مطلع العصر الاسلامي الأول تقليدياً ، لا تناسب في تضاعيف جملته نسائم السخرية والعبث إلا قليلاً ، وعلى استحياء خجول نظراً للجو الاسلامي الصارم . ولولا تدخل النبي في التخفيف من وطأة ذلك الجوابشاعته لبعض الصَّرح والفكاهة ، لما وجدنا أي نوع من أنواع السخرية يتخلل الهجاء ، وغير الهجاء .

وواضح أن الأسلوب الهجائي أو التعبيرية الهجائية عند الشعراء المخضرمين لم تتطور ، كذلك ، لا في هجائياتهم ولا في نظرتهم إلى العالم والآخر ، تطوراً ملحوظاً ، بل لبثوا أسرى نمطية تعبيرية قديمة تصدر عن عقلية صحراوية لم ترتفع ، بعد ، من حضيض المادة إلى عالم الروح والشفافية والنورانية الميتافيزيكية الجديدة. التطور الوحيد الذي أصابوه كان في اقتباساتهم الكثيرة من القرآن وبلاغته ، وصوره الفنية المعجزة ، ليس غير . . . حتى جاءت بعض قصائدهم الابتدالية وكأنها نقل حرفي عن آيات القرآن وسوره<sup>(١)</sup> .

---

(١) سُورَ جميع سُورَة : كثيرون من المستشرقين استعملوا أن يكون اصل

على أن حسان كان خفيف الوطأة في الهجاء ، بشكل عام وبالقارئة مع الأخطل مثلاً . تخفف من غلواء هجائه روح مريحة ، تقارب في مرحها جو السخرية ، لكنها لا تدخله . جاء في العقد<sup>(١)</sup> : لما هجا المحطبة الزيرقان بن بدر بالشعر الذي يقول فيه :

دع المكارم لا ترحل لبخيشها

واقعد فانك انت النطاعم الكاسي ..

استعنى عليه عمر بن الخطاب ، وانشده البيت . فقال : ما أرى به بأساً . قال الزيرقان : والله يا أمير المؤمنين ما هجيتُ بيت ، قط ، أشد عليّ منه . فبعث إلى حسان بن ثابت . وقال : انظر إن كان هجاء . فقال : ما هجاء ، ولكن سلّح عليه .. فبر أن هله الروح المرحّة ، قلما ظهرت في شعره الهجائي . فقد فرض عليه الجو الجدي الذي كانت تجري فيه المهاجاة بينه وبين المشركين ألا « يمزح » أو يسخر ويداعب ،

= اللفظة عبراً من : شورا بمعنى ترتيب ، صف ، مثل لا جارد ونولده ويول . كما دله قد ذهب إلى أن الكلمة مشتقة من السرائية صورتا بمعنى النص .. إذ كثيراً ما كان النبي ﷺ يسميها من ربهان المسيحية قبل البشارة . انظر : تاريخ الأديب العربي ج ١ ص ١٢٨ ليروكلمن .

(١) العقد الفردي ج ٥ ص ٣١٨ .

شيمة ابن الرومي ، فيما بعد ، ذلك ان المهاجة كانت بين عقيلة وعقيلة ، ومن يمثلانها من جبابرة قريش ، وعتاة المشركين ، من جهة ، وبين النبي واصحابه من جهة اخرى . الهجاء في المعركة ، وليس على جوانبها ، ينطلق من صميمها ، من الموقع الحربي ، والموقف الحاسم : النبي يدفع بشعرائه وعلى رأسهم حسان ، قائلاً لهم : دافعوا وروح القدس معكم ، تماماً كما يدفع بابطاله إلى ساحة المعركة في احد ويبدو ومؤنة الاحزاب .. وهو معهم .. فالساحة ساحة معركة بوجهيها العسكري والأدبي . ولا مجال ابداً للضحك أو السخرية أو العبث ..

لكن مثل هذا الهجاء « الحربي » فقد كثيراً من « الفن » وإن لم يفقد الكثير من القيمة الاجتماعية والتأثير والحسم . فاستمر ، كما كان في الجاهلية ، قليلاً ، اجتماعياً ، اخلاقياً يعتمد على الطعن في القيمة الشخصية للخصم ، ومنزلة الاجتماعية ، وإن تغير الموضوع . كما ظل ساذجاً ، ودون مستوى التطور الفكري والروحي الذي اصابه العقل العربي عندما تقبل « الصدمة الكبرى » غيت الدعوة الاسلامية ، وتفاعل معها ، وراح يتحضر بها ويتجذر .. وفي رأيي : أنه لو



أطلق العنان للشاعر المسلم ، ولم يقيد بقيود الهجاء والمدح والفخر وسواها من الموضوعات السلفية القبلية الموروثة ، وبدأ حرته تلك بالتعبير عن ذاته ونزعاته ورؤاه لتحضر مع المتحضرين ، وارتقى الى المستوى الفكري والروحي الذي بدأ العربي المسلم يرتقي إليه ، وبه . . فيدخل ، مع الداخلين ، في حُتى المغامرة الجديدة : فكراً بالتقبل الفاعل للدعوة ، وفناً بالتساؤل ، والرفض للشكل القديم في بناء القصيدة العربية ، على الأقل . . ولن يمضي وقت طويل ، حتى يبدأ الرافضون بالتساؤل واحداً كتابة القصيدة من جديد ، ولكن باستحياء ، كما سيحدث ذلك مع ابن أبي ربيعة ، بعد أقل من نصف قرن ، حيث رفض ، بكل حرية ، الشكل والموضوع في كثير مما غنى وأنشد ونفزل<sup>(١)</sup> .

ففي الشكل تخلى عن البحور الطويلة ، وتفعيلاتها الكاملة ، واكتفى بالمجزوءات ، ربما ، ليستجيب الى ضرورات الغناء والتلحين ، والانسجام مع الجو النسوي الرقيق ، ويلبي ذائقته الفنية المخالصة ، في بيئة مكة

---

(١) قيل لمرين أبي ربيعة: لماذا لا تملح الخلقاء . قال : اتا لا املح إلا النساء . .

والمدينة المتحضرة . تلك كانت نقلة تبعها نقلات في  
أوائل العصر العباسي على يد بشار وأبي نواس ، ثم  
أبي تمام ، في تنافر أخداه ورموزه ، والمتنبّي ،  
والموشحات ، لا مجال ، هنا ، لتفصيل ونقد  
ابداعاتها<sup>(١)</sup> هؤلاء ، حين تحضروا ، عكسوا ، في  
شعرهم ، حضارتهم ، وإذا كانوا لم يعقدوا كما تفيض  
عادة أي حضارة متضعة ، فحسبهم انهم كانوا في  
صميم الاحداث بل كانوا الحدث . . ولم يدوروا  
جوله . باستثناء أبي تمام الذي مال إلى التعميد بحكم  
الضرورة الحضارية<sup>(٢)</sup> ، لا بحكم الاصطناع . .

من هجائيات حسان: قال يهجو الحارث بن عامر  
الذي اشترك ، في الجاهلية ، بمؤامرة دبرها أبو لهب  
لسرقة غزال وثني ثمين كان مقاماً في الكعبة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) يقول الهوت : على الشاعر في ظل حضارة ما ، ان يميل إلى  
الشمول ، وحتى التعميد ، لكي يصبح أكثر عمقاً وأبعد ، وأبعد عن  
المباشرة ، والالتزام بلغة المعاني . الخ . .

(٢) قصة الغزال وسرقته من الكعبة قصة طويلة ومأزومة أكثر من أن يُعدّلوا .  
منهم على سبيل المثال : أبو لهب بن عبد المطلب ، والحكم بن أبي  
العاسي ، والحارث بن عمرو . اطلبوها مفضلة في ديوان حسان .

يا حارث<sup>(١)</sup> لقد كنتَ لولا ما رميتَ به  
للهُ دركٌ ، في عزٍ وفي حسبٍ  
جللتَ قومكَ مخزاةً ومنقصمةً  
ما لم يجلبه حيي من العرب  
يا سائبَ البيتِ ذي الأركانِ حليتهُ  
لَو الغزالُ فلن يخفضَ لمستلبِ  
سائلِ بني الحارثِ المزري بمعشره  
إين الغزالِ عليه الدر من ذهب  
بش البنون وريش الشيخ شيخهم  
نبأ لملك من شيخ ، ومن عقب  
هذا ليس هجاء بقدر ما هو لوم وتشريب لأنسانٍ كان  
محل إعجاب النبي بعد أن أسلم ، ومحل تقدير  
الشاعر . وإذا كان لمثل هذا الهجاء من قيمة فلأنه جاء  
وثيقة اتهام يسجل فيها واقعة سرقة الغزال من قبَل فتاك  
قريش ، وعلى رأسهم أبو لهب ، صاحب فكرة  
السرقه ، وهذا الحارث الذي نفذ الفكرة . وحين تصاغ

---

(١) حارث : ترجمه حارث . وهو الحارث بن عمرو الذي كان يهاجس النبي .  
قبل أن يرتد . قتلت قريش : ( عتلما فونند ) قد صبا . فقتل يوم  
بدو . وكان حسان قد هجاء متعمداً إياه بالاشتراك في سرقة غزال الكعبة  
الذهبي مع أبي جهل بعد سكرة عورمية ..

الأحداث الكبرى ، أو الصغرى ، شعراً ، تكتسي ثوباً مستعاراً هي يفنى عنه . أما الثوب الذي هو الشعر ( أو بالأصح النظم ) ، فلن يكون أكثر حظاً من الحدث . لا سيما حين لا يرتفع الشاعر بالحدث الى مستوى رفيع عبر لعبة فنية معقدة . . حين لا يجعل فيه من الأحياء ، والآثارة ، أكثر مما فيه من التاريخ . .

### هجائية أخرى أشد وطأة : —————

قال حسان يهجو حارثاً آخر ، هو الحارث بن هشام بن المغيرة<sup>(١)</sup> ويعبره بفراوه يوم بدر :  
 يا حار ، إن كنت امراً متوسطاً  
 فافد الألي بنصفن آل جنب<sup>(٢)</sup>  
 اخوات امك ، قد علمت مكانها  
 والحق يفهمه نور الألباب

---

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي شقيق أبي جهل عمرو بن هشام ، شهد بدرًا كالفرا مع لنبيه أبي جهل ، وفر حيث لا وقتل أخوه . وقهر الحارث بفساده ذلك . . وكان يتحذر ، بعد أن أسلم ، عن هذا الفرا ، ويتم عليه . كما روى له الأصمعي إيتاء في هذا المعنى .

(٢) هو جنب بن عبد الله بن هيل الكلبي . النديان .

إن القرافصة بن الأحوص عنده  
 شجن لأمك من بنات عُقاب<sup>(١)</sup>  
 اجمعت انك انت الأم من مشى  
 في فحش موسية ، وزوك غراب<sup>(٢)</sup>  
 وكذلك ورثك الأوائل انهم  
 ذهبوا ، وصرت بخزية وعذاب  
 فورث والدك الخيانة والخنا  
 واللؤم ، عند تقايس الأخساب<sup>(٣)</sup>

لا يزال الهجاء قليلاً وشتائم وفضح أعراض  
 وأنساب . فهل ندرسه على انه جزء من التراث ، ام  
 نلفظه ؟ ومتى كان تراثنا مجموعة من الشتائم . الا انها  
 الضرورة الموضوعية تلزمنا ، حين ندرس شاعراً قديماً  
 ان نعيش معه في كل مطرح من مطرح فكره وشعره . .  
 وان نسجل عليه كل سقطاته ، او ما اجبر عليه حين  
 اسف وانحدر . وان نسجل له كل روائعه ، اذا كان له  
 من روائع . هنا ، نبدو مؤرخين أكثر منا ناقدين

(١) اي انها كانت علامة للرافضة بن الأحوص الكلبي  
 (٢) الزوك : مشى الغراب . وهو الخطو المتعرج في تحرك جسد الانسان  
 المشي . وزاك في مثبه يزوك حرك منكبه وإليه وخرج بين رجله .  
 (٣) اي عند تقايس الأخساب .

محللين . وهذا ما لا نرضاه لأنفسنا . . دعنا ، إذن ،  
من معاني هذه الهجائية السبائية المكرورة . ولنر ما فيها  
من « الشعر » :

### موضوع القصيدة :

بطل قريش مخزومي يفر من المعركة . هذا الفرار  
دليل على انه يحمل من صفات امه الأمة عند بن  
الأحوص ، اكثر مما يحمل من صفات ابيه هشام ،  
وجنه المغيرة . . فهل وفق حسان في توضيح ذلك ؟ .

حين رمز وغمز وبالإشارة البعيدة كان أقرب الى  
« الشعر » منه الى الشر الذي يعتمد التصريح دون  
التلميح : شَجَنَ لأمك ، اخوات أمك قد علمت  
مكانها . . والحق يفهمه ذوو الألباب . . وكلها تلميحات  
ورموز تشير الى الحقيقة دون البوح بها . . وهي اشد  
تأثيراً في نفسية الابن من التصريح . . لأن التلميح يترك  
للسامع مجالاً واسعاً للتأويل ولتوقع وجود اكثر من  
حقيقة ، في تلك الأم واكثر من نقيصة . . كما وفق في  
تصوير مشية المحارث ، بعد ان اخزاه ، بمشية المومس  
الفاحشة ، والغراب المتهاافت الذي يزوك زوكانا . .

لقد اخزاه مرتين : مرة حين لم يتحملت الا عن أمه

وماضيها... ومرة حين الحق عارَ الأم بالزوج ، الأب  
فشمل العار الجميع .. وبرز الحادث انساناً مطعوناً في  
نسبه يحمل خيانة اجداده الذين مضوا وتركوا له هذا  
العيب الثقيل من الازل ..

فانت ترى ان كمية « الشعر » في هذه الهجائية لا  
بأس بمقدارها، إن من حيث التعبيرية الفنية السهلة،  
أو من حيث تصوير الحنة والحس في مظهرهما  
ومخبرهما ..

### هجائية مُرة كثيفة : —————

قالها ، هذه المرة ، دليلاً عن نفسه ، ورجولته  
العاجزة .. قالوا : إن حسان مرَّ يوماً بمجلس مُزَيَّنَةٍ بعد  
ان كف بصره ، فضحك به بعضهم . فانتفض قائلاً :

أبوك ، أبوك ، وأنت ابنه  
فبش البُنَي ، وبش الأب  
وامك سوداء نومية  
كَأَنَّ أَمَامَهَا الْحَنْظَلُ<sup>(١)</sup>

(١) وأقل : بكاء نومية سودوة : وهي القصيرة المتق والارواح والبدن ، أو  
الناصية الخلق ، الضيقة المنكين . الحنظل : ضرب من الخنافس  
فيه طول .

يببت أبوك بها معرساً  
 كما ملور الهوة الشعب  
 فما منك اعجب يا ابن استها  
 ولكنني من ألى اعجب  
 إذا سمعوا الفسي آوا له  
 نيس ننب اذا تضرب<sup>(١)</sup>  
 ترى التيس عندهم كالجواد  
 بل التيس وسطهم أنجب  
 فلا تدعهم لقراع الكمة  
 وناد إلى سومة يركبوا

هجائية اتخللت ، كما يبدو ، خطة الهجوم بقصد  
 الدفاع ، بحيث يتستر العاجز وراء لسانه الذي يأخذ  
 بالقلف والشم وتهش الاعراض اخفاء لمعجز الشاعر عن  
 المقاومة باليد أو السيف . خاصة حسان الذي لم يكن  
 يملك ، منذ كان ، سوى سلاح وحيد هو اللسان ،  
 واللسان السليط الطويل الأسود الذي أظهره مرة أمام  
 النبي حتى ضرب به أربعة أنفه . . وطالما انتصر به وحل  
 جميع عقده وجليله ، في ميلادين الفخر والهجاء . . فلا

---

(١) يقال نب التيس نأ إذا صاح عند التزو أو الغراب تضرب : تنزرو.



عجب ، وهو الآن أصمى ، ينتفض على من ضحك منه  
 انقباضاً سريعاً وحاسماً ، وبالضربة القاضية ، كيلا  
 يعود الى مثلها . ويدوان حسان قد عرفه وعرف أمه  
 وأباه .. وإلا لما وصف أمه بأنها نورية ( اي زنجية  
 سوداء ) ، أو أنها « سودونة » قصيرة العنق والاطراف ،  
 وإن اصابعها طويلة بشعة كالخنافس ، وإنها أمة حقيرة  
 وهو ابن استها .. ولا يكفي حسان بالتشنيع على الأم  
 والأب ، بل يصل هذين بجدود حقراء « تنب كالتيوس »  
 عند الضراب ، عادتهم التزو .. والتعدي ، وارتكاب  
 الفواحش .. ومن كان هذا دأبه لا يمكن أن يكون بطلاً  
 كميأ ، يفارح الكلمة ، في ميدان الفروسية والشرف ،  
 بل هو بطل في ميدان السوءات والقبائح ، يسارع اليها  
 ويعيش معها .. صورة بارعة بل صور تراكت من بيت  
 الى بيت حتى بلغت حد الكمال في تجسيد « جمال  
 القبح » فمن الأنامل الحنظلية ، الى إعراس الأب ، الى  
 هوة الثعلب ، الى ابن استها ، وما في ذلك من فحش  
 الدلالة ! الى تيوس تنب اذا تغرب .. ثم ذلك التيس  
 الذي أصبح كالجواد الأصيل في نظر اصحابه الذين  
 يسارعون في الفحشاء ، ويجمعون من المكرمات ..  
 مما أضفى « جمالية » تصويرية على هذه الهجائية

ونجعت في أن تولري خلفها نفساً كثية غطاها الشاعر  
بروح السخرية وتشويه الآخرين الذين ليسوا في  
« عمائم » الأخلاقي بأفضل منه في عماء المادي . .

وهكذا نهض « الشعر » في هذه الهجائية وكاد  
« النظم » أن يتولري . ولكن . .

لقد جاءت الصياغة البارة وروح السخرية عاملين  
هامين في توجيه هذه الهجائية الاجتماعية نحو مستوى  
أعلى لم تبلغه هجائيات حسان الأخرى . لقد شح من  
كل بيت فيها روح ساخرة ، رغم هجومها ولوحاتها  
المكبوتة من إنسان مخيف لا يرى في الشاعر الكبير  
سوى عماء ، وعجز شيخوخته . نفس لا تزال تضج  
بسخرية ضاحكة ، على مرارتها ، من ذلك الحفر واه  
وأبيه وأجداده ، تجسدها صور بارعة وفق إليها الشاعر ،  
وتشبهات دقيقة وملائمة للآم وأصابها وبشاعة منظرها  
وحقارة منبتها . أما صورة الأب الذي ، حين يُغمرس  
بها ، فكأنه ثعلب يساور هوة عميقة . . . وأجداده  
البلداء الذين هم ، عندما يتنادون إلى الغي والضلال ،  
كثيروس تصبح عند الضراب . . .

لقد ضغط الشاعر المهجور ضغطاً شديداً حين جمعه

بكل أصله وفصله وصفاته في سبعة أبيات ، ثم رمى به  
شلوأ بين الأشلاء ، ولا شيء بين الأشياء ..

ولولا المنحى الاجتماعي الذي نجده حسان في  
هجائه ، وتلهيه بهتك الأعراض والسبب لطلع لنا منه  
ساخر فنان أقرب بكثير إلينا والصق ، حين نجده ، وقد  
استخرج لنا المأساة من صميم الملهاة ، وتعامل مع  
البشاعة الخلقية والخلقية بنقّة وحمق ، كما سيفعل  
الجاحظ وابن الرومي والمتني وأبو العلاء والتوحيدي  
وينبع الزمان الذين اطلعوا لنا لوحات خالدة لما يسمى  
اليوم : جمال القبح .. فنحن لا نزال ، مع هؤلاء ،  
نضحك من مهجويهم حين نرثي لهم ، أو نرثي لهم  
حين نضحك منهم . ثم نضحك ونرثي لأنفسنا  
وللإنسانية جمعاء حين نجدها تعج بأمثالهم من  
التافهين ، والادعياء ، والمشوهين والبخلاء المستترين أو  
المتفلسفين الذين يفسفون بخلهم اقتصاداً وتوفيراً وهم  
احقر من ان نسمع اليهم ، او نسمع لهم ..

مرة أخرى نقول إن جو حسان وطبيعة عصره لم  
يكونا يسمحا له بأن يكتشف في نفسه ذلك النوع من  
الهجاء التصويري الساخر ، أو ان يتمادى فيه ، وإن كان

يحمل ، في ذاته ، بفوره .. وطبعي ألا يبرز  
 السخرون « اطباء الانسانية » كما يسميهم مولير الا  
 في عصور متطورة فكرياً واجتماعياً ، الى جانب المزاج  
 والاستعداد الشخصي . فالشاعر السخر انسان متحضر  
 ومثقف وعالم نفسي خبير بنفوس المنحرفين وما تنطوي  
 عليه من عاهات ، وما تلجأ إليه من وسائل دفاعية  
 وادعائية مضحكة .. وحان لا يزال أقرب الى البداوة  
 منه الى الحضارة ، والى التقليد الموروث في الهجاء ،  
 وغير الهجاء ، منه الى التجديد والابداع ..

يفخر بقومه ويهجو المفسكين: قال يعرض بأسيد  
 قريش الذين قتلوا في وقعة بدر الكبرى :

لقد علمت قريش، يوم بدر،  
 غداة الأسر، والقتل الشديد  
 بأننا حين تشتجر الموالي  
 حملة الروح يوم أبي الوليد<sup>(١)</sup>  
 قتلنا ابني ربيعة ، يوم ساروا  
 الجناحي مضاعفة الحديد<sup>(٢)</sup>

(١) هو أبو الوليد حبة بن ربيعة ، وكان من سادات قريش ، قتل يوم بدر .

(٢) وهما حبة وشيبة ابناه ربيعة بن عبد شمس .

وفرّ بها حكيم يوم جالت  
 بنو النجار تخطر كالأسود<sup>(١)</sup>  
 وولت عند ذاك جموع فھر  
 واسلمها الحویرث من بعید<sup>(٢)</sup>  
 لقد لاقیتهم عزیزاً وذلّاً  
 جھیزاً باقیاً تحت السورید  
 وكان المقوم قد ولوا جميعاً  
 ولم یلوا على الحسب التلمذ  
 وكالمادة نجده یطلق بلسان قومه بني النجار الذين  
 دافعوا عن النبي يوم بدر ، واسهموا في تحقیق النصر  
 للمسلمین وتغشاه حالة من الزهو ینسی معها انه هو

- 
- (١) هو حکیم بن حزام بن خویلد بن أسد بن عبد العزی بن قصی . وهو  
 ابن أمیی خلیجة بنت خویلد زوج رسول الله . اشتهر يوم بدر ثم اسلم  
 يوم الفتح . كان من سادات قریش في الجاهلیة والاسلام . جاء  
 الاسلام ویرید الفتوة فباعها من معلوبة بمائة ألف درهم . فقال له ابن  
 الزبیر : بعت مکرمة قریش . فقال له حکیم : ذهبت المکرم الا  
 التقوی . وسج لي الاسلام ، ومعه مائة ناقة بئنة ، قد جلاها الخیرة  
 وكفها عن احبائها ، واحملها ، ووقف بمائة وصیف بعرة في اعتناقهم  
 بطواق الفضة فوش لها : عطفه الله عن حکیم بن حزام . واعلى ألف  
 شاة . شرح المیوان للبرقوقي . التاتار : دلو الأتلس - بیروت .
- (٢) الحویرث : یرید به الحارث بن هشام بن المغيرة . فهزم في بدر ثم  
 اسلم . تقدم ذكره .

شخصياً ، لم يساهم في شيء من ذلك ، ولكنه يشعر في اعماقه انه في صميم المعركة يشارك وجدانياً فيها وإيمانياً . بنو النجار اقربائه واخوان النبي ، فهم حين يستسلمون فكأنما هو المستسلم ، وحين يفلتون النبي بأرواحهم ، فإنما هو الذي يفلت أيضاً . . ما دام السيف واللسان في اتجاه واحد ، ومن اجل غاية واحدة ، ومصدران من ايمان واحد ، وان اختلفت السواعد . ويمفاهيم متساوية . . وبنو النجار كفوه مؤونة ، قتل ابي الوليد ، وابني ربيعة ، وانهزام ابن حزام ، وهم من عتاة قريش وصناديد المشركين . . فحق له ان يفخر بهؤلاء الآباء والأجداد ، وان يهجو اعداءهم واعداء النبي من المشركين الذين منهم من قتل ، وأسر ، أو قلى الأديار ، وقد لحق بهم العار المركب: عار الهزيمة ، وعار الشرك ، وعار قتال النبي ، وهو عار ابدي . .

## أين الملحمة ؟ والبطولات الخارقة تسجل كل يوم ؟

أفلا يحق لنا أن نسأل : لماذا لم يرتق الشاعر  
بأمثال واقعة بدر الصغرى ، وبدر الكبرى ، واحد ،  
ومؤة الأحزاب واليومك ، الى مستوى الملحمة ا رغم  
توفر النفس والشاعرية ، والاعجاب الشديد برموز  
الملحمة ، وادواتها ، من أبطال ، وعلى رأسهم النبي  
وعلي ، ومن معارك رهبة مصيرية ، ومن مشاركات  
وجدانية ، ومساهمة السماء بتحقيق النصر للمسلمين<sup>(١)</sup>  
ومعجزات حقيقية تتم على يد النبي ودهائه العسكري ،  
ونخطه في اختيار المواقع الاستراتيجية ونصب الكمائن  
وإدارة لعبة الحرب ، واشتراك النساء مشركات ومسلمات  
فيها . وهذا هو التأبفة زميل شاعرنا ومعاصره يصف

---

(١) بتلى الآيات : ﴿وانزل الله سكينته عليه، وليهده ببره لم يروها﴾  
سورة التوبة الآية ٤٠.

﴿ فلهذا الذين آمنوا على عهدهم فأصبحوا منكم ﴾ سورة الصف  
الآية ١٤ .

﴿ هو الذي أهلك بقصر وبالمؤمنين ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٨ .  
( قيل : وكثروا في بدر خمسة آلاف جندي .. والله أعلم .. )

زحف جيوش الفساسة ، وصفاً ملحمةً وانعاً ، رغم  
إيجازه ، حيث يقول :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم  
عصائب طير تهتدي بعصائب

مع ان حسان سمع بمثل هذا النمط من وصف  
المعارك والملوك الذي قيل بأقربائه الفساسة ، وهم  
دون بطولة النبي ورأس المسلمين ، والناهضة دون حسان  
اعجاباً بالفساسة وتأثراً بهم ، وإيمان حسان بالدعوة  
وصاحب الدعوة إيمان راسخ لا شائبة فيه ولا ضعف . .  
والمعلقات ؟ ألم تأت مليحة بالأنفاس الملحمة ، رغم  
غنايتها ؟ ولم تكن رموزها ولا ادواتها ، ولا مضامينها ،  
ولا شعرؤها بأقوى ولا أروع ولا أبدع من هذا الجو  
الاسلامي الرائع المريح ، المليء بالانجازات ،  
والبطولات على كل صعيد ؟ .

جو أقل ما يقال فيه أنه مثير وملهم . فلماذا  
وكيف ؟ .

الجواب مع الأسف يكمن في الشاعر ، غير  
المؤهل لمثل هذا ، لا نفسياً ولا جدياً ، ولا  
شاعرياً . . فهو قد انتهى أيام الرسول الى ان يصبح



شاعراً متقاعداً ، يجلس في اطمه طوال النهار يجتر  
ايامه وماضيه ، ثم يمثل بين يدي النبي في المدينة حين  
يستدعيه لسماع بعض قصائده ، او انتدابه لهجاء بعض  
شعراء المشركين ، كابن الزيمري ، وبعض رجالهم  
كأبي سفيان وابي جهل وسواهما . . ثم يعود الى  
اطمه ، شيخاً هرمًا مضطرباً لا غنى فيه ولا غناء ، وفي  
شعره ، مع ان شعره من السلامة والسهولة بحيث كان  
يُغنى في الجاهلية .

جل ما كان يحرك شاعريته الخابية الاحداث  
الاسلامية المثيرة وشمائل النبي ، ويطولات صحابته ،  
فيروح يمدحها ويتغنى بها وياعل بها شعراء قريش  
وابطالها .

ويسدو ان تلك الاثارة وذلك التحريك لم يكونا  
بالمقدار الكافي ليرتقي بها ، شعرياً ، الى ذلك  
المستوى الرفيع الذي يقارب الخلقة او الملحمة . .

ثم ان الاحداث الاسلامية وشخصية الرسول كانت  
هي بحسب ذاتها ملاحم وخوارق ، لم يألّف مثلها  
المرب ، ولا شاعر العرب حسان ، فظلوا ينهلون منها  
على مهل كفيض إلهي ، ارتووا منه ، وذاقوا عنها

فودهم عن الحياة ، واستشهدوا في سبيلها . لكن شعراءهم لم يكونوا على مستوى أبطالهم ، كما تقدم القول ، فلم يخرجوا من مستنقع التقليد والاجترار ، وفي لا وعيهم ان هذا التقليد قدس الاقداس ، وفي استعدادهم ، انهم لا يستطيعون اكثر من تقليده والوقوف عنده . . ولم يكن حسان إلا كسواه من الشعراء ، زمن النبي وخلفائه ، مع انه كان ، بما توفر له من التفرغ ، وطول مراسه بالشعر ، والمخطوطة الكبرى لدى الرسول ، قادراً على ان يعطي افضل ، ووصلنا به اكثر ، اسلاءً على الأقل . ان صلتنا به هي صلة واهية جداً ، بل هي صلة سلبية ، تضمننا في مركز اللوم دائماً ، والتنفذ والتجريح ، بل والاستخفاف . . فنحن لسنا بحاجة الى وثائقه وسجلاته ، وتأريخ الأحداث الاسلامية الكبرى من خلاله . . ولا الى هجائياته وادعاءاته وغزله البارد . . نحن بحاجة الى شاعر الرسول ، ذلك الذي يتفنى ، وبجيد الفناء ، بالحدث الضخم وصاحبه ، غناء ملحماً مثيراً ، بحاجة الى فكتور هوغو عربي امام بونابارت العرب الأكبر بل امام اعظم شخصية دينية وزمنية في التاريخ القديم والحديث هو النبي محمد . . فإذا بملحمة الدهور المحملية الاسلامية تسبق ملحمة

الصحور ، الفرنسية بثلاثة عشر قرناً - لكن شيئاً من هذا ، أو بعض هذا ، لم يحدث ولم يصر النور ، لا عند حسان ، ولا عند غيره ، علماً بأن البوصيري وأحمد شوقي ويونس سلامة قد حاولوا في سلاحهم الشعرية سد ذلك الفراغ الكبير ، لكن نجاحهم كان متواضعاً .. وسبحان مقسم المواهب والأرزاق ! ثم لو ان الشعراء العرب خرجوا من ذواتهم وغنائياتهم ، لالتقوا مع الآخر ، واستوحوا منه ومثلوا وتمثلوا ، بليل البقاء مع تلك « الأنا » المكروهة المفرقة في الصحور والانغلاق على ذاتها كالشرنقة ..

هذا الآخر من : الحدث ( البطل ، المدى ، الزمن ) كفيل بجذب الشاعر إلى حقل مغناطيسيته ، وصهره بآتونه ، والتمرغ برماده ، والتجذر معه ، ثم انبثاق طائر « الفينيق » من هذا الرماد الخلاق .. وطائر الفينيق هو الشعر الذي يحيى ، وهو الشعر الذي يغير العالم ..

عفواً حسان ، فانا لا أحنك بكل هذا ، كما لا أحنك من بعضه ..

حبيبك انك غنيت بعض مواقف النبي وبعض

شمائله ودافعت عن الاسلام ، وصحلت بأمانة الخبير  
احدائه الكبرى ، ووصمت بالعار كل متخلف مشرك .  
حسبك هذا . وحسبنا الله ونعم الوكيل !

### مذهب حسان :

كان حسان وعثماني ، الهوى ، يؤمن بأن الخليفة  
الثالث قد قتل ظلماً وعدواناً . وميله هذا عاطفي أكثر منه  
عقلانياً . ولعله أراد أن يكفر ، برثائه لعثمان عن انسابه  
بني النجار الذين تورطوا في الثورة على الخليفة ،  
فتسوروا دار الخلافة واسهموا في قتله . وفي رواية  
اخرى ان المتسورين دخلوا دار الخلافة من على احد  
اسوار بني النجار الملاصقة للدار وعلمهم . .

قال يرثي الخليفة منوهاً بذلك :

اولفت بنو عمر بن عوف نلرها  
وتسلوئت غداً بنو النجار  
وتخاذلت يوم الحفيظة انهم  
لموا هنا لكم من الاخير  
ونسوا وصلة محمد في صهره  
وتبطلوا بالعز دار بوار<sup>(١)</sup>

(١) قوله : ونسوا وصلة محمد في صهره ، فقد روي عن عائشة ان =

اتركتموه مفرداً بمضيعة  
 تنتابه الفوضى في الأمصار  
 لهفان يدمو غائباً انصاره  
 يا ويحكم يا معشر الأنصار  
 جيرانه الأذنون حول بيوته  
 غدروا ورب البيت ذي الستار  
 إن لم تروا ملداً له وكنيسة  
 نهدي اوائل جحفل جرار  
 فعلمت ما ولد ابن عمرو منلر  
 حتى ينيخ جموعهم بصرار<sup>(١)</sup>  
 لا يحسبن المرجفون بأنهم  
 لن يطلبوا بلعاء أهل الدار الخ...

وثيقة أخرى من وثائق حسان ، في الرثاء كما في  
 الهجاء أو المدح ، يتم فيها تسجيل الحادثة وجزئياتها ،  
 ويشغل المكان والزمان والأشخاص جزءاً كبيراً من

---

٢٠ النبي ﷺ قال : يا عثمان انه لعل الله يمسك قبضاً ، فاذا اردت  
 على خلقه ، فلا تخله لهم . والمراد بالقبض الخلافة التي طلبه  
 المعاصرون بالتنازل عنها ، فلم يقبل .

(١) يقول : ان لم تروا له جيشاً جروراً يأخذ بقره ، ويبيخ جرورا ( جبل  
 قرب المدينة فعلت اعلي . وعمرو ومنلر جلا حسان .

شعره . يتخلل كل ذلك عاطفة معينة ، وانفعالات خاصة يثها في تضاعيف ذلك الحيز . فكأنه يؤرخ حين يفعل ، أو يفعل حين يؤرخ . وحتى الجغرافيا لها في شعره مكان واهتمام ، لدرجة ان بعض شعره اصبح دليلاً « ستراتيجياً » موثقاً به لدى المتحاربين<sup>(١)</sup> .

ها هو يذري النجار والذين قتلوا عثمان بأن  
جيشاً جراءة سوف « تنسخ » في صفح جبل « صرار »  
قرب المدينة لتأخذ ثأرها من قاتلي الخليفة : ذلك  
الشيخ الأشمط المؤمن المتعب في ليله ونهاره ، جامع  
القرآن وصهر الرسول ، وهو القاتل فيه أيضاً :

ضحوا بأشمط عنوان السجود له  
بمنطق الليل تسبيحاً وقرآناً  
لتسمعن وشهكاً في ديارهم  
الله أكبر ، يا ثارات عثمان

وتجيش عاطفته ، لينغمه هذا الجثمان إلى التنبؤ  
بوقوع حروب ثارية ، وتصح النبوة ، وتكون واقعة  
الجمال وصفين اللتان اتخلفتا منحنى سياسياً خطيراً حين

---

(١) يروى ان النبي حين أتى من المهاجرين والأنصار أتى من حسان وعثمان .

استغلها معاوية استغلالاً دفع بالمسلمين الى التناحر  
والاقتال من جديد .

وباضح ذلك الصديق في رثاء الشاعر للخليفة  
المقتول في هاتين المقطوعتين وفي غيرهما . وتلك  
المحاطة المتدفقة التي سالت دموعاً عبر الصور  
والتشابه ، فانسابت رقاقة ساخنة . كما انسابت الصور  
والتشابه صافية واضحة سهلة . والصديق يستبجع ،  
دائماً ، الموضوع في الموقف ، والتعبير والافصاح . .  
هذا ، ولا غرو ، فإن حسان حين رثى عثمان لم يكن  
يرى أمامه خليفة بقدر ما كان يرثي أخاً له وقريباً<sup>(١)</sup> ومن  
هنا صديق الرثاء ، أي رثاء ، ورقته . ثم ان حسان  
قريب قريبه ، ونسب نسيه ، ولهذا جاءت رثائاته  
في عثمان تعبيراً عن عاطفة وود خالصين ، لا  
تسجيلاً لموقف ورأي سياسيين<sup>(٢)</sup> . . ولست الآن ،  
على أي حال ، مهتماً بمناقشة حسان موقفه ، ورأيه في

---

(١) عثمان قريب النبي ومن كبار صحبه وهو النورين . وحسان قريب النبي  
عبر بني النضير . وعليه بعد ان وجبه النبي سيرين انتت ملوكة القبطية  
زوج النبي وام ولده ابراهيم . فلولها عبد الرحمن بن حسان  
(٢) ذلك لان الذين تناحروا للاخذ بشار عثمان لم يؤلفوا بعد ما سمي  
بالمقاتلة .

مقتل عثمان ، فأنا لا أؤرخ للأحداث الإسلامية في هذه الدراسة ، بقدر ما يهمني ، فنياً ، هذا اللون الصافي والواضح من الرثاء الذي قلما وجدناه عند الشاعر إلا حين يرثي كبلر الأجي كالنبي وأبي بكر<sup>(١)</sup> وثمان وبعض شهداء المسلمين ، فتراه ترقق ديباجته ، ويسمو بيانه رقة عاطفته والتعاطف كيانه . وما عدا ذلك فهو ضرب الشوارد ، معقد الديباجة ، أحياناً كثيرة ، وسهل الأسلوب إلى درجة السطحية والابتذال والمباشرة ، أحياناً أخرى ، على عكس رأي شارح الديوان في أسلوب الشاعر . قال : « والذي أراه أن شعر حسان في الإسلام لا يقل في جزالته عن شعره في الجاهلية . . . أما الأصمعي فيرى ، مثلاً ، أن في شعر حسان المسلم لهنأ وضعفاً . ونحن نزيد أن فيه قصور نظر وضعف خيال ، وفهماً سطحيًا لحقائق الأحداث المستجدة . وقد بينا ذلك قبل قليل .

---

(١) لحسان في رثاء أبي بكر هذه المقطوعة الرقيقة :

إذا تذكرت فحبوا من النبي نكته      فأتذكر انك لها بكر بما فصلنا  
 الثاني الثاني المحمود سيرته      وأول الناس منهم صلق الرسلا  
 وثاني اثنين في النار كيف وقد      طاف المدويه إذ صعد الجعلا  
 وكان جب رسول الله قد علموا      عبر البرية لم يفلح به رجلا



ولن نقف عند آراء الاقلمين فيه ، فهي ، كما  
نعرف ، اعتبارية ، ارتجالية ، لا قيمة لها اليوم .  
وربما اعتمدت البيت الواحد ، او المكانة الاجتماعية ،  
لتفضيل شاعر على شاعر . كرأي الحطيئة الذي قال  
يوماً : ابلغوا الانصار ان شاعرهم اشعر العرب حيث  
يقول :

يُفْشُونَ حتى ما نهر كلابهم  
لا يسألون عن السواد المقبل

وعفا الله ، بهذا البيت ، عن جميع السقطات ا

ويقول الأصمعي : « الشعر نكد ، يقوى في الشر ،  
ويسهل ، فإذا دخل الخير ضعف ولان . هذا حسان  
فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط  
شعره » . هذا ايضا ليس صحيحاً . السر ، دائماً ،  
يكمن في الموهبة والاستعداد والرفض او تقبل  
الحدث . والارتفاع الى مستواه والتفاعل معه . .

ولعل كلمة « نكد » التي اطلقها الأصمعي تقابل  
عندنا كلمة « معاناة » وان لم يقصد الأصمعي ذلك . إذ  
أن الشعر نكد فعلاً ومعاناة ، وقدره فائقة على تحويلهما  
الى تجربة والتجربة الى « شعر » . . اما المروود مرور

الكرام بالأشياء والمعاني ، اما المباشرة والعفوية  
وتناول الشعر من الكم ، كما قال يوماً أبو العتاهية ..  
فهذا ليس من الشعر في شيء . ولعل حسان لم يسمع  
بما قاله معاصره الحظيئة في تعريف الشعر ، او لعله  
سمعه ولم يعمل به ، قال الحظيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه  
إذا ارتقى فيه اللي لا يعلمه  
زلت به الى الحضيض قلعه  
يريد أن يعرفه ، فيعجمه

### ===== : الغمرتان

والحق ، اننا لا نجد حسان الشاعر ، في  
الاسلام ، كما نجده في الجاهلية . لقد ضاع في  
الاسلام ، وتبدت تحت وهج الحدث ، ولم يستطع ان  
يصمد .. قال شعراً كثيراً ، في النبي ودعوته ودعائه ،  
ويا لفته لم يقل .. حين فقد صفة « الشاعر » واكتسب  
صفة المؤرخ والناظم دون رصد دقيق ..

في الجاهلية ، كما رأينا ، ظل شاعراً موصول  
الكيان بالزمان والمكان والأشخاص ، لصيقاً ببيئته  
وأشياءها ، ذائباً في صميمها ، وان لم يرفضها ،

يتحدث إليها وتتحدث إليه في مناجاة ، وحب  
ومشاركة . لم تشخ شاعريته ، بعد ، ولم يلقو شبابه .  
تقبل الحياة الحضرية ، بلا شروط ، وتلوق لذائذها بلا  
قيود . وشرب الخمرة مع كبار شاربها بلا تحريم ..  
احب ، وفتك ، وهرب ، ثم صاغ كل هذه التجارب  
شعراً .. ولئن كان لم يحسن الصياغة كالاعشى والنايفه  
وطرفة والمحيطه ، الا انه ، مثلهم ، ظل شاعراً ..

وجاء الإسلام فاستبدل خمرة بخمرة : خمرة مادية  
بخمرة روحية .. غير أن هذه الخمرة الروحية لم تفعل  
فعلها فيه ، بعد ان نصب عبوده ، او كاد ، وجف  
حلقه ، وتبدل ذهنه ، وتلّهي بسفاسف الدهماء  
الاخلاقي ، ولم يرقّ الى مديح نبوي معقول . ووصف  
للأحداث الاسلامية الكبرى مقبول ..

لم يعد ، في الاسلام ، يرى الأشياء بوضوح ..  
شح بصره ، ثم غار .. وجمدت بصيرته ثم بلوت ..  
كان له ، في الجاهلية ، شيطان مريد هو الشيبان ،  
يوحي اليه ويستوحي منه رموز الشر والفتك ، والخمرة ،  
والهجماء . اما في الاسلام فقد بطلت اسطورة الجن  
التي توحي ، واستبدل وحي بوحي . وحي السماء هذه  
المرة الذي ينزل الايات تنزيلاً على النبي وحفظه الوحي

وسندة القرآن . وحل محل الشيعيان جبريل والملائكة  
الذين يسمحون الله بكرة وأصيلاً ، وقد يتجسّدون بأمر  
ربهم ، فيشتركون في القتال على الأرض ، مع جيش  
النبي . . امام هذا الجو الروحاني المدهش والمثير ، لم  
يستطع حسان ، كشاعر ، ان يرقى اليه ، ويستوحى مع  
المستوحين ويستلهم مع المستلهمين .

قال حسان وكانت السحابة<sup>(١)</sup> لقيته في بعض ازقة  
المدينة ، فصرعته . . وقعلت على صدره ، وقالت له :  
انت الذي يأمل قومك ان تكون شاعرهم ؟ فقال :  
نعم . قالت : والله لا ينجيك مني إلا أن تقول ثلاثة  
أبيات على روي واحد . فقال حسان :

إذا ما ترعرع فمينا الخلام  
فما إن يُقال له من هو<sup>(٢)</sup>  
فقالت : تته ، فقال :

إذا لم يسد قبل شد الإزار  
فللك فينا الذي لا هو<sup>(٣)</sup>

(١) السحابة : أنثى الجن . وقيل هي ساحرة الجن ، وهي الفول . وقال :

استعملت المرأة صارت كالسحابة غيثاً لو قوة تأثير ، وسحر . .

(٢) يعني به من هو ، والله صار معروفاً بأن جده والفضل . أو : اشهر من ان يعرف .

(٣) الذي لا هو أي الذي ليس مثلي منحل فينا .

قالت : ثلثه . فقال :

ولي صاحب من بني الشيصبان  
فطوراً أقول ، وطوراً هو<sup>(١)</sup>  
فما معنى هذه الحوارية الشيطانية بين الشاعر  
والشيصبان؟ .

معناها ان خيال الجاهلي على مستوى من الرقي  
الميثولوجي ، إذا صح التعبير ، إلى درجة التخيل ،  
والتخيل ، وتمثل عالم مسحور ساحر ، متجسد في  
مجتمع وادي عفر ، حيث يعيش الجن من كل نوع . .  
ويتوزعون على كل شاعر « عفري » او يتلبونه ،  
ومنهم حسان . .

فإذا ما قالوا شعراً راقياً نسبوه إلى هذا العالم  
السحري ، لا سيما في الغزل ، والخمرة ، والفخر .

---

(١) الأخ لو صاحب من الجن هو شيطان الشاعر الجاهلي الذي يوحى اليه الشعر .  
وكان يسمى تاهماً ودياً . وكان للفرزدق شيطانان هما : الهوجل والهوير .  
وشيطان الأمشي : سحل والشيصبان : قبيلة من الجن ، ومنها شيطان  
حسان . وشيطان بشر : سلتاق . يصف حسان شيطانه بأنه عالم غير حين  
يوحي كلامه أحسن الوحي :

ويضي من الجن البصير إذا حال الكلام بأحني الجفير  
( الوحي )

وكلما كان الشاعر قادراً على الاستيحاء من هذا العالم  
كان « مجنوناً » قد دخله الجن ، وأصبح مسكوناً به ..  
لا يملك معه إلا أن يكون شاعراً ..

ولعمري ما كان ذلك ، في الحقيقة ، إلا بفعل  
نشوة ، أو صبوة ، أو حزة في الائم تملأها الشاعر  
الجاهلي وما بها أو سمت به ، فخيّل إليه أن شيئاً  
ما « روحاً ما » تملكه ، هناك ، وانتشله ، هنيهات ،  
من عالمه الأرضي الضيق الكئيب .. ثم أوحى له بما  
يريد وما يشتتهي .. وتمت له غيبوبة ونشوة ، في عالم  
سماه ، بعد صحوة : جنّاً !

هاتها لم تقتل ! : من خمريات حسان في  
الجاهلية :

قال بعد أن فرغ في مدح الفساسة :

ولقد شربت الخمر من حائوتها  
صبها صافية كطعم الفلفل  
يسمى علي بكاسها متنظف  
فجعلني منها ، ولولم انهل  
ان التي ناولتني فرددتها  
قتلت ، قُلت ، فهاتها لم تقتل ..

كلتاها حلبُ المعصير فمطاني  
 بزجاجة أرخاهما لليفضل  
 بزجاجة رقصت بما في قعرها  
 رقص القلوص براكب مستعجل  
 ثم ختما بالفخر قائلاً :

نسبي أصيلٌ في الكرام وملودي  
 تكوي مواسمه جنوب المصطلي  
 وليقد نقلنا المشيرة امرها  
 ونسود يوم النائبات ونعتلي  
 ويسود سهدنا جنحاجع سلة  
 ويصيب قائلنا سواة المفضل  
 ونحاول الأمر المهم خطابه  
 فيهم ونفصل كلُّ أمر مُعطل  
 وتزود أبواب الملوك ركبنا  
 ومتى نحكم في البرية نعدل

انه يراوح باعتزاز ، بين نشوات ثلاث : نشوته  
 بالانتساب الى تلك العصابة في جلق . . ونشوته بخمرة  
 حريف ينهلها من يد غلامية نطف أو غلام . . بعد أن رد  
 تلك الخمرة المقتولة بالماء واستبدلها بخمرة غير

مقتولة ! ونشوته بسيادة قومه بني النجار على قبائل الازد  
والاوس والخزرج ومن يليهم من عرب الجزيرة .. الى  
درجة انهم يحكمون في رقاب الناس لمعدلون ولا  
يجورون ..

يعط سكراناً :

وممسك بصداغ الراس من سُكَّر  
ناديته وهو مغلوب فغداني  
لما صحا وتراخى العيش ، قلت له  
إن الحيلة ، وإن الموت مثلان  
فما شرب من الخمر ما آتاك مشربه  
واعلم بأن كل عيش صالح فإن

ولكنها موعظة تفري بالخمرة ، ولا تنهى عنها ،  
يتقبلها المغمور بالشكر رغم الصداغ الذي تسببه : .  
وما دامت الحياة والموت سيان وكلاهما في الحقيقة  
موت ، فلا بأس من اقتناص الفرصة بين موت  
وموت .. مذهب حسان جاهلي سيصبح بعد قرن من  
الزمان مذهباً نواسياً ، ثم غريباً .. وكان من قبل مدار  
فلسفة يونان ورومان .. وسراً من أسرار عقائدهم  
الميثولوجية وأساطيرهم : فللخمرة عندهم آله وملائكة



مقناة ، وطقوس ومراسيم .. تحيي وتميت وتنصر  
الأبطال في الحروب ...

✓ يعيش مع الخمرة شرباً وشعراً : =====

دخل يوماً بيت خمار بالشام ومعه الأعشى . فاشترى  
خمراً وشرباً . فلما حسان . ثم انتبه ، فسمع الأعشى  
يقول للخمار : كره الشيخ القُرْمُ .. فتركه حسان حتى  
نام . ثم اشترى خمراً الخمار كلها ، ثم سكبها في  
البيت حتى سالت تحت الأعشى .. فعلم انه سمع  
كلامه ، فاعتذر إليه .

فانأ حسان يفتخر ويهجو :

ولسنا بِشَرِبٍ فوقهم ظل بُرْدٍ  
يصلون للحانوت نساءً مُقَصِّداً<sup>(١)</sup>  
ولكننا شرب كرام ، إذا انتشوا  
أهانوا الصريح ، والسليف المرهد<sup>(٢)</sup>

---

(١) من القصد : فق العرق ليخرج منه دم فيشرب .. وكنت العرب : فعل ذلك ،  
لهم الشدة : يصدون البحر ، فلذا خرج الدم سخنة وأكلوه ويقول حسان : لنا  
بشرب صعليك ، يصدون التيس ويأكلون دمه ..  
(٢) السليف : النام . المرهد : النقطع

وتحسبهم مائتوا زمين حلیمه  
 وإن نأنتهم تحمداً نذامتہم غدا  
 وإن جنتهم ألفیت حول بیوتہم  
 من المسك والجادي ، فتیتاً مبدداً<sup>(١)</sup>  
 ترى فوق أئناء الزرابي ساقطاً  
 نعالاً وقسویاً ، وربطاً معصداً<sup>(٢)</sup>  
 وذا نطف يسمى ملصق خدی  
 بدیاجة تكفافها قد تقلداً<sup>(٣)</sup>

أنشودة للشباب المنصرم ، والذكریات :

إن شرخ الشباب ، والشعر الأ  
 سود ما لم يعاص كان جنوناً<sup>(٤)</sup>  
 ما التصابي على المشيب ، وقد قل  
 بت من ذاك أظہراً وبطونا

(١) الجادي : الزطران . وقيل له الجادي نسبة إلى قرية بالشام بنيت لها .

(٢) الزرابي : الظالي . الربط : المتطيل . قسویا : خفاف ، لا واحد له .

(٣) نونطف : الدلام المنروط . النطف : الترت . البیاجة : الثياب المتخلطة من

الأبرسم . مقنعة : مقطعة .

(٤) ما لم يعاص : ما لم يركب المعاصي .

إن يكن غُثٌّ من رُقاشٍ حديثٌ  
 فيما نأكل الحديث سمينا . (١)  
 وانتصبنا نواصييَ اللهو يوماً  
 وبَحشنا جناتنا يجتنونا  
 فجئنا جَنَى شهيأٍ خلياً  
 وقضوا جوعهم وما يأكلونا  
 وأمينا حديثه برّ نفسي  
 فرعاه حفظ الأمين الأمينا

### جغرافية الحبيب :

قال يمدح صديقه الأثير الأهر جَبَلَةَ بنِ الأبهم ،  
 مبتداً بوصف ديار الفسانة أنسابه وأحبابه . داراً داراً  
 وموقعاً موقعاً :

لمن الدار أوحشت بِمَعَانٍ  
 بين أعلى السرموك فالخمان  
 فالقريبات مِن بِلَاشٍ قِدارٍ  
 يَنا ، فَكساء ، فالقصور الدواني

(١) رُقاش : اسم السنية . يقول : لذا كان حديث رُقاش قد غث ولغ ، وهي أعلى  
 من أي الحاقوت ، لأي حديث بعد سبعين ممتع . لمعه يبعد : انه لا نهاية في  
 التصاني بعد المثيب ..

فَنَقِصًا جَامِسًا ، فَالْوَدِعةُ الصُّفْرُ  
 مَغْنَى قِبَالٍ وَهَجَانٌ<sup>(١)</sup>  
 تِلْكَ دَارُ الْعَزِيزِ بَعْدَ أَنْيَسِ  
 وَحُلُولِ عَظِيمَةِ الْأَرْكَانِ  
 ثَكَلَتْ أَمَهُمْ ، وَقَدْ ثَكَلَتْهُمْ  
 يَوْمَ حَلَوْا بِحَارِثِ الْجَوْلَانِ<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ دَنَا الْفَصِيحُ فَالْوَلَاكِدُ يَنْظُمُ  
 بِيْرَاهِمَا أَكْلَةَ الْمَسْرَجَانِ<sup>(٣)</sup>  
 يَجْتَنِبُ الْجَبَابِيَّ فِي نَقَبِ الرِّبْطِ  
 عَلَيْهَا مَجَامِدُ الْكِتَابِ  
 لَمْ يُعْلَلْنَ بِالْمُخَافَرِ وَالصُّمُغِ ،  
 وَلَا نَقِيبِ حَنْظَلِ الشُّرْبَانِ<sup>(٤)</sup>

(١) كل هذه مواضع بأكتاف دمشق كانت مقر تلك آل جفنة الفلمسة ، والمغنى :  
 المنزل الذي بني به لهله ، أي أقاموا ، ثم ظعنوا عنه . والقبائل ، هنا ،  
 الرؤساء من قريتهم : فلان قيل القوم أي صرغوم . وقوم هجان ، ورجل  
 هجان ، أي ليس كهم القنب نقة . والهجان من كل شيء المخالف .

(٢) هو الحارث بن أبي شمر البجلي .

(٣) الفصيح عند التنصاري حيد ذكرى قريظة السيد المسيح . الأكلة : جمع أكليل .

(٤) المخافر : صمغ يسيل من الحنظل . ونقته : كره . تستخرج مائه . يقول :  
 إن ولاكنهم شأهم إن ينظمن الحللى وأكلة المـرجان ويصلبن بالزعفران كأنه  
 على ثيابن الأزهار قد اجتنبا ، ولئن مر يبتلى صمغ المغلبر ويغفن  
 الحنظل كالبدويات

ذاك مغنى من آل جفنة في  
 الدهر، وحقّ تعاقب الأزمان  
 قد أراني هناك حقّ مكين  
 عند ذي الناج مجلسي ومكاني  
 ذكريات اليمّة تعاوده كلما تلقى الى حياة  
 الجاهلية .. حياة لم تكن ، في الواقع ، حياة عادية ..  
 كانت له ، عند الفسانة مهرجاناً ربيعياً ، عاشه حلماً ،  
 ولم يعيشه واقعاً بلهدأ تنفسي لذا ذاته إذا ما مضى  
 وانقضى ، وتتقطع في حواسه ، اسبابه ..  
 كل شيء ما زال ماثلاً في حس الباصرة والبصيرة :  
 الدار ، وقد أوحشت ، في مكان ، هناك في أعلى  
 الهرموك ، فالقريّات من بلاس : . ووديان الصّقر ،  
 فداليا ، فسكاه . فالقصور الدواني .. ها هي أعياد  
 الفصح تُقبل بكل أفراسها وطفوسها : صباها القصر  
 يسرعن في جمع أكاليل المرجان ! وجني الزعفران ،  
 يصطبخن به كأنه على أنوار من أزهار وورود .. صباها  
 تحضررات ناصعات ، لا تلتطخ أيديهن « ضافراً »  
 وصموغ ، ولا نفث حنظل ، شيمة البدويات في  
 الصحراء الجليل .. كيف لا ! وهن في مغاني  
 الفسانة ورياضهم عند جِلْت وبعري والجولان

والجارية .. آه .. هناك كان مجلسي ومكاني .. بين  
يدي اجبتي ولدات صباي .. لكنها الأيام ، وتماقب  
الأزمان ..

### غزله :

لم يكن حسان ، في شبابه ، زير نساء ، كما يرى  
القيس مثلاً ؛ ولا كان « حصوراً » كابن المعطل . وكان  
على قدر من جمال الطلعة ملقت لفتيات المدينة حيث  
ترهرع ، وجلق ، حيث عاش أكثر أيام شبابه . وصفه  
الرواة بأنه كان ذا لحية سوداء ، وناصية ( أو خرة ) قد  
سدلها بين عينيه ، وهشون مخضب بالحناء ؛ لكي  
يسلو ، كما قال لابنه : « كأنه أسد والخ في دم .. »  
اميل الى الطول ، منه الى القصر .. وقد مر معنا  
ذلك . هذا من حيث الشكل والهندام .. اما من حيث  
الموضوع ، او الصفات والشماكل : فقد كان كريم  
العنصر ، طيب الأرومة ، نبيل النفس ، وفيلاً ، حاضر  
النكتة ، يتميز بجرأة أدبية ملحوظة ، كما رأينا ، فكيف  
به مع النساء ! ناهيك بقريحته الفياضة ، وشاعريته  
الموروثة من آبائه وأجداده اللذين كانوا كلهم شعراء ..  
وحتى اخته وابنه وابنته<sup>(١)</sup> ..

(١) يؤكد ذلك الميرد في قوله : « وأحرق قوم كانوا في الشر آل حسان ، فنهزم  
يقتلون سنة في نسك كلهم شاعر » .

إذن : شبيب ريان ، وشاعرية ، ومكانة ، وغنى . .  
 لماذا ينقصه كيلا يفتك ، ويشيب ، ويلهو ؟ لا شيء  
 سوى أن يكون نظماً غليظاً مع الفتيات ، لا يحسن  
 الحديث إليهن ، أو التغزل بهن ، أو أن لا يكون قد  
 أحب فعلاً . . نرجح أن لا . . ولا نؤكد . . وعلمنا أن  
 آثار حسان الجاهلي من غزل وخمر وحبون شحيحة  
 جداً . . ربما طمسها الرواة كيلا تنسب لشاعر أصبح ،  
 في الاسلام ، شاعر الرسول الأول ، والناطق باسم  
 الدين الجديد ، أممّ المشركين وربما كان ذلك من  
 عمد . فنحن نقلب أخباره في الأغاني فلا نجد له شيئاً  
 من هذا القبيل ، وكذلك في المراجع القديمة الأخرى .  
 وهذا ديوانه ، وشرح ديوانه ليس فيهما ما يُغني . . إذ لا  
 يعقل أن يكون شاعر كحسان توفرت له ، في  
 الجاهلية ، كل أسباب الفتك والمجون والمريضة ، ولا  
 يفتك أو يعريد أو يحب ثم يصف كل ذلك شعراً . . .

حادثة واحدة ، يذكرها الاغاني ، وهي ميته مع  
 الأعمى في خمارة<sup>(١)</sup> . وهذا نحن ثبت ما جاء في  
 ديوانه أو شرح ديوانه من الغزليات ، وهو قليل جداً .

(١) ورد ذكرها في هذه الدراسة

ولا نقف، طبعاً، على ما جاء في مطلع مدحياته أو  
فخرياته من غزل تقليدي ولو ورد فيه اسم صاحبه  
شمشاء . .

قال يصف همومه الليلية بعد هجر شمشاء له :

تطاول بالخمَّان ليلي، فلم تكن  
تهم هوائي نجمه ان تصويبا<sup>(١)</sup>  
ابست ازاغيبها كأي موكب  
بها، لا أريد النوم حتى تُغيبها  
إذا غار منها كوكب بعد كوكب  
نراقب عيني آخر الليل كوكبا  
غوائر تترى في نجوم تخالها  
مع الصبح نتلوها زواحف لغبا  
أخاف مفاجاة الفراق يفتـ<sup>ة</sup>  
وصرف النوى من أن تشت وتشتبا  
وأيقنت لما قوض الحي غيبهم  
بروحات بين يترك الرأس أشيبا

---

(١) الجمال : موضع بالقرب من دمشق (شرح الديوان) .



واسمعك الداعي الفصيح بفرقة  
 وقد جنحت شمس النهار لِتَغْرُبَا  
 وَتَيْنَ فِي صَوْتِ الْغُرَابِ اخْتِرَابَهُمْ  
 عَشِيَّةً أَوْ فِي غَمَنِ بَانٍ فَطْرُبَا  
 وكنت فداة الين يغلبني الهوى  
 اعالج نفسي ان اقوم فأركبَا  
 وكيف ولا ينسى النصابي بعدما  
 تجاوز رأس الأربعين وجربَا  
 وقد بان ما يأتي من الأمر واكتنت  
 مفارقه لوناً من الشيب مُغْرِبَا<sup>(١)</sup>  
 اتجمعُ شوقاً ان تراخت بها النوى  
 وصدأ إذا ما اسقبت وتجنبَا<sup>(٢)</sup>  
 إذا انبت أسباب الهوى وتصدعت  
 عصا الين ، لم تَسْطِغْ لشعشاء مطلبَا  
 وكيف تصني المرء ذي اللب للصبا  
 وليس بمعنور إذا ما تطربَا

(١) الْمُغْرِبُ : الأبيض .

(٢) اسقبت : بالسين أو بالصاد : من الحب : الفخر . المصاغة : المقارنة .

اطبِلْ اجْنَاباً عَنْهُمْ فَيْرَ بَغْضَه  
ولكن بَقِيّاً رَهْبَةً وَتَصَحْباً (١)

وهي كما ترى غزلية علانية لشاعر هجرته حيثته  
بعد أن بلغ الأربعين ، فلم يبق له سوى التصابي والتأوه  
وخرف الدموع . ولا أرى فيها شيئاً من خصوصية الشاعر  
ولا من لوعته الحقيقية وإذا ما كان قد أحب شعشاء  
فعلاً ، أم لا . . كما أنها يمكن أن تنسب إلى أي شاعر  
جاهلي مخضرم ، أو اسلامي ، غير حسان . .

مرّ الشاعر بنسوة ذات يوم فيهن عمرة (٢) وكان  
خطبها سراً ، فأعرضت عنه . . وقالت لامرأة منهن : إذا  
حاذاك هذا الرجل فسله من هو ، وانسي أحواله . فلما  
حاذاها سألته من هو ، فانتب وسألته عن أحواله  
فأخبرها فأعرضت عنه فحدد لها حسان النظر ، وعجب  
من فعلها بامرأته وهي تضحك فعرّفها ، وعلم أن الأمر  
من قِيلَها . فقال :

---

(١) البيا : الإلقاء . والتصحب : التمتع من الصبة .

(٢) هي عمرة بنت الصامت بن خالد بن مطية تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها  
نفسه . وهي ليست عمرة بنت ربيعة لأمّ عبد الله بن ربيعة ( من شعراء  
الرسول ) والتي شُبِّ بها الشاعر قيس بن الخطيم .

قالت له يوماً تخاطبه  
 نفجُ الحقيبة غادة الصلبة<sup>(١)</sup>  
 اما الوَسامة والمرومة أو  
 رأيي الرجال ، فقد بدا - حسي  
 فوددتُ انك لو تخبرنا  
 من والدك ، ومنصب الشعب<sup>(٢)</sup>  
 فضحكت ثم رفعت منصلاً  
 صوتي أوأن المنطق الشعب<sup>(٣)</sup> :  
 جلبي أبو ليلى . ووالده  
 عمرو ، وانحوالي بنو كعب  
 وانا من القوم الذين اذا  
 ازم الشتاء محالف الجلب

- 
- (١) نفجُ الحنية : عظيمة المجر . الصلب : عظم في مقدم أعلى الظهر .  
 (٢) المنصب : الأصل ومنه التصابي . والشعب : أبو القبائل فهو الأكبر من القبيلة .  
 ورأيي التسلسل هكذا حسب ترتيب الزبير بن بكار : الشعب - القبيلة -  
 العميلة - البطن - الفخذ - الفصيلة . وهي على ترتيب خلق الإنسان ..  
 فالشعب اعظمها مشتق من شعب الرأس . ثم القبيلة من قبيلة الرأي  
 لاجتماعها ، ثم العميلة وهي الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم العميلة وهي  
 الساق ..  
 (٣) الشعب ( يسكون النون ) نهج الشر والملة تفتح .

اعطى ذوو الأموال معسرهم  
والضاريين بموطن الرعب  
حوارية لا بأس بها ، فيها من الخصوصية والرقعة  
والذوق الشيء الكثير ، كما أن فيها غلو الشباب  
وغلوؤه ، سيما ذلك الشباب المعتز ، أمام حمرة ،  
بأرومته المتجلدة في أحماق العز والرفعة والكرم ، ابتداء  
من جده أبي ليلى : النجار أو تيم الله ، ووالده  
عمرو بن عامر ، وانتهاء بأخواله بني كعب بن الخزرج  
بن مسعدة . وتمجني تلك الضحكة الانكازية من فتى  
مشافى عز عليه أن تزري به حمرة أمام صوبحاتها  
فانتفض رافعاً صوته متخفياً بنسبه ، معدداً مآثر قومه  
الذين إذا شتوا بذلوا أموالهم للمعسرين ، وإذا خاضوا  
الحروب ضربوا في مواطن الرعب ، أي في صميم  
قلوب الأعداء . . وهي كناية رائعة وفق اليها الشاعر ،  
تذكرني بكناية مثلها لأبي حبان البحري في صراحه مع  
الذئب ، حيث يقول : فاتبعته أخرى ، فاضللتُ نضلها  
بحيث يكون اللب والرعب والحقد<sup>(١)</sup> وتنتهي المباراة  
والمباهلة بسكوت حمرة وانتصار حسان الفتى المدلل

(١) انظر كتابنا: البحري بين البركة والايوان. ص ١٢٦ التلخيص: د.  
ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٢.

المشاغب . كما يتصور الفن والشعر عند حسان ،  
ربما ، لأول مرة في غزله ، ذلك لأن سائره وقوف على  
الاطلال ، ومطالع غزلية مصطنعة لا رصيد لها من  
صدق أو فن . .

ومن فخرية له هذا المطلع الغزلي الدقيق الوصف  
لمفاتيح « النضيرة » بنت القصور وكأنه يعرفها من  
ملاصقة ومعايشة ، غزله هذا لا يثير بقدر ما يعجب .  
لقد نحت للنضيرة تمثالاً دقيق التفاصيل ، ولكنه من  
مرمر ليس فيه حياة ، كما صور لنا نفسه ذلك البدوي  
الضارب في الصحراء على هدى الخير سعياً إلى قصر  
الحبيب النضر :

حبي النضيرة ربة الحذر  
اسرت إليك ، ولم تكن تسري  
فوقفت بالبيداء أسألها  
إنني اهتديت لمنزل السفّر  
والميش قد رفضت ازمتها  
مما يرون بها من الفتر  
وعلت ملوياً محاسنها  
مما اضربها من الضمر

كنا اذا ركذ النهار لنا  
نغتاله بنجائب صعر  
عوج . نواج يمتلين بنا  
بمضمين دون النص والزجر  
مستقبلات كل هاجرة  
ينفخن في حلق من الصفر  
إلى أن يقول :

فإذا الحوادث لا تضعفني  
ولا يضيئ بحاجتي صدري  
يعمي مقاطي من يوازي  
إنني لعمرك لست بالهمل  
إنني أكارم من يكارمني  
وعلى المكاشح ينتحي ظفري  
لا أسرق الثمراء ما نطقوا  
بل لا يوالق ثمرهم شعري  
إنني أوس لي فلكم حسبي  
ومقالة كمقاطع الصخر  
وأخي من الجن البصير إذا  
حال الكلام بأحسن الحبر

أنفيسر ما ينسي وينكس  
 صبرم ، وما أحدثت من هجر  
 جودي فإن الجود مكرمة  
 واجيزي التحسام يعطي ما يفري  
 وحلفت لا أنساكم أبداً  
 ما رد طرف الصين ذو شفر  
 وحلفت ما أنسى حديثك ما  
 ذكر الغوي لذافة الخمر  
 ولأنت أحسن ما برزت لنا  
 يوم الخروج بساحة القصر  
 من دوة أعلى الملوك بها  
 مما ترئب حائر البهر  
 ممكورة الساقين شبههما  
 برديتا منحهر غمر  
 تنمي كما تنمي أرومتها  
 بمحل أهل المجد والفخر  
 يمتلاني شوق فلاذكرها  
 من غير ما نسب ولا صهر  
 كنذكر الصادي وليس له  
 ماء بقنة شاق وعمر

ولقد تجالسني فيمنعني  
 ضيق المدرع وعلة الخفر  
 لو كنت لا تهوين لم تردى  
 أو كنت ما تلوين في وكر  
 لأثيته لا بد ، طالبه  
 فاقني حياك واقبلي عذري  
 قل للنضيرة ان عرضت لها  
 ليس الجواد بصاحب النزر  
 قومي بنو النجار وفداهم  
 حسن ، وهم لي حاضرو النصر  
 جرثومة عز معاقلها  
 ١ كانت لنا في سالف الدهر

### الحكمة عند حسان :

لم تكن « الحكمة » عند حسان « عملاً شعرياً  
 مراعيّاً مستقلاً عن عمل الحس واللاوعي وانبثاق  
 العاطفة كما فعل المتنبي ، مثلاً ، في تجربته العقلية »  
 او « تجربته الشعورية المعقنة » إذا صح التعبير بمعنى  
 ان حسان لم يكن يختزن في أعماقه ثقافة أو معرفة  
 مميزة ترفله ، حين يمدح ، أو يتغزل أو يرثي أو



يهجرو ، بقيم جاهزة يثبتها في تضاعيف هذه الموضوعات ، فإذا بها حكمة أو رأي أو موقف . . كانت روافقه ، في الجاهلية « معلومات » أكثر منها ، ثقافة ، اقتبسها من عادات وقيم الفساسة وفي الاسلام رافدها ، الأوحذان : القرآن وشخصية النبي .

الحكمة فلسفة ملمومة تختصر فهم الشاعر للمجتمع على نحو ما ، والكون على نمط تفكير خاص أو عام . . فإذا كان الشاعر منسجماً مع قيم المجتمع وسنن الطبيعة ، جاءت حكمته أو فلسفته تقليدية مكرورة ليس لها سوى إطارها الفني الذي يتميز به الشاعر المبدع . أما إذا كان الشاعر في موقف الرفض أو المصطلم بهذه القيم فتأتي حكمته نتيجة تفاعل شديد معها . . وهذا يعني مرور الشاعر بتجربة فكرية وشعورية مرة مرارة المعاناة والألم .

على أن من آفات الحكمة التي هي وليدة « العمل الفكري » في الشعر ، أنها تحد من عفوية التفجير الشعوري ، مما يعيق تدفق التجربة ويثقلها ببعض الفلسفة ومحاكات المنطق . ويربط عملية الإحياء والاستحياء بقيود التفكير والتجريد الذهني البطيء .

لا بأس أن تأتي الحكمة ، كما عند المتبي ،  
 نتيجة انفعال الشاعر بالمعاني انفعالاً شديداً ، ثم يلقاها  
 العقل المثقف ، في عملية تسلم وتسليم فيصوغها  
 حكمة ، على أن نشعر نحن بذلك وليس الشاعر . .  
 وإن تنساب الحكمة انسياً خفياً ، ثم تطفو على  
 السطح ، هكذا ، ويمنون أن يشعر المتلقي بأن من  
 يرسلها إليه لا يعتمد عليها تعمداً . .

واسوأ الحكم ، هي التي يعتمد الشاعر أن يختم  
 بها قصيدته . . وكأنه خطيب واعظ يريد ، قبل أن يخلد  
 المنبر ، أن يثير تصفيق الجمهور ، بعد أن أثاره قرفاً  
 وانزعاجاً . .

فمن أي صنف كان حسان الحكيم ؟ .

من الانصاف للشاعر أن نقول أنه كان يمر في  
 حالات توتر كثيب واستنزاف من بعض الموتورين ،  
 فينبغي لرد التهم الباطلة عن نفسه ، وليس من  
 الضروري أن يكون بعضها تهمة الجبن<sup>(١)</sup> يبري وهو  
 في حال من التأثر والهيجان ونبرة الاستعلاء بحيث يأتي

(١) كما أكتنا بطلاتها في فصل سابق .

دفاعه عن نفسه وكرامته متوجاً بالحكمة ، أو مصطبغاً  
بها . فهو حين قال :

وإن امرءاً يمسى ويصبح سالماً  
من الناس ، إلا ما جنى ، لنعيذُ  
كان يعبر عن ألم دفين عائلته ، من أولئك الظالمين الذين  
شنعوا عليه في كثير من صفاته ومواقفه . إنها صرخة  
المظلوم ، في كل زمان ومكان ، وآهة البريء المعجى  
عليه ، في كل أوان . . هذه الحكمة هي من الحرارة  
والصدق والشمول بحيث لم نعد نشعر أنها تعبير عن  
حالة خاصة لشاعر معين ، بل هي لسان حالنا ، نحن ،  
في زمن : السلامة من الناس ، والسنة الناس ، ربح  
عظيم . . والبعد عنهم فردوس مقيم . .

وحين تلهى الابن والحفيد بهذه الحكمة فرُخت  
لهما حكمة مماثلة ، ولكنها جاءت باردة ، برودة  
صاحبها . يقال إن هيد الرحمن بن حسان ، وكان  
شاعراً ، أراد أن يباري أباه في حكمته ، فنسخها ، إن  
لم ينقل نسخها . . فأصبحت ، على لسانه ، هكذا :

وإن امرءاً نال الغنى ثم لم ينل  
صديقاً ، ولا ذا حاجة لزهد  
( الزهد : اللثيم )

ثم جاء الحفيد وهو سعيد بن عبد الرحمان فصاغها  
كما يلي :

وإن امرءاً لاحى الرجال على الفنى  
ولم يسأل الله الفنى ، لحسود  
أما ابنة حسان ، وكانت أيضاً شاعرة ، فلم تتدخل  
في هذه اللعبة . . ربما حدث ذلك بعد وفاتها . . من  
يُدري . .

وفي الاسلام انقلبت حكمته رأياً تقريرياً ، أو عظة  
مأخوذة من القرآن والحديث . لا قيمة لها في ميزان  
الشعر ، كقوله :

هداهم به بعد الضلالة ربهم  
وارشدهم ، من يتبع الحق يرشده  
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا  
عمى ، وهداة يهتلون بمهتدي  
وقوله :

أرى كثرة المصروف يورث أهله  
وسود عصر السوء غير المُنوّد  
إذا المرء لم يفضل ، ولم يلق نجدة  
مع القوم ، فليقم بصغر ، ويتعبد

وانني لأغنى الناس عن متكلف  
يرى الناس ضلالاً وليس بمهتدي

وينسخ قول لبيد وغير لبيد فيقول :

فما المال والاخلاق إلا معارة  
فما استطعت في معروفها فتزود

ولبيد يقول :

وما المال والأهلون إلا ودائع  
ولا بد يوماً أن ترد السودائع

وفي قول لبيد رمز بعيد لما افصح عنه حسان في  
السطر الثاني من بيته .. ويبلغ من التقريرية الثرية  
مداها حين يقول :

متى ما انتهت الأمر من غير بابيه  
ضللت، وإن تدخل من الباب تهتدي

انه ينظم القول المأثور : ادخلوا البيوت من  
أبوابها .. ولا يزيد شيئاً .. لا نعرفه .. ومتى كان  
الشعر تفسيراً وإرشاداً أخلاقياً ؟ من المفروض أن يكون  
الشاعر أرقى من معاصريه تفكيراً وخيالاً واستيعاء  
ورؤياً . حتى إذا عبر عن هله ، فاجأ معاصريه ، أو

صلتهم ، أو هزمهم ، أو اغناهم . اما إذا تحدث إليهم  
بما يعرفونه وبما يسمونه « تحصيل حاصل » فلن يحرك  
فيهم شيئاً ، ولن يطيل من أعمارهم لحظة واحدة ...  
بل قد يهدر منها لحظات !

وحسان لم يرق في شعره عامة ، وفي حكمته  
خاصة ، إلى أرفع من مستوى معاصريه ، بل حدثهم  
بما يعرفون وبما يألفون ، وصاغ كل ذلك شعراً ، لا  
سيما في الشطر الإسلامي من حياته . وتغنى لهم بمآثر  
النبي ويطولات حواريه . وهاجم بخبرة ولباقة وشدة  
أعداء الإسلام ، فارضى المسلمين ولكنه لم يُرضِ  
الشعر .. كما يجب ..

### أعلان مبادئ فروسية :

طالما كان حسان يهذي بشمائل البطل ، ويحيا في  
لا وعيه قيما فروسية جاهلية كرسها الاسلام ونادى بها  
لأنها تتلالم مع القيم الاسلامية الجديدة : كمفة  
اللسان ، وزياطة الجأش ، والقول الفصل ، والجود مع  
قلة المال ، والعفة والحياء ، واحتمال أذى الدهر ،  
والصبر على الجوع ، والبشاشة ، والنجدة الخ... ها  
هو ينقلها من لا وعيه إلى وعيه ، إلى شعره ، يغني بها

كانها حقائق ثابتة عاشت فيه وعاش لها وبها ، خصوصا  
أمام شعناء :

لعمرك أبيك الخمر يا شعث ما بيا  
علي لساني، في الخطوب، ولا يدي<sup>(١)</sup>  
لساني وسيضي صارمان كلاهما  
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي<sup>(٢)</sup>  
وإن أك ذا مال قليل أجده به  
وإن يُهتصر عودي على الجهد يُحمدي  
فلا المال ينسيني حيلتي وعفتي  
ولا واقعات الدهر يظللن مبردي  
أكثر أهلي من عيال سواهم  
وأطوي على الماء القراح المبرد  
واني لمعط ما وجدت ، وقائل  
لموقد ناري ليلة الريح أوقد

---

(١) لم يجرؤ على القول : في الحروب بدل الخطوب .. لتجلمع واقعه . فهو  
قد يكون بطلاً في الخطوب لا في الحروب .. وفارساً معلماً من فرسان الشعر  
والإباء والكرم والعفة والجاه وسوى ذلك .. ما عدا فرسية الحرب وسفك  
الدماء ..

(٢) المذود : اللسان . وحقاً ما قال حسان . لكنه قد بلغ من الإحشاء ما لا يبلغه  
السيف فيهم .. وهكذا حرص بلسانه عما فقد في ذراعه وسيفه .

واني لقوال لدى البيت مرحباً  
 وأهلاً إذا ما جاء من غير مُرْصِدٍ  
 واني ليدعوني الندى فأجيبه  
 وأضرب يعض العارض المتوقد<sup>(١)</sup>  
 واني لحلوّ تعتريني مرارة  
 واني لشراكَ لما لم اعود  
 واني لمزجاء المطي على الوجي  
 واني لتراكَ الفخراش الممهد

وماذا يملك الشاعر امام الحبيبة سوى أن يفني هذه  
 النخوة اليعربية والشمال البدوية التي بلورها الاسلام  
 وأبقى عليها ؟ ماذا عليه ان حازها كلها وعاشها  
 وجدها ، ما عدا واحدة منها . . فليكن اللسان والبيان  
 والجنان بديلاً عنها وأقوى منها . . ومتوي فيه البطل  
 والفارس والشاعر على حد سواء . . وليحب الاعداء  
 ببطولة السيف وحدها . كما ذهب ذاك المحصور  
 صفوان . . .

### رأيه في الشعر :

الشعر ، في نظر حسان غناء وتطريب . على

(١) يعض العارض : تتلفظ المطر .



الشاعر أن يجيد تأليفه وإيقاعه ، ليجيد الملحن تلحينه  
والمنشد غنائه . قال معلناً رأيه :

تفنن بالشعر إما كنت قائله  
إن الغناء لهذا الشعر مضمار

والشعر صدق في القول ، وفي التعبير عن  
الشعور ، لا كذب ولا نفث ، وهو « لب المرء » أي  
عقله وجوهر تفكيره :

وإنما الشعر لب المرء بعرضه  
على المجالس إن كُتِبَ ، وإن حُمِّتَا ..  
وإن أشعر بيت أنت قائله  
بيت يقال إذا أنشدته صدقا

انه رأي متقدم نسبياً حين يقول شاعر كحسان  
بمومية الشعر وإيقاعيته وحن وقعه على الاسماع ،  
وانه نتاج عقل الانسان وتفكيره . فإن كان هذا العقل  
غنياً جاء الشعر غنياً ، وإن كان مقلداً فارخاً أحق جاء  
الشعر كذلك .. أما مسألة الصدق الذي يُعْنِيهِ حسان  
وهو الصدق الاخلاقي فنظرية عفى عليها الزمن . إذ  
ليس الشعر ، كما تفهمه اليوم ، تعبيراً عن الحقائق  
المادية الملموسة والقيم الأخلاقية المعروفة بقدر ما هو

تصور لها واستيعاء منها ، أو تصادم معها ورفض لها  
وارتفاع بها إلى حقائق أخرى يراها الشاعر ولا نراها  
نحن . والشاعر بهذا المفهوم يتخطى الحقائق والعرف  
والمداول ، والواقع إلى واقع اسمي وراقي يريده لهذا  
الإنسان الحائر المتخبط في خضم واقعه وجبرية حياته  
ونكد هيشه . . وهنا يتجلى صلق آخر هو الصلق الفني  
الذي لا قيمة لأي صلق غيره في الشعر .

الشاعر رسول إنقلابي ثائر، بإمكانه تغيير العالم  
وتحرير الإنسان . .

عضواً حسان أنا لا أطلب منك فهماً للشعر أكثر  
مما فهمت . وأشهد أن ما فهمته كان شيئاً رائعاً . .

## فهرس

٧٦	ام معبد أشهر .....	٣٠	استهلال .....
٨١	تقديم هجائيته .....	٨٠	نشأة حسان .....
٨٩	هجائية أخرى .....	١١-٩	هويته / كنيته / عمره .....
٩١	موضوع القصيدة .....	١٣	قبيلة الشاعر .....
٩٢	هجائية مَرَّة .....	١٧	فتش عن اليهود .....
١٠٠	ابن الملحمة .....	١٩	صفاته .....
١٠٥	لمطرب حسان .....	٢٨	عقاب وثواب .....
١١١	الحمرتان .....	٣٣	من هذه الروايات .....
١١٨	لهميش مع الحمرة .....	٤٤	رحبته إلى الصبا .....
١٢٠	جفرائية الحبيب .....	٤٨	رحسان الجاهلي .....
١٢٣	لخزله .....	٥٨	حوار غير متكافئ .....
١٣٣	لالحكمة عند حسان .....	٥٩	سان والمناظرة .....
١٣٩	لإعلان ميلاديه فروسية .....	٦٠	عطوة لولى بنتمة .....
١٤١	لرأيه في الشعر .....	٦٢	الخطوة الثانية .....
		٦٧	هزال هذا الشرق فنياً .....

الاعشى  
يُبَيِّنُ لَنَا



الموسوعة الأدبية المبصرة

٩

# الخشى

«يُبَصِّرُ لِيلاً»

مكتايف  
الأستاذ خليل شرف الدين

دار مكتبة الهلال  
بيروت - لبنان

جميع حقوق النشر والاقتباس  
والإعادة الطبع محفوظة  
لمكتبة الهلال  
طبعة جديدة منقحة  
١٩٨٧

مؤسسة - بئر العبد - شارع كورنيش بنهاية برج الصحافة  
مكتبة دار الهلال - تلفون ٨٣٦٩٨٨ - ١٦٣٥٥٧  
ص.ب ٢- ١٧٥٠٠ بريقيا - مكتبة الهلال

## استهلال :

ابوك قتل الجوع قيس بن جندب  
وخالك عبد من جماعة راضع<sup>(١)</sup>

قتل الجوع أباه ، وازرت العبودية بخاله ،  
وانصرت عليه اريستوقراطية الوثن ، وصنمية السيادة

---

(١) جماعة : بطن من العرب سمووا باسم جماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد  
منا . والراضع : اللقيم .

لما لماذا لقب ابوه بقتل الجوع فالروايات تقول : ان اباه قيس دخل يوما  
مقلدة يستظل فيها من الحر فولفت صخرة عظيمة من الجبل فسدت لهم  
المقلدة ، فمات فيها قيس جوعا . فسمي قتل الجوع . وقلبت : ابوك  
قتل الجوع .. هو المخصه ومثله جهنم واسمه حمرو وهو من بكر  
بحره فيه يليه ونحله .

انظر : ابن تينة والاغاني وطبقات الشعراء وسواها .



الفوقية، أو هكذا خيل اليها.. فتعلما بجوع آخر.. هو  
الجوع إلى الشهرة، ونباعة الذكر، وعبد الشعر.. بديلاً  
أروع وأخلد.. خطى على جوع الأب وفقره، وعبودية الخال  
وهوانه..

وحمل الاعشى همَّ الجوعين، وذلَّ الابوين..  
لكنه سَدَّ الجوعَ الاول بالمخلق، ومن هم فوق المخلق  
وتحت.. وسد الثاني: بالشاعرية المبدعة، وتحقيق  
سيادة مضادة، هي سيادة الشعراء الجياع بوجه سيادة  
المتخمين من عتاة قريش.. مؤيدة بصداقة الاحبار،  
وسندة الكعبة في نجران، وعُبد الحيرة، وامراء لخم  
وضمان، ورفاق الصبا في الهمامة..

ويغيب الشاعر، بعد هذا، في نبوة الخمر  
والنصر والشعر، ولا يستغنى منها إلا على نداء شيخ  
في اعماقه يهيب به ان يتطهر بالاسلام.. لكن ابا  
سفيان كان له بالمرصاد فرده عن قصده بالمال والذهاب  
فعاد.. وما لبث ان سقط ومات ولم يتطهر!

وعاد لبدأت العمر يشكرون على قبره، كما  
اوصى، ثم يتحدرون وقد اهرقوا ثمالات كؤوسهم على  
ترابه، حله بهذا يروي، كما شاء، عطشه، ويحيا من

جديد متحدثاً ، بالشعر ، والسكر عفونة المكان ،  
وقسوة الزمان ، وسخرية الموت ..

ورغم عشا بصره ، رأت بصيرته ، وتفتحت  
سريره ، فأبصر ليلاً ، سواد صحرائه ، ونفذ بشاعريته  
الى ابعد ما يراه المبصرون .. نهاراً ..

ولعله لم يتاجر بشعره إلا ليجعل لهذا الشعر  
« ثمناً » مفروضاً على من لا يُقدر الشعر من  
التافهين .. وليحقق ، بهذا الثمن ، نوع حياته  
وسيادته ، ويحتفظ بحريته وشاعريته ..

وهكذا كان الشعر في مفهوم الأعشى زاداً يومياً ،  
كما كان وسيلة أكثر منه غاية . عليه طابع البريد  
اليومي . به يتلّغ ويتلّغ ، يرسل ويوعز بالجواب ،  
يحاور ويداور ، ويدافع عن القبيل والعشير ، ويتخلص  
من المآزق ..

أما لماذا كان يخفي كل ذلك غناءً صائباً ، وعلى  
الصنوج بالذات ؟ فلكي يوقظ النيام ، في نظري ،  
ويجمهر حوله الناس ، ويؤكد في حلمه الصافي حقيقة  
في الشعر القديم بارزة ، هي أن الابقاع وحده لا يكفي ،

وأن تلاوة الشعر، كما في النثر، لا تحرك وحدها القلوب  
والجيوب ..

فلا بد من غنائه غناء مجهوراً ، ليدخل متجاوزاً  
الأذان الى الوجدان .. يقول الشاعر الانكليزي وردز  
ورث : ان الشاعر حين يغني اغنية ، ينضم اليه فيها  
كل بني البشر ، انما يكون بحضرة الحقيقة .

ولعل صناجة العرب كان يغنائها هذا يرضي  
حاجتين في نفسه لا حاجة واحدة : يهدد آلامه ،  
ويملأ فراغ شبابه ، من جهة ، ويجعل سلاطين المال  
والجاء تخضع لسلطان الشعر ، ودولة الشعر ، من جهة  
ثانية .. حتى انقلب الشعر الجاهلي على يد ابي بصير  
موكباً او مهرجانا ، ثم سوقاً للمزاد العلني ، الدلال فيه  
الشاعر ، والبضاعة الكاسدة مائة المزاد ، واجرة  
الدلالة : ضيافة وخمرة وشواء ، وهدايا ثياب حريرية .  
ونياق جزورية .. ثم انصرف الى الهدوء في اليوم  
التالي ، استعدادا لمزاد آخر على بضاعة اخرى ..  
وهكذا .. وقد يكفي من كل هذه « الهمروجة » بثمن  
سكرة في ليلة واحدة .. ولكن مع الرفاق دائماً ..  
وعلى حسابه .. بلا حساب .

## هويته :

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل . . بن بكر بن وائل بن أسد بن ربيعة بن نزار . يكنى أبا بصير<sup>(١)</sup> وشهرته : اعشى قيس ، واعشى ربيعة ، واعشى بكر ، والأعشى الأكبر ، لأنه أول « العشوة »<sup>(٢)</sup> واستأنفهم . نعت أبوه قيس بقتيل الجروع . أما أمه فلا نعرف عنها شيئاً نظراً لأن حياة شاعرنا الخاصة ولا سيما

(١) هي عانة عند العرب قديماً : يلتقيون أو يكتنون فلاناً الأعشى بلقي بصير ، تيمناً أو تطلقاً أو تعريضاً . والأطرش بسمعان ، والأسود بلقي البيضاء . والمطربخ بالسلم . كما كانوا ، في الجاهلية ، يسمون بعض ولدهم بلقي ، وتغلب ، وكلب ، وصخر ، وقب . أو يلصقونه بأحد الأسماء ليجعلونه عبد الله ، كعبد اللات ( استبدل في الإسلام عبد الله ) وعبد مناف ( منافع اسم لأحد أجدادهم ) كل ذلك تسليماً بالمعروفة ، أو تيمناً أو تعريضاً وإيماناً لشر هذه الرموز بالاعتساب فيها ، والتسمية باسمها .

(٢) تذكر كتب الأدب شعراء كثيرين ممن سماوا « بالأعشى » ذكر المستشرق Goyse اثنين وعشرين شاعراً منهم . أما الأعشى فيذكر من هؤلاء « العشوة » ثلاثة فقط هم . شاعرنا الأعشى الأكبر . واعشى همدان الذي عاش في الإسلام أيام الأمويين واسمه عبد الرحمن ويكنى بأبي المصباح ( الأعشى ج ٦ ص ٣٣ ) واعشى بني تغلب واسمه ربيعة ( وقيل التميمي ) بن نجوان يحيى بن معاوية . كان نصراً يتردد بين البصرة والحضرة ما بين الموصل وديار ربيعة وشمش ( بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٢٣٨ ) .

نشأته الأولى قد طمست أخبارها .

### صفته :

أتصوره في شبابه الأول فتى سويا ، على قدر من  
الجمال مقبول ، نشيطا ، معتدا بنفسه ، وشاعريته ،  
يجوب أطراف الجزيرة على جمال شديد ، ما بين حُضُر  
موت والحيرة تارة .. وفريته متفوحة باتجاه كعبة نجران  
( او كنيسها ) تارة اخرى ...

لا يهدأ له بال ، او يستقر الا عند هؤلاء الكهنة  
والسدنة حيث الصحبة الحميمة والخمور المعتقة .. او  
في الحانات مع الرفاق ، وبين «شلا شيله» وتابعيه  
بالحسان ، الى ان يفسدوا عليه نشوته وحرية ، فيستبدل  
بهم آخرين ... ويبقى وحده «الشلشل» الوحيد  
يحاور الكاس والطاس والقينة والساقية ..

كما أتصوره وقد عشي بصره من كثرة ما زنى  
وشرب وطاف ، اشعث اغبر مهزولا على غير قوة ..  
وكان عمر بن ابي ربيعة كان يرسم صورة الاعشى ، لا  
صورته أمام نغم ، حيث قال :

رأت رجلاً ، إما اذا الشمس عارضت  
 فيضحي ، وإما في العشي ، فيحسرُ  
 اخا سَفَرٍ جوابَ ارضٍ تقاذفت  
 به فلوات ، فهو أشعثُ أغبرُ  
 اشعثُ ، اغبرُ ، صحيح .. ولكن في غير  
 الحروب . بل وصولا الى حيث يهوى ويتشي ،  
 ويترزق ..

لهذا هو اعشى ، بل أعشى ، لا لأنه ذكر كلمة  
 اعشى في شعره ، كما ظن البعض . ومنهم المستشرق  
 هفز<sup>(١)</sup> . يقول الاعشى :

أَن رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرِبْهُ  
 رَهْبُ الْمُنُونِ ، وَدَهْرُ مَفْنَدِ خَيْلُ  
 وَمَنْ كَانَ هَذَا دَابَهُ ، طَوَالَ حَيَاتِهِ ، حَرِي بِأَنْ يَعْشَا  
 وَيَمُوتَ وَيُثَلَّ !

ولم يكن الأعشى يعرف الوسط في حياته اللاهية ،  
 او يلزم حالة واحدة راضيا بها .. بل هو تارة مكسب  
 متلاف ، وتارة معدم فلقح الاعداء ، يستعاض عن

(١) دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية ج ١ ص ١٨١ .

الخمرة الثمينة ، بالنفسيخ والندري<sup>(١)</sup> ويستعويض باللبن  
عن اللحم الغريض . يحضى حيناً ويتمل حيناً ، راضياً  
بالحالتين معبراً بحب وقناعة ، عنهما :

إما تزيننا حفلة لا نعال لنا  
إنا كذلك ، ما نحفي ونتعل

ومترجماً دائماً بين جد وعَبَث وهو الى العبث  
اميل ، يراوح بين كفر وإيمان ، واثبات ونفي ،  
ومجوسية ونصرانية ، يذكر الله ويلهج بالتوحيد ..  
ولكن بشغفه مخمورة على الدوام !

### قصته :

عرفنا من سلسلة آباءه واجداده ، انه من قبيلة  
بكر بن وائل المتعددة البطون والافخاذ ، والشعب ،  
تضرب من وادي القرات ، الى اليمامة . ومن اهم هذه  
الفروع شيخان ، ويشكر ، وجشم ، وعجل ، ثم  
حنيفة ، وقيس بن ثعلبة ، وكانتا تضربان في اليمامة .

---

(١) النفسوخ والندري : نوعان رديشان من الخمور (لسان العرب مادة  
نضج) .

ومن قيس تنشعب بنو عبدان ، وبنو كعب ، وربيعة ،  
وسعد بن ضبيعة ، ومنهم الأعشى .

شاركت قبيلته في حرب البسوس التي يُقال إنها  
دامت أربعين سنة ، وفي يوم الكلاب<sup>(١)</sup> كما شاركت  
في حروب المناذرة ضد الغساسنة . وكان لهذه القبيلة  
من المنعة والقوة ما جعلها قلادة على حماية النعمان بن  
المنذر في وجه كسرى أبرويز . فقد روي أن هذا  
الأخير ، لما غضب على النعمان لجأ هو وأسرته إلى  
بني شيان إحدى قبائل بكر ، واستودع عند رئيسهم  
هانيء بن قبيصة الشيباني أولاده ودروعه الأثقل . لكن  
كسرى استطاع استدراجه إلى حاضرتة بالمداين ، وزجه  
في السجن ، ثم قتله . ويقال إنه رمى به تحت أرجل  
القبيلة فمزقته إربا<sup>(٢)</sup> . وكان آخر عهد المناذرة في

---

(١) هو يوم غزاه الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي بكر بن وائل ملوك  
الحيرة اللخمين ، فانتزع ما في أيديهم من ديار بكر ، وكر على  
النسابة ، فردهم إلى القاسي أصحابهم . ثم كس لي نبضه فمزق  
ومات ودفن في حقل ، وهو ولد بجدة . وتجمعت القبائل العربية  
الحليفة ، بعد اغتياله عند ما يسمى الكلاب . وهناك يوم آخر يُسمى  
الكلاب الثاني (للتفصيل انظر العقد الفريد ج ٥ ص ٢٢٢) .

(٢) يدوران النعمان هذا (وهو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، تمكنى  
بإبي قابوس) كان يستحق مثل هذه المصيبة ، لكثرة ما ارتكب من جرائم . =



الحيرة ، إذ ولَّى الفرس عليها ايام بن قبيصة الطائي ،  
 فتلاوت حمية قبيلة بكر التي آوت النعمان ، على ايام  
 والفرس معاً ، واشعلوها حرباً شعواء، انتهت بهزيمة  
 منكرة للفرس ، في معركة شهيرة هي معركة ذي قار .  
 انتصر فيها العرب ، لأول مرة ، على الفرس ، بعد  
 استخدام واذلال داما طويلا . وبقيت الحيرة ، بعد  
 ذلك ، في اضطراب وتجاذب ، حتى استولى عليها  
 القائد المسلم خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ ميلادية .

### مكة الحيرة<sup>(١)</sup>:

اصبحت الحيرة ايام المناذرة اللخمين موئل الادياب  
 والشعراء ، لا سيما ايام المنذر الاول ، ثم المنذر  
 الثالث بن ماء السماء رغم كثرة المحن والحروب في

---

هو الذي قتل عدي بن زيد المبادي الشاعر المشهور . مع انه كان قد  
 زوجه ابنته عند ، بعد علاقة حب بينها وبين الشاعر . . لكن سرعان ما  
 انقلاب النعمان على صهره مصدا وبيرة . . لأن عدي نال حظوة كبيرة  
 لدى كسرى (عسرو) ابرويز . فما زال به حتى حبه وقطعه . خير ان  
 زيد ابن عدي ما لبث ان احتل مكة ابنة عند عسرو فلوهم صدر الملك  
 عليه ، فاسترجه من الحيرة الى المدائن ، وقطعه شر قتلة ، كما تقدم .  
 (تتظر : تاريخ العرب المطول ج ١ ص ١١٧) .  
 (١) الحيرة : لو حيرنا السريانية ومنعنا الخيمة .

عهده. وكثرة جرائمه بسبب ويلون سبب. يروى انه قد كان له يومان في السنة : يوم سعد ، ويوم نحس . فمن جاءه في يوم سعد كرمه واعطاه . ومن جاءه في يوم نحسه قتله <sup>(١)</sup> . . ومن سخرية الاقدار ان يكون اول ضحية لهذا الطاغية ، الشاعر الجاهلي المعروف عبيد بن الابرس الذي صاخط أن جاءه في يوم نحسه فقتله ، على ما تقول الرواية <sup>(٢)</sup> .

ومها يكن ، فقد عرفت الحيرة ، في ايامه ، ازدهارا عمرانيا وفكريا وزراعيا ودينيا ملحوظا . نشطت فيها الصابئة والمجوس عبدة النجوم فلز دهر على ايديهم علم الفلك والنجوم ، كما نشطت المذاهب الدينية

---

(١) جاء في الاخلاقي عبر ملين الزمان مصلًا . وقد لنصه حتى في تاريخ المطول (ج ١ ص ١١١) فقال : وفي كتب الاخلاقي قصة مستعجلة جاء فيها ان المتلدين ماء السماء (امه ملوية او ملوية) نادمه وجلان فافطيه في بعض مسائل المنطق . ثم يكأن يفر لكل واحد حفرة بظلمة الحيرة ، ثم يجملا في ثابوتين ، ويلقا في الحطرتين . فلما اصبح سال عنهما ، فاعبر بهلاكهما ، فتدع على ما فعل ، واسر بيناه المرين عليهما . وجعل نفسه يورين في السج يجلس فيهما عند الفريين يسمى احدهما يوم نعيمه ، والاخر يوم يؤسه . فقول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل . واول من يطلع عليه يو يؤسه يكسر به فيلجج ويرث بدمه الفريان . . الخ .

(٢) تاريخ المطول ج ١ ص ١١٠ .

القديمة كالزرد شتية والمانونية ، والمزدكية ، وتغلغلت في معظم طبقاتها الديانة المسيحية . يقال إن المنلر هذا هو الذي أسر احد ابناء الحارث بن جبلة المسيحي ثم قلعه ذبيحة للعزى ، كما قدم اريعمائه رابعة نصرانية ذبيحة لتلك الإلهة نفسها<sup>(١)</sup> . لكنه ما لبث ان لاقى جزاء ما فعلت يده فقتل في يوم حليلة . .

وامتدأ ازدهار الحيرة على تصاعد ، في عهد ابنه عمرو بن هند<sup>(٢)</sup> :

(١) المصدر نفسه ص ١١٢

(٢) كانت هند ام عمرو اميرة نصرانية خثانية . وهي بنت الحارث ابن عمرو ابن حجر آكل المرار الكناني . بُنت في الحيرة ديرا يعرف بدير هند . بقي الى القرن الثاني الهجري ( طبري ج ٢ ص ١٨٨٢ ) ذكر بالقوت نص للمبارة المحفورة على ناصية الدير وهو : بُنت هذه اليعة هند أمّ المسيح ولم يولد ( عمرو ) وبُنتُ عيله . وهند هذه هي بطلة قصة الاستخدام الشهيرة التي ذهب ضحيتها ابنها الملك عمرو بن هند . ملخص القصة : كان عمرو بن هند فخوراً بكلمه حاتيا . جعل من الحيرة موئلا للادباء والشعراء العرب كالشاعر طرفة بن العبد ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، قال يوما لجلساك : اتعرفون ، في المغرب ، من تثبب امه من غبطة أمي ؟ فقالوا . ابلى بنت المهلهل ام عمرو بن كلثوم . فاحتال حتى استقدم عمرو ولده وحاشيتها الى قصره . وفيما هم يتسارعون ليد سمع عمرو استنقطة امه وهي تصيح : واتغلباه ، واذلاه ! وفي لحظات كان رأس عمرو بن هند يطيح به سيف ابن كلثوم ! وتكون المعركة :

ففي الزراعة : اخترقت ارض الحيرة السواقي  
والترع ، فاز دانت سهولها بحقول الحبوب والفواكه  
والأعشاب والنخيل . وطاب هولها وعذب ملؤها .

وفي العمران : بعد ان كانت الحيرة خيما ، ( كما  
يدل اسمها ) اصبحت بين ليلة وضحاها عامرة بالقصور  
والدور والاديوار والبيع . ومن اشهر قصورها :  
الخورتق<sup>(١)</sup> والسدير<sup>(٢)</sup> ودير هند .

---

ابا هند فلا تمجل علينا . وانظرنا نخيرك البينا الخ  
اما سبب الامتنان لهي ان هند ، ولد نوت اذلال ليل قالت لها بعد  
الطعام : ناوليني هذا الطست . فتجاهلت ليلي الطلب ، فكررت هند  
ثلاثا ، فقالت ليلي : انتم صاحبة الحاجة الي حاجتها . لكن هند ألححت  
في طلبها ولجحت . فما كان من ليلي الا ان صرخت لتسمع ابنها . وكان  
ما كان . . .

(١) بنى النعمان قصر الخورتق في ظاهري الحيرة . ومعنى الخورتق في  
الفارسية : القصر المسج : استقدم الخليفة امير مهندسي الفرس ( ابو  
الروم ؟ ) ستمار الذي ذهب بدوره ضحية هذا الطغاة بأن هوى به من  
على القصر . ويقال ان السبب هو احتفالهم بأن الاثر الفني الرائع لا  
يمكن ان يبني مثله احد غير بنائه ( حتى . تاريخ العرب المطول ج ١  
ص ١٠٩ ) .

(٢) وبنى السدير ايضا في وسط البرية التي بين الحيرة وبي الشام ( المصدر  
نفسه ص ١١٠ ) .

## سكانها :

كان سكان الحيرة من بقايا الأكليين والآراميين ، وهم الذين ازدهرت الزراعة على أيديهم . أما الجالية الفارسية فكانت تمتلئ بعض الحرف والصناعات الهندية . ويعتقد أنه كان في الحيرة يهود ، بلليل وجود حركة تجارية ناشطة فيها ، جعلت منها نقطة تواصل تجاري هام ، ما بين فارس والمدائن من جهة ، وسوريا والجزيرة ، وأماوة كتلة واليمن من جهة أخرى . كما كان فيها اختلاط من القبائل العربية والنبط .

وسارت من الحيرة إلى الجزيرة مؤثرات الحضارة فدخلت النصرانية إلى نجران عبر ساليها ومبشريها . ويؤكد ابن رسته في كتابه « الأخلاق الفخية » ، « أن قريشاً إنما دخلت الكتابة من الحيرة ، كما دخلت الزندقة » (١) .

وها هو الأعشى يأتي على رأس الشعراء الذين وفدوا وتأثروا ، وظهر في شعرهم ولا سيما الخمري والديني كلمات فارسية وصور دينية كثيرة . فإذا بشعر

---

(١) الزندقة : من زنديك في الفارسية ومعناها : مجوسي حابذ نار .

الأعشى على الخصوص ، يصبح وثيقة تاريخية وحضارية هامة ، مع احتفاظ الشاعر فيها ، بنفس شعري مميز ، وعلوية أسلوب واضحة ، على حد تعبير عبد الملك بن مروان حين قال لمؤدب أولاده : « ادبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه علوية » . وقال : « اذا اردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بني قيس بن ثعلبة ( وهم رعاة الأعشى ) . »

### ملحبه :

اذا كان للأعشى من ملحبة ثابت ، وهو ما لا نراه منسجماً مع نفسه وجهه للتقل والتخير ، فهو القنرية التي اخذها عن الصالحين<sup>(١)</sup> يقول الاخفاني : ان الأعشى كان قنرياً ، وكان ليده مثبأ . وقدرته تظهر في قوله :

استأثر الله بالسوءاء وبالـ

عدل ، وولى الملامة الرجال ..

(١) سماهم العرب بالملك لانهم عباد المسيح . ( انظر : حي تاريخ العرب الطول ج ١ ص ١٠٧ ) .

كان الأعشى ياتي هؤلاء ليشتري منهم الخمر والحمراء ( او النبيذ ) فلقنوه ملحبة القنرية .

وعندي ان الأعشى لم يكن يهمه ان يكون قلدريا ،  
او مشبّتا ، بقدر ما كان يهمه ان يعانق باستمرار حريره  
وشعره ، ورضى مملوحه ، من اجل غاية واحدة لا  
يحيد عنها : الخمرة ! يحاور كل هؤلاء من اجلها ،  
ويداورهم ، ويحيا معهم ، ويناقشها ، ويدافع عنها شأن  
المثقفين في ايامه من اصحاب الفرق والمذاهب  
والفلسفات اللذين كانت الحيرة تعج بهم . كان الاعشى  
مستمعا هناك ، لا اكثر ولا اقل . ولسرعة بديته وميله  
الى تلك الحياة الحضرية والحضارية ، كان يقتبس  
بعض كلماتهم ، واصطلاحاتهم ، ويحاول ان يطبق ،  
في الخمرة مثلاً ، عندما يعود ، كيفية تناولها في  
مجالس خاصة وحالات خاصة . وكان يصف كل ذلك  
وصفاً دقيقاً بارعاً . ولا شك ان الجو المسيحي  
المسيطر في الحيرة ، والوثني ، وتلك الحرية المتاحة  
في اوساط المدينة الراقية قد أثرت في نفسية الشاعر ،  
ورققت من ديباجته الجاهلية ، فحفل شعره بكل ذلك ،  
كما سنرى .

### رواة شعره :

يقال إنهم كانوا ثلاثة : احدهم وهو عبيد كان

يصحب الأعشى في ترحاله . وقد ذكره في شعره . قال  
يصف ناقته :

لَمْ تُنْطَفِ عَلَى حُورٍ ، وَلَمْ يَفِ  
طَلَعٌ غَيْبُ صُرُوقِهَا مِنْ خُمَالِ

ومنهم يحيى بن متى النصراني . وأحيانا يرد اسم  
يونس بن متى بدل يحيى . . فاعتبروا ثلاثة خطأ . .  
والواقع انهم واحد ، كما يؤكد ذلك احد المحققين  
المعاصرين <sup>(١)</sup> ويحيى بن متى هذا . هو الذي ادخل  
على بعض قصائد الأعشى ابياتاً ليست له الغاية منها  
اظهار مسيحية الشاعر أو تأثره بها . مما جعل الأب  
لويس شيخو يدخله في عداد شعراء النصرانية في  
الجاهلية <sup>(٢)</sup> كما وافقه على ذلك بعض المستشرقين  
مستدلين على ذلك بأنه كان يمدح اساقفة نجران  
ويتصل بالبيئات المسيحية في الحيرة ، ويمثل قوله :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يَكْذُرُ نِعْمَةً  
وَإِذَا يَنْشُدُ بِالْمَهَارِقِ انْشُدَا

---

(١) انظر : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية د . ناصر الدين الأسد  
ص ٢٤٠ ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

(٢) انظر : شعراء النصرانية ص ٣٧٥ .



والمهارق المصحف الدينية . فكأنه يعترف بأنه  
 نصراني ترتل لربه الاناشيد الدينية الكنسية . غير ان  
 هذا ليس حتماً ، كما يقول الدكتور شوقي ضيف<sup>(١)</sup>  
 « فقد تكون لدى الوثنيين من الجاهليين مهارق كانوا  
 يأتلون فيها بعض ادعيتهم . وقد يكون البيت دخيلاً على  
 القصيدة ، ادخلها لرواية ديوانه المسيحي ، كما ادخل في  
 قصيدة اخرى قصته بالمسيح في قوله :  
 واني ورب الساجدين عشية  
 وما صك ناقوس النصرى اقبلها<sup>(٢)</sup>  
 الى ان يقول : لقد كان الاعشى وثنيًا غالباً في  
 وثنيته .. الخ » .

### شيطان الاعشى :

سجل ابن اثانة<sup>(٣)</sup> وهو مصدر وجيه . كما كان

---

(١) انظر : المعصر الجملي ص ٢٣٨ د. شوقي ضيف . دار المعارف  
 بمصر .

(٢) اقبلها : كاهنها . صك : دق .

(٣) ليروي شاعرنا عن جنبه سجل الخير التالي قال : عرجت اريد  
 قيس بن معد يكرب بضم ميم ، فضلت في اوائل لوزن الميم ،  
 لاني لم اكن سلكت ذلك قبل ، فاصابني مطر ، فرمت بصري اطلب =

## شعراء الجاهلية وبعض شعراء الاسلام يعتقدون بأن «جن» وادي عبقري «تسكن» ارواحهم فتوحى اليهم

مكتأً لها إليه ، فقلت حينى على غياه من ضمير ، قصصتُ نغمه ،  
ولما بشيخ على باب الغياه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، وادخل  
ناقتي غياه آخر كان بجانب البيت ، فحطت رحلي وجلت ، فقال :  
من أنت ؟ وأين تقصد ؟ قلت : أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد  
يكرب . فقال : حياك الله ، أظنك لم تصح بشعر ؟ قلت : نعم .  
قال : فأتدنيه ، فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سبة غداةً لجمالها ضباباً عليك ، فما تقول بدا لها

فلما أنشدته هذا المطلع ، قال : حبيبك ، أعلج القصيدة لك .  
قلت : نعم . قال : من سبة التي نسب بها ؟ قلت : لا أعرفها ،  
ولما هو اسم قلتي في روعي . فتلئى . يا سبة أخرجي . ولما  
بجارية عماسية قد خرجت ، وقالت : عافاً يا أبت ؟ قال : أنشدني  
حكك قصيدتي التي مدحتُ بها قيس بن معد يكرب ، ونسبتك لي  
أولها ، فأنشدت تشد القصيدة حتى أتت على آخرها ، لم أفرم منها  
حرفاً . . . . . وفعل الشيخ مع شاعرنا نفس الشيء مع قصيدته . .  
المعلقة : ودع هزوة . حتى اسقط في يد الأعشى . فلما رأى ما  
به . قال : لفرخ روعك أبا بصير . أنا هاجسك محل بن أثلة السلي  
التي على لسانك الشعر . فكان روع الشاعر وهدأت نفسه . . .

الخ . كل هذه الروايات من تامل «الجن» وتجلسهم وتحدثهم  
دليل آخر على ملابسة شعراء الجاهلية وبعض شعراء الاسلام . وانهم  
لم يكذبوا من «الوحي الفني» . ان صح التصير ، بحيث يكتشفون  
ويؤمنون بأن مواهبهم وعبريتهم هي وحدها دون سواها التي تلهمهم  
الشعر ، وليس «جن» وادي عبقري ، أو سواها . .

حتى إذا تقدم الشاعر العربي في عروب الحضارة اكتشف وآمن بأنه هو .

بالشعر الذي هو من « رقى الشعر » على حد تعبير أبي نواس .. ومنهم من كان يسكنه شيطانان : واحد ينطقه بالخير .. والثاني بالشر ، كما عند الفرزدق ، مثلاً ، في « هو جلّه وهو برّه » ..

كان الأعمى قد منح قيس بن معدي كرب الكندي بقصيدة دالية . فقال له قيس : انك تسرق الشعر .

فقال له الأعمى : قيدني في بيت حتى أقول لك شعرا . فحبسه وقيله . فقال :

أزمتُ من آل لبلى ابتكارا  
وشطت على نبي هوى أن تزارا

وفيها يقول :

وقيدني الشعر في بيته  
كما قيد الأمراء الحمارة  
صاحب معلقين؟ إذا كانت المعلقات سباعاً ، فهو

---

« وحده صانع شعره .. ولم يمد « الجن » أو الشيطان ، في نظره ، سوى خرافة أو أسطورة أو رمز ، قد يلجأ إليه ، أحياناً ، ويستلججه في صنمه الشعري الحديث كلجنة تخيل وترميز ، ليضفي على قصائده حالة مشيرة من التجميل الفني وحالة من الصولية الفكرية والتجربة الصيقة ذات الأسلوبية الخاضعة المكثفة الظلال والتهويل .. الخراف

صاحب الثامنة ، وإن ثماتي فهو صاحب التاسعة ، وإن  
تسعا فهو صاحب العاشرة . المهم انه احد اصحاب  
المعلقات ايا كانوا وأيا تكن ! ولئن ميزه بعض القدماء ،  
من غيرة عليه ، وجعلوه ثالثاً بعد النابغة وطرفة أو بعد  
امرئ القيس وطرفة ، كما فعل ابن جني ، فإن سهم  
من منحه استاذية الشعراء في الجاهلية ، ولجريد  
استاذيتهم في الاسلام . كما جعله الشعبي أغزل الناس  
في قوله :

غراء لمرعاء ، مصقول عوارضها  
نمشي الهونا ، كما يمشي الوجى الوجلُ  
واختتمهم في قوله :

قالت هريرة لما جئت زائرَها  
ويلى عليك ، ويلى منك يارجلُ  
واشجعهم في قوله :

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا  
أو تنزلون فلنا معشر نُزُلُ

كل هذه الأحكام السريعة لا تقم الأعمى ولا  
تؤخره في ميدان الابداع الشعري . المطلوب اليوم ان

نحاكمه نحن ، ان نضعه نحن تحت مجهر النقد  
الحديث غير متأثرين بما قاله هؤلاء وسواهم من نُقَلَّةِ  
البيت الواحد او القصيدة الواحدة ، ومن حكام العاطفة  
والهوى المحكومين بالأراء الجاهزة والنظريات المسبقة  
من دينية او سياسية ، او لغوية ..

المطلوب ان نسبر غور الأعشى ونقيس مقدار  
المسافة التي قطعها ليصل إلينا او لا يصل .. ان  
نتحسس مدى حضوره بيتا ، لغة وفكرا وشعرا .. وهل  
دار حولنا أو لم . . وهل سقط في مستنقع موروثه ونزوته  
ومحلوذية صوره وضيق أفقه ، ام تراء اخترق حدود  
الزمان والمكان والموت ، وكيف ؟ . هذا ما سنحاول  
الكشف عنه عندما نقف امام آثاره متذوقين سابرين .

اما معلقته، فالاولى مطلعها:

ودع هريرة ان الركب مرتحل  
وهمل تطيق وداعا ايها الرجل

قالها يزيد بن مسهر ابن ثابت الشيباني.  
والثانية مطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال  
وسؤالي ، فهل ترد سؤالي  
بمنة قفرة تعاورها الصي  
ف بريحين من صبا وشمس

فألها في مدح الأسود بن المنذر اللخمي .  
وسنعرض لهاتين المطلوبتين بالتحليل ما أمكن . فنحن  
لا نؤرخ للأعشى وغير الأعشى في هذه الدراسات<sup>(١)</sup>  
بقدر ما نخضع شعر الشاعر لثاقتنا الخاصة ومقاييسنا  
الحديث في نقد الشعر ، حتى إذا ارضانا بعض هذا  
الشعر ، وارضى الميزان انتفعنا به ، وبرهنا على أن في  
تراثنا الأدبي فيما لا تبلى ، وأبعداً إنسانية تطاول القرون  
وتتحدى الزمن ، وأنه لم يكن عبثاً كله ، كما لم يكن  
نظماً عريضاً فارغاً ، أو تعبيراً عن أمور وأهداف  
ومشاعر لا شأن لنا بها . .

---

(١) وهذا ما فعلته دائماً حين عرضنا لها العلماء وأبن رشد وابن خلدون وابن  
الرومي والمتني وأبا نواس والبحري والفرزدق وحصان والأعشى وأبا  
العتامة وأبا فراس وسواهم - المؤلف .

## قصته مع علقمة (١):

جاء في الاغانى (ج ٩ ص ١٢٠) : أتى الاعشى  
الأسود العنسي ، وقد امتلحه ، فاستبطاً جائزته . فقال  
الأسود : ليس عندنا عين ، ولكن نعيطات قرصاً ،  
فأعطاه خمسمائة مثقال دهن . . ويخمسائة حللاً  
وعنبراً . . فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ،  
فأتى علقمة بن علاثة . فقال له : أجزني . فقال :  
أجزتك . قال : من الجن والانس ؟ قال : نعم . قال :  
ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامر بن الطفيل (٢)

(١) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . أسلم في  
عهد النبي ﷺ ثم لوث بعد فتح الطائف ، ونجس حتى لحق بالشام ،  
ثم عاد وأسلم أيام أبي بكر . وهو غير علقمة الفضل طبياً ، علقمة ابن  
عبد من يوم معاوية امرئ القيس الشاعر ، ومناقبه في صفة  
الخليل ، ومتزوج زوجة لم يجتنب منه . بعد أن احتكما إليها في  
فصلتهما اللتين وصفا فيها فرصهما بناء على طلبها . فحكمت  
لعلقمة . لكن يروكلمن بنفي صفة هذه الرواية . للتفصيل انظر :  
ديوان الشاعرين ، أو تلويح أعقاب اللغة العربية لجرى زيدان ج ١ ،  
ص ١٢٨ الناشر دار مكتبة الحياة - بيروت - بدون تاريخ .  
(٢) يكاد يكون الوحيد الذي ساد قومه : في الجاهلية ، سيفاً غير موروث  
تتمد على مزاج شخصية أهمها : الشجاعة والكرم وهو القاتل متوهاً  
بذلك :

وما سودتي عامر عن وراثته      أي الله أن اسمو بام ولا أب  
ولكنني أحمي حملها وكنتي      أذاها ، ولومي من رماها بمنكبي -

فقال : اجزني . قال : اجرتك . قال : من الجن والانس ؟ قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : ان مُت وانت في جوارى ، بعثت الى اهلك الدية . فقال : الآن علمت انك قد أجزتني من الموت . فمَنَحَ عافرا وهجا علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد كنت اعطيته اياه . قال الكلبي : ولم يُهَجَّ علقمة بشيء اسدَّ عليه من قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم  
وجاراتكم غرتي تبين خمائلها  
فرفع علقمة يديه ، وقال : لعنة الله أن كان كاذبا !  
أنحن نفعل هذا بجاراتنا ؟!

وبدأت بين الأعشى وعلقمة حرب هجاء طاحنة  
ثبت فيها شاعرنا ، وتأخر علقمة .

وهكذا انتصر ذكاء عامر وانهزم غباء علقمة ، اذا

---

متحنياً بفلك السيادة الأستحراطية الموروثة والتي طالما تلاهى بها عتاة قريش . وابناء الملوك امثال امرئ القيس القاتل :  
وكنا اناساً قبل غزوة حرميل ورنثا الفقى وللمجد أكبر اكبراء .



صحت هذه القصة الحوارية ، كما انتصر الاعشى في  
الحالين ..

### مسافر زاده الخيال :

مثلما بنى العرب حضارتهم وركضا على ظهور  
الجياد ، على حد تعبير توفيق الحكيم .. بنى الاعشى  
مجده الشعري وركضا على متن ناقته واصلاً بها اطراف  
الجزيرة شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً. فمن اليمامة الى  
اليمن ، الى عدن ، الى كعبة نجران. يقول مخاطباً  
ناقته :

وكعبة نجران حتم عليه  
لك الى ان تناعني بابوابها

مادحا اربابها من آل عبد المदान :

نزود يزيدا وهبذ المسيح  
وقيساً ، هم خير اربابها

وسواهم من اسيد اليمن كسلافة ذي فانش والاسود  
العنسي ، وقيس بن معد يكرب . ثم ينحدر الى حَضْرَ  
موت، ويرتقي الى المعجاز فيدخل سوق عكاظ كل سنة

مشاركاً في بعض المنافرات والمباهلات ، ومن هناك  
اعلن على رؤوس الأشهاد قصيدته في مدح المخلوق  
الفقير المتكاثف فهافت اسيد القوم على الزواج من بنات  
المخلوق الثماني . . ونفدت البضاعة كما سنرى .

ويتابع الأحمى سيره شمالاً فينزل الأبلق حصن  
السموأل<sup>(١)</sup> ، ثم يجتاز ديار كلب الى العراق ، فيهبط  
الحيرة مادحاً الاسود بن المنذر والنعمان ، مختلطاً  
بالمبادين ، اخذاً عنهم بعض افكارهم الدينية وعاداتهم ،  
كما استفاد من صفة الخمرة التي شربها عندهم .  
وادخلها في قصائد الخمرة .

وتراه سرعان ما يعود قاطعاً القرى الواقعة على  
شاطئ الخليج العربي ماراً بعمان ، وقد هجر ، في  
بعض اصفاره ، على اورشليم وحمص في الشمال

---

(١) وهو حصن بولاية تيماء (أو تيماء : هذه ملة) بناه حادياً والد سموأل  
(أو سموأل) الشاعر العربي المعروف . ولد تقى السموأل بهذا  
الحصن مقتضراً به على سائر العرب فقال :  
بن لي حادياً حصاً منياً وريراً ، كلما شئت استقيت . .  
وليشرب الطلل من يدر الصحراء ماء البحر ا وقد سمي هذا الحصن  
بالأبلق لأنه كان مبنيّاً من حجارة بيضاء وأخرى سوداء . وهو من  
طيقتين .

الغربي ، وتقود مراحله ، أحيانا ، الى بلاد فارس فيملح  
ملوكها<sup>(١)</sup> ولا يكتفي بالملوك فنجدته يخالط بعض العرب  
من بني حمير النازلين على حدود فارس وينقل عنهم  
الكلمات الفارسية التي يرصع بها أشعاره ، كما يطمعها  
بالأفكار النصرانية يأخذها عن أهالي الحيرة ، وكذلك  
الفكر الزندقة .. وضجأة نجده حاطاً رحاله في بلاط  
النجاشي في الحبشة :

اتيت النجاشي في أرضه  
وأرض النسيط وأرض المعجم  
كل ذلك للمال ، كما يقول :

وقد طفت لجمال آفاقه  
هُمان ، فحمص فاوري سليم<sup>(٢)</sup>

---

(١) من الأكاسرة . يروي ابن قتيبة وصاحب الأغاني قصة عن لقاء الأعرابي  
بكسرى ، لا تغفل من الحكمة ، قلنا : سمع كسرى الأعشى ينشد و  
في هذا البيت :

لوقت ، وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم ، وما بي فمقنق  
فقال كسرى : فسروا لنا ما قال . فقالوا : ذكر الشاعر أنه سهر وأرق  
من غير سقم ولا حلق . فقال كسرى : فهو ، إنذ ، لص ا

(٢) أوري سليم أو أوري سليم على رواية ثعلب ومعناها بالعبرية : أرض  
السلام . أو ملية السلام . وهي القس عند المسلمين والمسيحيين  
وقد لفظها الشاعر : أوري سليم لتعظيم القافية .

وقد يرضى بالقليل منه ، اذا كان من صديق  
محب ، كقيس بن معد يكرب ، الذي يكتفي منه احياناً  
« بجموم » لو نجيب اي بفرس او جمل :

كل عام يمدني بجموم  
عند وضع العنان ، او بنجيب .

مثبتاً كل ذلك في قصائده . كما رأيناه في هذه  
القصيدة الميعة الحميمة تحلوه ابنته في بعض  
مقاطعها ، شاكية كثرة اسفاره ، وهي من مطولاته  
الرائعة نظمها في ملح قيس بن معد يكرب الكندي .  
قال :

تقول ابتي ، حين جد الرحيل  
ارانا سواء ومن قد يئيم  
فيا ابت ، لا ترم عندنا  
فانا بخيمر ، اذا لم ترم  
ويا ابت ، لا نزل عندنا  
فانا نخاف بأن تُخترم  
ارانا اذا اضمرتك البلاد  
نُجفى ، ونقطع منا الرجم  
انه يتصور ابنة له ، ولعل له ابنة ، تحلوه وتضرع

اليه ، ممسكة بخطام ناقته ، ألا يتركهم وحدهم ، في  
منقوحة ، كالآيتام . فهم بخير ، تقول له ، ما دام  
بينهم . وهم حاضرون بحضوره ، غائبون في غيابه ، لا  
يزورهم أحد .. وسرعان ما يتنفض من تذكيره بموت  
يخترمه في سفره كما يخترمه في خضره .. ويمضي ،  
بعد هذا الحوار الوجداني ، في غايته ، فإن له دائماً  
ابنة أخرى .. عروساً أخرى .. هي المسافات -  
النهايات . والآخرين ، والمال والشهرة والخمرة .. إن  
له حواراً آخر هناك .. على الاطراف .. حيث  
اصحاب الحضارات والاديان والمذاهب والعيش  
الرخي .. وزاده معه اليهم دائماً : قصائد عامرات  
يرشها عليهم مدائح مدائح ! ويستبدل ، عائداً ، طيباً  
بطيب ، وشعراً بخمرة .. ومالاً وشهرة .. ويطرب جو  
الشعر العربي بالغضارة والحضارة واشياء المدن ..  
ونودع معه : قفا نيك ، بقفوا نضحك ونشرب ونمكي !  
كما نودع معه : دعست على خطش ويطش وصحبتني  
سعار ولرزير ووجر وافكل !ب :

وقد غدت الى الحسابات يتبعني  
شار مثل ، شلوك ، شلش شول !

وتبقى شلا شيله، ونكهة الشواء تملأ خياشيمنا ،  
وكياناتنا يبقى الأعشى كله بيتنا ، ويتوارى الشفري ا

كان الشعر قبل الأعشى يتشاب ، يتمطى على رمال  
الصحراء كالافى او كالهرباء او كالسحفاة ...  
وكاليرابيع والمناجل، يتنفس من تحت الرمال بلا عيون او  
بميون اطفالها البكاء على الاطلال .. حتى اذا جاء  
الأعشى على رأس رواد جدد متحركين كالنابغة وطرفة  
وحسان جرى في عروق الشعر الجاهلي ماء الحياة  
والحركة والتطور وبعض التحضر وكانت نفلة .. لها ما  
بعدها ..

قيل لشاعرنا : الى كم هذه النجمة والافتراب ، ما  
ترضى بالخفض والدعة ؟ فقال :  
لو دامت الشمس عليكم لمللتموها ..

جواب، كما نرى، شعري استعاري رائع.

ولو جاء بفالب نثري فالشعراء عندما يشرون  
يشعرون .. هذه الصورة اعجبت ، أبا تمام ، المفرم  
بالبديع والتميز ، فصاغه شعراً . قال :

وطول مقام المرء في الحي تخلق  
لدياجيته ، فاعترب تتجدد  
فاني رأيت الشمس زيلت محبة  
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

كما يشيرنا نحن أيضاً ، بعد قرون وقرون ، لما فيه  
من شاعرية تتخطى برموزها ورؤاها حدود الكلام  
المادي ثراً ونظماً ، ويلامس اعماق انسانيتنا التي تأبى  
« القمود » والجمود والتأسن ، فترود الأفاق بحثاً عن  
الكرامة والشهرة والمجد ، أو على الأصح ، حباً  
بالتجدد والتطهر .. من وسخ الانفلاق وغربة الذات في  
الذات والخيول.

لقد كان الأعشى ، في جوابه هذا ، فيلسوفاً  
صغيراً ، دون أن يدري ! وكان في حياته وتنتقلاته ،  
وابتدار لذاته : ابيقورياً - مزدكياً ، دون أن يشعر ، ولم  
يكن رواقياً رومسياً على الاطلاق .. كان شاعر الحس  
التوفز والمحيرة الحرة بلا منازع .. في زمن كان  
الانسان الجاهلي فيه اسير ظرفه وبيته ، عبد صحرائه ،  
سجين قدره ، قتيل وجوده وحدوده .. فجاء الأعشى ،  
ومن هم في مثل تطلع الأعشى « يخرجون » من كل

هذه الفيود المفروضة ، فإن لم يستطيعوا تحطيمها ،  
 فعلى الأقل ، إعلان رفضها والابتعاد عنها ، والتشهير  
 بها ، ثم غناه هذا « الخروج » شعراً ، ينسون أو  
 يتناسون معه قسوتها وجبريتها بالخمير والشعر والمرأة !  
 ثالثاً أقنص ، في حسمهم وفلسفتهم ، ولعله في طوية  
 الكثيرين منا ودخيلاتهم : لكننا لا نجرؤ على البوح به  
 أو له ، أو هو فوق طاقتنا وحررتنا ، ذلك لأننا لا نملك  
 صراحة الأعشى وعفويته وقدرته على البوح  
 والحركة ...

جاء في العقد ( ج ٦ ص ٢٢٠ ) : قبل للأعشى :  
 ما السرور ؟ قال : « صهباء صافية تمزجها ساقية من  
 صوب غادية » . ويتم ثالثه بالشعر الذي يصفي الخمرة  
 كالراوق ، وبالساقية التي تظهر النفوس والأبدان  
 بمصفاة الجمال ، وتثير صبوات الشباب بمشكاة السحر  
 الخلل ..

## النيقضان ١ :

والأعشى ، إلى هذا ، يحمل النقيضين . فقد  
 تربى ، كما علمنا ، في حضن النصرانية في الحيرة ،



وكعبة نجران لكثرة تردده عليهما ، وعلى كهانهما ،  
 فتولدت عنده عاطفة الرفق والرحمة وحسب المتدينين ،  
 لا سيما وهو لم يجد لدى أجبار النصرانية وكهنتها  
 تخرجاً في شرب الخمرة ، بل هم يشربونها في  
 اعتدال . يقول واصفاً سيداً متديناً :

ربي كريم لا يكدر نعمته  
 وإذا يناشئ بالمهارق انشدا<sup>(١)</sup>

فسينه (أوربه) متدين ملتزم ، يلي داعي الدين إلى  
 صلة المحروم ، واعطاء المحتاج ، ويزيد فيلزم نفسه بكتابة ما  
 تعهد به في المهارق . فإذا ما ذكره بهذه المهود المكتوبة ،  
 بادر إلى المحافظة عليها والوفاء بها .. ومهما قيل في هذا  
 البيت بأنه منسوس عليه :دما  
 رايته المسيحي ، فإن الأعشى لم يكن بعيداً عن مثل  
 هذا الجو الذي يوحى بمثل هذا المعنى .. لكن بعض  
 المحققين يحلوه ان يتزع عن الأعشى نهائياً مِثْلَهُ إلى  
 النصرانية أو تأثره بها ، وكأن في الأمر جريمة ، أو كأنه

---

(١) المهارق : كتب المهود والاحلاف ، أو حب الدين ، وربي هنا بمعنى  
 سيدي .

مسلم ارتد الى النصرانية<sup>(١)</sup> فالأعشى رغم وثنيته الغالبة، شاعر قبل كل شيء، ومتكسب بشعره، ومتنقل به في البلاد وعلى اطراف الجزيرة، فلذا تنقل، في شعره، من مذهب الى مذهب، او من دين الى دين، فلا يلام ولا يحاكم على هذا الاساس. دعووه، ايها المحققون، لربه يحاكمه، وحاكموه بمقاييس النوق والفن والتقد الحديث، وحدها. دعوه بخروج من بداوته وجلافته وغريب صوره، ما دام هو قد اصر على ذلك وشاء ان تسري في ثنايا شعره رقة الحضارة وخفة الروح.. دعوه يعطينا صورة صادقة عما بلغه الشعر العربي قبيل الاسلام من بعض الرقي والتحضر والشفافية، فبرهن اصحابه بأنهم قادرون على التكيف والتطور، ثم على الوصول اليها.. ولعل هذا ما حدا بالمازني في كتابه قبض الريح الى ان ينسب للأعشى بعضاً من فضيلة، رغم تهتكه وفجوره، حين قال:

« ان الأعشى لم يكن ناصب الفضيلة .. بمعنى انه لم يكن شريراً، ولا قاسياً فاحشاً في هجائه، وكان ودوداً وفيها لاصدقاته. كما كان طيب القلب يرق للمعوزين

---

(١) انظر كتاب: العصر الجاهلي ط ٣ ص ٣٣٨ د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٠.

واصحاب الحاجات حين يلجأون اليه ليساعدهم على فضائها ، كما فعل مع المحلق . وتلك المرأة المثالث ، في الموضوع نفسه .. وكما فعل مع امرأته حين طلقها ، ومع ابته ، حين ساوى بينه وبين المهجو ، كما سنرى . اليس كل هذا فضيلة او بعضا من فضيلة ؟<sup>(١)</sup> ابو كلاب وبناته جاء في الاغاني : كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة . وكان المَحْلَقُ<sup>(٢)</sup> الكلبي مثاثا مملقا . فقالت له امرأته : وما ابا كلاب ، ما يملكك من التعرض لهذا الشاعر ؟ فما رأيت احدا اقتطعه الى نفسه إلا أكسبه خيرا . قال : ويحك ! ما عندي إلا ناقتي ، وعليها الحمل . قالت : والله يُخْلِفُها عليك . قال : فهل له بد في الشراب والمسوح ؟ قالت : وان عندي ذخيرة لي ، ولعلي ان اجمعها . فتلقاه قبل أن يسبق اليه أحد ، وابنه يقوده . فآخذ الخطام . فقال الأعشى : من هذا الذي جلبنا على خطامنا ؟ قال : المحلق . قال : شريف

---

(١) المَحْلَقُ او المحلق : سمي المحلق لأن فرسه عثته في وجهه : فركت به كركاً على شكل الحلقة . وكان للمحلق اب شريف . لكنه مات واختلف ماله . واسم المحلق هو : عبد العزيز بن حاتم بن شاذان ربيعة ... بن عامر بن صعصعة . وكنية ابو كلاب ا .

كريم . ثم سلمه اليه ، فألغاه ، فخر له ناقته ، وكشط  
له عن سنامها وكبدها . ثم سقاه . وإحاطت بناته به  
يفمزنه ويمسونه . فقال : ما هذه الجوارى حولي ؟  
قال : بنات اخيك وهن ثمان شريتهن قليلة . وخرج من  
عنده ، ولم يقل فيه شيئاً . فلما واثى سوق عكاظ ، اذا هو  
بسرحة له قد اجتمع عليها ، واذا الأعمى ينشدهم :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة  
الى ضوء نار باليفاع تحرق  
تشب لمقروون مصطلياتها  
ويات على النار الندي والمعلق  
رضيحي لبان ندي أم تحالفنا  
باكم داج : عوض لا تنفرك<sup>(١)</sup> .

فسلم عليه المعلق . فقال : مرحباً ، يا سيدي ،  
بسيد قومه . ونادي : يا معشر العرب ، هل فيكم مذكور  
يزوج ابنه الى هذا الشريف الكريم ؟ ( قال ) : فما قام

---

(١) عوض + وعوض وعوض : ظرف لاستغرق المستقبل ، أي : ابداً ،  
وهو يخص بالغي . أما ما قاله ابن الكلبي من ان «عوض» هو صنم  
وان الأعمى أقسم به في هذا البيت فقول مردود .

من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها ..

وكان هذه الحادثة أثرت في القوم ، وجعلت  
للأعشى فضيلة خاصة في العمل على تزويج البنات .  
وترويج البضاعة الكاسدة . ذكر الأصمعي ان امرأة  
جاءت اليه بعد حادثة المخلق . قالت : ان لي بنت قد  
كسدت علي فشبب بواحدة منهن لعلها تنفق <sup>(١)</sup> .. فما  
زال يشبب بواحدة تلو الأخرى حتى زوجن جميعا .  
وكانت المعجوز تبعث اليه بجزور في كل عرس .. ما  
هذا يا ابا ليلى ! لقد جعلت شرَكَ رخيصة جدا ..  
ولكن لا بأس ! كرمي لهؤلاء العوانس المسكينات  
اللواتي جبرت خواطرهن وزوجتهن . فلا يبقين عجائز  
عند ام عجوز ! فهذا في نظرك ونظرنا .. لا يجوز !  
خاصة وانه لم يكن احد سواك يتواضع فيتبرع بمثل هذه  
المهمة ! وهكذا ، حين يتدخل الشعر ، عند الأعشى ،  
في كل كبيرة وصغيرة ، وكأنه لغته اليومية ، وادائه  
الوحيد للاتصال بالناس ومحاورتهم في كل مكان : في  
معصرة العنب ، في تسجيل العقود والعهود ، في كتابة  
« عريضة » وتوجيه نداء من أسير ، في تدوين وصية

---

(١) انقلي ج ٨ ص ٨٢ .

للرفاق ، ليسكروا على قبره ، في اعلان مطلب خاص  
وحاجة شخصية ( وهذا ما سيفعله زميله ابن الرومي  
وابو العتاهية ) في تزويج وطلاق ومداعبة قينة وساقية ..  
حين يفعل الشاعر كل هذا ، فلن نعجب اذا أصبح  
الشعر عنده عملاً روتينياً ، ومباشرة يومية ، وكانت  
التفريية والمباشرة والعفوية لحمته وسداه . ويدهي ان  
تندم فيه التجربة او تكاد . ما عدا خمريات شاعرنا  
التي وطأ بها للمدح او الغزل . فقد كان له مع الخمرة  
تجربة حلوة .. واخرى مُرة مع معشوقته هريرة ! اما  
سائر شعره ، فكما رأيت ونرى ، : غناء ونطرب  
ومباخر ، وقضاء حاجات ودعائيات ، وتزويج بنات ..  
وتجارة ...

### متاهب الرحلات : أسر انتج رائعة : —==

كان عمرو بن ثعلبة القُضاعي راجعاً من غَزاة ،  
ومعه اسارى . فلقي الأعشى ، وكان هذا قد هجاء ،  
وعمره لا يعرفه ، فأخذه ونسبه ، فانتسب الى غير  
قومه ، فلوثقه ، ثم سار حتى نزل شريح ( او  
شرحبيل ) بن السمؤال ، فأكرمه ، وارسل الأعشى

قصيدة الى شريح يستجير به فيها . فقال هذا لضييفه :  
 اني احب ان تهب لي بعض اسرائك هؤلاء . فقال :  
 خذ ايهم شئت . قال : اعطني هذا الاعشى . فقال :  
 ما تصنع بهذا الزمن ؟ لا . بل خذ اسيرا فدلوه مائة من  
 الابل . فانخذ شريح الاعشى واطلقه . فما لبث ان هجا  
 عمرو وقومه فشكا هذا الى شريح فعلم من اطلقه .  
 فانخذ شريح ميثاقاً من الاعشى الا يعود الى هجاء  
 عمرو .

اما القصيدة -النداء فهي من ابرع القصص الشعري  
 الذي لم يصل اليها مثله من الشعر الذي قيل قبيل  
 الاسلام ، على الاطلاق . بدأها الشاعر بالاشارة الى  
 حادثة السمؤال المشهورة حين اصر على الوفاء بعهده  
 لامرئ القيس الشاعر ، فلم يسلم دروعه المائة وابنته  
 هند التي طلبها الحارث ابن ابي شمر الغساني ، فوجه  
 اليه جيشاً على رأسه الأبرص او الحارث ابن ظالم<sup>(١)</sup>  
 فأبى السمؤال تسليمها ، واغلق ابواب حصنه الأبلق  
 في وجهه . فأصاب القائد ابناً للسمؤال ( عاديا ؟ ) كان  
 خارج الحصن يصطاد ، فأمره ، وأرسل الى ابيه :

(١) المروءات رقم ٣٦ ص ٣٦.

« إما دفعت إلي الأدرع ، وإما قتلت ابنك » . ففكر  
 السماول مدة ، ثم اشرف على علوه ، فقال : ليس  
 الي دفع ذمتي اليك سيل ، فشأنك » . فذبح ابنه . ثم  
 سلم السماول الوديعة الي ورقة امرئ القيس ، فضرب  
 فيه المثل بالوفاء حتى التضحية . فقيل : اوفى من  
 السماول « او » وفاء كوفاء السماول » .  
 وإليكها :

شريع ، لا تتركني ، بعدما علق  
 جبالك اليوم ، بعد القيّد ، اخفاري<sup>(١)</sup>  
 قد طفت ما بين باتقيا الي حدن  
 وطال في العجم ترحالي وتسايري<sup>(٢)</sup>  
 فكان اوفاهم عهداً وأمنهم  
 جاراً ، ابوك ، بعرف غير انكار  
 كالغيث ما استمطروه جاد وابله  
 وعند دفته المستأسد الفساري  
 كن كالسماول ، اذ طاف الهمام به  
 في يتخفل كهزيع الليل جرار<sup>(٣)</sup>

(١) اللد : السير يهد به الأسير .

(٢) باتقيا : ناحية بين العراقيين .

(٣) روى ثعلب : كسود الليل . الهمام : السود الشجاع .



جَارِ ابْنِ حَيَا، لِمَنْ نَسَّاتَهُ ذِمَّتُهُ  
 أَوْفَى، وَامْنَعْ مِنْ جَارِ ابْنِ عِمَارٍ  
 بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تِيْمَاءَ مَنْزِلِهِ  
 حُصْنِ حَصِينٍ، وَجَارِ غَيْرِ غَدَارٍ  
 إِذْ سَامَهُ خَطَطِي خَسَفَ. فَقَالَ لَهُ:  
 قُلْ مَا تَشَاءُ، فَاتِي سَامِعَ حَارٍ<sup>(١)</sup>  
 فَقَالَ: تَكُلْ وَغَدِرْ أَنْتَ بَيْنَهُمَا  
 فَاخْتَرْ، وَمَا فِيهِمَا حِظٌّ لِمُخْتَارٍ  
 فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:  
 اقْتُلْ أَسِيرَكَ، أَنِّي مَانِعٌ جَارِي<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ لَهُ خَلْفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ  
 وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عَوَارٍ<sup>(٣)</sup>

(١) حَيَا: مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ.

(٢) سَامَهُ الشَّيْءَ: كَلَفَهُ لَهُ. الْخَفَ: الذَّلَّ وَالْقَهْرَ. قُلْ مَا تَشَاءُ: هِيَ الرُّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ. رَوَى ثَعْلَبٌ: مِمَّا قَالَهُ «حَارٌ»: مَنَافِي مَرْغَمِ أَصْلِهِ. حَارَاتٌ، أَرَادَ بِهِ الْحَارُوثَ بْنِ ظَلَمٍ قَالَهُ الْجَيْشُ، أَوْ الْحَارُوثُ بْنُ أَبِي شَرْمَلَةَ حَسَنًا.

(٣) شَكَ: ذَكَرَ حَقْرًا. غَيْرَ طَوِيلٍ: هِيَ الرُّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ وَرَوَى ثَعْلَبٌ: غَيْرَ قَلِيلٍ. اقْتُلْ أَسِيرَكَ: هِيَ الرُّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ أَمَّا ثَعْلَبٌ فَرَوَى: إِذْ بَخِجَ حَذِيكٌ. الرُّوَايَةُ ٣١ ص ٢٨ - بَيْرُوت ١٩٦٨.

(٤) عَوَارٍ: الضَّعِيفُ الْجَبَانُ.

مالا كثيرا ، وعِزْضاً غَيْرَ فِي دَنَسٍ  
 وَأَخْصُوهُ مِثْلَهُ لِيَسُوا بِأَشْرَارِ  
 جَبَرُوا عَلَى ادْبِ مَنِي ، بَلَا نَزَقِي  
 وَلَا إِذَا شُمِرَتْ حَرْبٌ ، بِأَغْصَارِ  
 وَسَوْفَ يُعْقَبِيهِ ، إِنْ ظَفَرَتْ بِهِ  
 رَبِّ كَرِيمٍ ، وَيِيضُ ذَاتُ أَطْهَارِ  
 لَأَسْرَهْنَ لَدَيْنَا ضَالِّعُ مَلَقِ  
 وَكَاتَمَاتُ ، إِذَا اسْتَوْدَعَنْ ، اسْرَارِي (١)  
 فَقَالَ : تَقْدِمَةُ - اذْ قَامَ يَقْتُلُهُ -  
 أَشْرَفُ ، سَمَوَالٍ ، فَاَنْظُرْ لِلْدَمِ الْجَارِي  
 أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صَبْرًا ، أَوْ تَجِيءُ بِهَا  
 طَوْعًا ؟ فَاَنْكَرَ هَذَا أَيُّ إِنْكَارِ  
 لَشَكِّ أَوْدَاجِهِ ، وَالصَّبْرُ فِي مَضَضِ  
 عَلَيْهِ مَنْطُوبًا كَالْأَنْزَعِ بِالنَّارِ (٢)

---

(١) مَلَقٌ : غَيْرُ خَالِصٍ - مِنْ مَلَقِ اللَّيْنِ : مَزَجِهِ بِالْمَاءِ . وَفِي بَعْضِ  
 الرِّوَايَاتِ : لَدَيْنَا ذَالِبٌ قَلْبًا (المصدر نفسه) .

(٢) شَكٌّ : الضَّمِيرُ عَائِدٌ لِلْقَائِدِ - الْأَوْدَاجُ جَمْعُ الْوَدِجِ وَهُوَ عِرْقُ الْعِثْرِ .  
 وَالْمَصْدَرُ - الضَّمِيرُ لِلْمَوَالِ - الْفَارُجُ بِالْفَتْحِ : الْمَقْصُودُ لَأَنَّهُ صَدْرُهُ ضَيْقٌ  
 حَتَّى كَلَّمَهُ دُرُجٌ بِالْفَتْحِ ، نُحْيَتْ .

واختار ادراعه ان لا يُسَبَّ بها  
 ولم يكن عهدُه فيها بختار<sup>(١)</sup>  
 وقال : لا اشترى عساراً بمكرمة  
 فاختر مكرمة الدنيا على العار  
 والصبر منه قديماً شمةً خُلِقَ  
 وزنده في الوفاء الثاقب الواري<sup>(٢)</sup>

إذا صحت نسبة هذه القصيدة الحوارية الى  
 الاعشى ، وهي صحيحة ، فان الشاعر يرهص بها  
 للشعر العربي التمثيلي ، الذي كان يمكن له ان يرى  
 النور ، بعد الاسلام ، وفي المصور الاموية والعباسية  
 خاصة ، لولا معوقات وموانع مصطنعة اكثر منها  
 طبيعية ، لا مجال لسردها هنا ومناقشتها ، يعرفها  
 الباحثون في خصائص الأمم ، ومنطلقات ودوافع الشعر  
 التمثيلي العالمي .

هذه القصيدة - النداء نابغة من صميم وجدان  
 شاعر أسير ، اعشى ، واقع بين يني أسر جلاله .  
 اطلقها في لحظة من لحظات فاصلة بين موت وحياة ..

(١) البختار : الفخار .

(٢) الواري : من قوى الزند : خرجت نوره .

بدأها الشاعر اللبق بلا مقدمات لتصل سراً وبسرعة  
فائقة مدتها سواد الليل ، الى شريح : منقذه المستظر  
اللذ<sup>(١)</sup> سرعان ما بلدر الى انقاذ شاعر بارع عرف كيف  
يدخل ، بالشعر والذكاء ، الى قلب المنقذ .. والى  
قلوبنا ايضا ..

هذا الشاعر الغنائي حرف ، كذلك ، كيف يحاور ،  
وكيف يصبح «غيريا» في قصيدته هذه ، حين يخرج من  
دائرة «الانا» المغلقة ، وراح يطلق الحوار على لسان  
الحارث والسموال ، كما استطاع ان يتوارى خلف  
شخصه الحية تماما . لكن نزعت الغنائية والفردية ، في  
الشعر وفي الحياة ، شيمة كل عربي ، جعلته يختصر  
الموقف التمثيلي الحواري البارع في واحد وعشرين بيتا  
فقط .. وبألفه ، اتم ، بعد الافراج عنه ، ما كان  
بدأه من هذه الحوارية ، فصور لنا ، وهو القادر فنيا ،  
الموقف البطولي والمأساوي للسموال ، وعظمة الوفاء ،  
وجبروت الحارث ويطشه وغدوره ، وتلك النفسية

---

(١) طال استمالتنا لاسم الموصول : الذي ، فلماذا لا نستعمل بدلاً منه  
اللذ ، مثلاً ؟ وهذا المتني قبلنا بالغف حلم ويزيد ، استعمل اللذ بدل  
الذي . لضرورة الشعر ، ربما ، ونحن لضرورة التعبير ! ألم لا ؟

الظلامية السادية التي يتمتع بها ...

ولكنها الغنائية العربية ، وهذه الأنا الطاغية في  
النفسية العربية ، والتي ابرزها الشعر العربي قديما  
وحتى حديثا<sup>(١)</sup> .. هي التي حالت دون قيام الشعر  
العربي المسرحي والملحمي عند العرب . وهكذا انقذ  
الشعر صاحبنا الاعشى مرتين : مرة حين تخلص من  
اسره .. ومرة حين تخلص من قيود الزمان والمكان  
وجبرية الحياة وتفاهتها ولعنة الموت ، فسار ، ككل  
شاعر مبدع ، في الأجيال .. الى ان وصل الينا ..  
وسنمضي نحن وبقى هو والخالدون سائرين في  
الأجيال ! في حين يطوي الزمن كل من ليس بشاعر او  
مفكر او فيلسوف او فنان ، ايا كان !

وليس المهم ، مقدار الوصول الينا وعمق تأثيره  
فينا ، فقد يكون هذا التأثير ضحلاً ضئيلاً ، كتأثير  
الاعشى ، لكن المهم هو القدرة على التخطيطي  
والوصول .. والقدرة على الحضور الدائم بيننا والولوج  
الى وجداناتنا . وتحريك عواطفنا بتلك العصا السحرية  
والمشكاة النورانية الموصلة بأسلاكها ما بين القلوب

---

(١) بلستة مطولات حنية تبشر بالخير .

والعقول... وحين خاطب الله عباده في كتبه ألم  
 يخاطبهم شعرياً ؟! ألم يأمرهم بأن يرتلوا كلامه  
 ترتيلاً ؟!... ألم يتخذ الرمز والقصة والاسطورة ، وهي  
 ادوات الشعر ، سبيلاً الى قلوبهم وعقولهم واخيلتهم ؟

### قصة اسلامه :

روى صاحب الأغاني قال : اخبرني حبيب بن نصير  
 المهلبى ، واحمد بن العزيز الجوهرى قالوا : حدثنا  
 عمر بن شبة قال : قال هشام بن القاسم الغنوي ، وكان  
 علامة بأمر الأعمى : انه وَقَدَّ الى النبي ﷺ وقد ملحه  
 بقصيدة جاء فيها :

ألم تَغْتِيضْ حينك ليلة أرمدنا  
 وعافك ما عاد السليم المهيدا  
 وما ذاك من عشق النساء وانما  
 تنسيت قبل اليوم خُلةً مهلداً<sup>(١)</sup>  
 وفيها يخاطب ناقته :

فَأَلَيْتُ لا ارثي لها من كلاله  
 ولا من حفاً حتى تزور محمداً

(١) مهلداً : مشوقة الأعمى أو حكماً يصنع اسماً ما لشخص ما .

نبي يرى ما لا ترون ، وذكره  
 اغار لعمري في البلاد وانجدا  
 متى ما تلاني عند باب ابن هاشم  
 تراحي ، وتلقي من فواخيله يدا  
 فبلغ خبره قريباً فرصدوه على طريقه . وقالوا : هذا  
 صنجة العرب ، ما مدح احداً قط الا رفع في قدره .  
 فلما ورد عليهم قالوا له : اين اردت يا ابا بصير ؟  
 قال : اردت صاحبكم هذا لأسلم . فقالوا : انه ينهاك  
 عن خيالات ، ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق ،  
 موافق . قال : وما هن ؟ فقال ابو سفيان بن حرب <sup>(١)</sup> :  
 الزنى . قال : لقد تركني الزنى وما تركته . ثم ماذا ؟  
 قالوا : الربا . قال : ما دنت وما اذنت . ثم ماذا ؟  
 قالوا : الخمر . قال : اوه ! ارجع الى صُباية قد بقيت  
 لي في المهراس <sup>(٢)</sup> فأشربها . فقال له ابو سفيان : هل  
 لك في خير ما هممت به ؟ قال : ما هو ؟ قال : نحن  
 وهو الآن في هدنة <sup>(٣)</sup> فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع

(١) روى ثعلب له أبو جهل .

(٢) المهراس : حبر مخزوم معروف يسع كثيراً من الماء .

(٣) قصد صلح الحديبية . والحديبية بئر قرب مكة على طريق جنة . ولي  
 معجم البلدان : قرية متوسطة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة =

الى بلدك ستك هذه ، وتنتظر ما يصير اليه امرنا . فان  
 ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفا ، وان ظهر علينا  
 اتيت . فقال : ما اكره ذلك . فقال ابو سفيان : يا معشر  
 قريش . هذا الأعشى ! والله لئن اتى محمدا واتبعه  
 ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره .. فاجمعوا له مائة  
 من الابل . ففعلوا ، فاعلها وانطلق هالدا الى بلده ،  
 فلما كان بفاج متفوحة رمى به بعيره فقتله ..

ويتم تليق الرواية على هذا الشكل المشير ليؤمن  
 المسلم العادي بأن كل من يخره متاع الدنيا ويخدعه  
 سرايبها ، يلقى ما لاقله الأعشى ! ترمي به ناقته ( او  
 منيته ) من على ظهرها فيموت !

لكن الأعشى ، كشاعر ، قادر لا يزال حياً بيننا ،  
 سواء وقع من ناقته ، او بعيره ، او لم يقع ، اسلم او  
 لم يسلم . تنصر او لم يتنصر ! فلن يضير الاسلام ولا  
 النصرانية ألا يدخل فيهما امثال الأعشى من الزنادقة !  
 بل ان ما يضيرنا نحز ، ان تلفق مثل هذه الروايات ،

---

التي بايع النبي تحيا يمة الرضوان . وفي الحظيرة تحت كعبة عهد  
 الصلح بين النبي ومشرقي قريش ومدته عشر سنوات . وفي رواية  
 ثمان . كعبه الامام علي بامر من النبي .



ويتغنى في تزويقها ، وقصصهم خواتيمها .. وما اكثرها  
في تراثنا الادبي ، والديني ، والسياسي ، مما جعله  
ينوء بأوزار ثقال من الكذب والنمحل والتحيز ،  
والاصطناع ، وجعل العرب والمسلمين مشوهي التاريخ ،  
مُزَوَّرِي القيم ، اكثر القيم ، الامر الذي شغل نقادهم  
ومفكرهم في الرد والغريلة ، والتصحيح ، زمنا طويلا !  
واهرق من وقتهم ونور حيونهم بما لا يحصى !

### وفاته :

بما ان اكثر الروايات يجمع على ان الاعشى ادرك  
الاسلام ، فقد تكون السنة ٦٢٩ ميلادية والتي اوردها  
المستشرق ده برسفال ، والاب لويس شيخو ، تاريخاً  
مقبولاً لوفاة الاعشى ، لأنها توافق السنة السابعة للهجرة  
التي وقع فيها النبي ميثاق صلح الحديبية .

ومهما يكن ، فقد استقر ، اخيراً ، هذا الجسد  
المرهق ، في قريته مفتوحة باليمامة <sup>(١)</sup> بعد طول طواف

---

(١) وفي رواية ان الاعشى ولد في مزرعة تسمى قُرْناً في اليمامة ، وليس  
في مفتوحة . وكان اكثر سكان اليمامة ، قبيل الاسلام ، من بني حنيفة  
وكانت التصرفية منتشرة بينهم ، وقد فصل الاعشى في شهابه بأميرهم  
هولة بن علي التصرفي ومنحه . انظر . الروائع رقم ٣٦ ص ٦ .

وهتاف . سكنت الحنجرة عن التردد والغناء . لكن  
الوجدان لم يسكت ، فقد اوصى صاحبه ان يبقى  
مشاركاً الرفاق افراحهم ولذاذاتهم .. وان يجعلوا من  
قبره مجلساً خمرىا لهم .

روى صاحب الأغاني ان والي اليمامة سليمان  
النوفلي قال : اتيت اليمامة والياً عليها ، فمررتُ  
بمنفوحة ، وهي منزل الأعشى التي يقول فيها :

فركت مهراس الى ما ورد  
لفجاع منفوحة ذي الحائر

فقلت : اهله قرية الأعشى ؟ قالوا : نعم .  
فقلت : اين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا اليه . فقلت :  
ما لي اراه رطباً ؟ فقالوا : ان الفتيان ( اي رفاقه )  
ينادونه ، فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فاذا صار  
اليه القنح ، صبّوه عليه ا

ويأبى الأعشى إلا أن يظل استاذاً للرفاق حتى بعد  
الموت .. وتأيي روجه ان تعترف بفواصل الزمن  
وعوامل الفناء ا

## حياته الخاصة :

لست ادري كيف يمكن لمثل هذا الشاعر الجوال  
اللامستقر على حاله ، أن ينشئ أسرة وينجب اولادا ،  
ويسكن بيتاً ، ما دام بيته ظهر بعيره ، واولاده رفاق  
خمرته ورحلته ، وزوجاته ما شاء من الإماء ،  
والمطلقات والمواهر !

نفهم منه ، وحده ، من بعض قصائده ، انه تزوج  
مرة ، لكنه سرعان ما دُفع دفعاً الى الطلاق ..  
والسبب ، لا كالأسباب ، كي : « يلقو غيرها وتذوق  
غيره » ! كما يقول ..

وذوقني فتى قوم ، فاني ذائق  
فتاة أناس ، مثلما انت ذائقة !  
يذكر بعض شراح ديوانه ، ان امرأته هذه كانت من  
« هزان » وان اهلها هندوه بالضرب ، او يطلقها ،  
فطلقها . والواقع ان السبب كان غير تهديد اهلها له  
بالضرب .. بل كان تهديدها هي بضربه على رأسه  
( بالقباب ربما ) ! اسمعه يصارحها ويصارحنا :  
وييني فان البين خير من العصا  
والأ تزال فوق رأسك بارقة !

والاصح : فوق رأسي بلارقة .. كي يستقيم  
المعنى ، ويرر الطلاق ، كما يرجع بعض الرواة <sup>(١)</sup> .

### ===== خمرياتة =====

استاذ الأساتيد خيراً وشعراً :

وانك لن تجد شاعراً من بين الشعراء الجاهليين ،  
يكاد يتقطع للخرمة معايشة ، وشعراً ، انتاجاً وشرباً ،  
طلاباً وغاية ... كالأعشى . غيره ، من شعراء القرن  
السادس الميلادي وأوائل ظهور الاسلام ، شربها وتباهى بها ،  
وفلسفها . لكن اهتمامه بها لم يزد عن اهتمامه بالحبيب  
واطلال الحبيب ، او الناقة والفرس والممدوح  
والمهجور . لذا فنحن ما نكاد نحيا هنيهات مع هذا  
الشاعر المتصعلك حتى نشم رائحة جديدة تفوح من بين  
اعطاف شعره ، هي رائحة الخمرة التي تسبها ، ولا  
شك ، رائحة ثيابه المبهمة وجسده المعروف لكثرة  
تجواله وتسكمه .. وهذه اخبار الرواة عن انه ما هجا  
وما مدح الا ليكسب مالاً ينقذه على لذته ولهوه وشربه ،  
تكاد لا تنتهي .

---

(١) الروائع رقم ٣١ ص ٣٩ .

فأول مرة نجد شاعراً جاهلياً متفرغاً ، وجدانياً  
للخمرة وتوابعها ، يلاحق نعوتها ووصافها ، واسماءها  
الجديدة من فارسية ورومية ملاحقة العاشق للمعشوق ،  
كما يستغرق في رسم جوها ومجالسها وما يتخلله من  
رقص وغناء ، وغنج ودلال وحميمية ، ثم .. تأثيرها في  
شاربها ، وساقياتها من رفاق ورفيقات .. ولا عجب  
فهو المتكسب بشعره من اجلها ، والهارب من شظف  
الميش اليها ، هنالك حيث سدنتها المتحضرون ،  
ومعاقروها من ملوك وامراء وكهنة .. وهو لم يكن  
شريب خمر وحسب . بل كان منتجاً للخمر ..  
وكانت له معصرة في اثنافت يعصر فيها ما جزل له  
اهلها من اعتابهم ، على حد تعبير الأب لويس شيخو  
في كتابه : شعراء النصرانية ( ص ٣٧٥ ) ولا عجب ان  
تصبح داره ، ايام شبابه ، مجمعاً للرفاق يلهون معه ،  
ويشربون . وحين اشرف على الثمانين عاش على  
ذكرها ، كأعز ما يملك الشاعر الهرم من ذكريات ..  
فبدى أن نجده مبدعاً في التخييل . له فيها صور  
فنية طريقة الخيال تضج بالحياة والحركة ، الى جانب

جذتها ورفتها :

تريك القذى من فوقها وهي فوقه  
إذا ذاقها من ذاقها ، يتمطق

لاحظ الدقة في تصوير الصفاء والنفاء ، وروعة  
الحركة في « يتمطق » التي ما تكاد نقرأ البيت ، وتمثل  
الحالة حتى يتمطق فعلاً ..

توكأ على هذا البيت الاخطل ، وهو تلميد بارز من  
تلامذة الأعشى ، في بعض خمرياته ، فقال :

ولقد تباكرني على لذاتها  
صهباء عالية القذى ، خرطوم<sup>(١)</sup>

ويقول الأعشى :

من خمر عانة قد أتى لحنامها  
حول ، نسل غمامة المزكوم

فيقول الاخطل :

وإذا تجاوزت الأكف ختامها  
نفحت فنال رياحها المزكوم

---

(١) خرطوم : سرية الإسكندر .

ويقول الأعشى :

وكأس شربت على لذة

وأخرى تداويت منها بها .. فيقول

أبو نواس :

دع عنك لومي فإن اللومَ إغراء

ودواني بآلتي كانت هي الداء

ويتقلب المعنى ، عند النواسي ، تجربة ، والتجربة  
تضبط في رأي أو حكمة . وحين يصبح الشعر وعاء  
للحكمة ، وإرشافاً تسجل فيه «المعلوماتية» يبرز  
الحكماء والمفلسفون ، أمثال المأمون ، فيعلقون على  
البيت - وأن أوله سقراط ، وآخره بقراط ،<sup>(١)</sup> بدل  
تلوذه وتحسن جوانب الابداع فيه ، وتلك العفوية  
الغامرة التي تنضج منه ، والصراحة الجريئة التي تتحدى  
فيه اللائمين المغلقين الذين كانوا سبب شلونه  
الاجتماعي ، كما كانت الخمرة سبب دائه ودوائه في  
آن! فالشعر في نظرهم ، تاريخ وجغرافيا ودين ،  
وطب ، وإلا فلا .. علرهم انهم يعيشون في القرن

---

(١) يرى أن المأمون عندما سمع هذا البيت لأبي نواس قال مطلقاً : إن  
أول سقراط (أي فلسفة) وآخره بقراط (أي طب) بدل أن يهذف  
مشرقاً .

التاسع الميلادي .. فما علمنا نحن ، اذا نظرنا الى  
الشعر نظرتهم ، ونحن نعيش في أواخر القرن  
العشرين ؟

وواضح ان الطريقة القصصية السديّة والحوارية  
المتعددة الاصوات التي طفت على اسطوب ابي نواس  
الخمري ، كان لها جلور عند الأعشى ، ويدايات  
موفقة ، إضافة الى الجانب النفسي ، والمناخ التحرري  
الذي كان ابو نواس يحيا فيه ، وينطلق منه في حوار  
مع الخمرة : عشيقته الاولى .

وانك لن تجد كبير فرق بين هذه الحكاية للأعشى ،  
وابة حكاية خمرة لأبي نواس ، اللهم إلا فارق  
العصر ، والوضع ، والموقف والثقافة . قال الأعشى :

وقد اقود الصبا يوما فيتبعني  
وقد يصاحبني ذو الشرة الغزلُ

في فتية كسيوف الهند قد علموا  
ان ليس يدفع عن ذي الحملة الجِلُّ

نلزعهم قصب الريحان متكئا  
وقهوة مزة راووقها خضيل



لا يستطيعون منها وهي راحنة  
 الا بهات ، وإن علوا ، وإن نهلوا  
 ومستجيب تخال الصنج يسمعه  
 اذا ترجع فيه القينة الفضل  
 والساحبات ذبول الربط آونة  
 والرافلات على امجازها العجل  
 من كل ذلك يوم قد لهوت به  
 وفي التجارب طول اللهو والغزل

انها حكاية حال الأعشى مع الخمرة حين يذهب  
 الى الحانوت<sup>(١)</sup> قائداً لشبابه ، لا مقوداً ، نصحه  
 عصابة من كرام الرفاق ، نلروا انفسهم ، مثله ، للحب  
 والغزل والخمرة ، يتهبون معه اللذات نهياً ؛ لعلمهم بأن  
 العمر هو الشباب ، وما دون ذلك فضول وخمول . . بل  
 سراب ! وان الموت قنر لا مهرب منه ، ولا حيلة  
 معه . . . ليتلوع الهاربون من الفاجعة ، وليكوا ما  
 شأوا . . وليقفوا على الاطلال او يقدوا . . اما هم  
 امامها ، فذووشرة يتحولونها بتحيدها او نسيانها . . ها  
 هم في الخمرة يتحلقون حول استاذهم الأعشى

(١) الحانوت : المقصف أو الخمرة يلقب اليوم او (الكاباره) .

المتكبر على قُصْبِ الرياحان يأتسون بحديثه وشرابه  
 وآدابه<sup>(١)</sup> . . . فيتشون بها نشوة لا يستفيقون منها الا  
 ليطلبوها من جديد . . . اما السقاة فعلمان نظيفو الثياب ،  
 خفيفو الحركة . يطوفون على السكارى بين  
 الاغفاء<sup>١</sup> ثم لما فعل الخمرة فعلها ينطلق الوتر في  
 نغم خافت يجلوه الصنج ، وصوت القينة الفُضْل  
 ( بالماكي ) في ترنيمة مشتركة خافتة تزيد من بهجة  
 المكان وتنخف من ثقل الزمان .

ونمضي ايام الاعشى كهذا اليوم الذي لها به وتحرر  
 من نكد الدنيا وقسوة الواقع . . ولن اتصوره غير هذا ،  
 حتى ولو لم يكن . . واضح من هذه الخمرية ،  
 ومثيلاتها ، مدى تحضر الاعشى ، وعمق ما تأثر به من  
 طوافه حول اطراف الجزيرة العربية ، حيث الممالك ،  
 والملوك ، والدور والقصور ، وحيث الحضارتان  
 القديمتان الفارسية والرومانية ( وريثة اليونانية ) تتركان  
 بصماتهما في ملابس عرب الحواضر ، ومأكلاتهم  
 ومشربهم وهاداتهم . . فيأخذ الاعشى من كل ذلك

---

(١) لايت استاذية الاعشى انظر المظفرة المفصلة بين عمرياته وعبرياته  
 الاصل واي نولس التي عقلتها في كليتا : أبو نواس ص ٩٠ وما  
 بعدها الصادر من دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٠ .

بقسط ينمكس على خمريات واسلويه فيها . ويكاد يتفرد  
في توصيل ذلك اليهم ..

فمن خمريات الاعشى تتصرف الى الحانة  
والحانوت ، والخَدم والسقاة والقيان والقيئات .. كما  
ان زي الغلامه Ale garponne كان معروفا في تلك  
القصور والحانات .. فهذا غلام الاعشى يعلق في اذنه  
قرطاً ، ويخضب كفه ، ويقلص سرباله <sup>(١)</sup> عندما يباشر  
عمله في الحانة ليصبح جزءا منها . مع هاتيك الغانيات  
المغنيات اللواتي يَسْتَحْيَن ذبول الربط <sup>(٢)</sup> ..

ويديهي ان هذه الرقة ، وهذه الحضارة لم تكونا  
في البداية ، ولا عرفهما شعراؤها ، إلا مَنْ تسنى له ،  
كالاعشى والنايفة وحسان وعدي ان يعيش معهما  
وفيهما .. الاعشى لماما والنايفة وحسان وعدي  
دواما .. بل كانتا في الحواضر ، وفي مدن العراق  
والشام والحيرة واليمن وبعض الواحات كتيماء وفندك

---

(١) اصبح عند العامة (شروالاً) والسريال : القدر ج سرايل جاء في  
القرآن (سورة النحل) : ﴿ وَجِئَ لَكُمْ سَرَايِلُ تَلْبِكُمُ الْحَرِّ وَسَرَايِلُ  
تَلْبِكُمُ الْبَشَرِ ﴾ .

(٢) الربط : كسر الربطة كل ملأمة غير ذات لفتين (كي قطنين متضامتين)  
كلها نسج واحد وقطعة واحدة (يحيط المحيط مادة ربط) .

وجلجى والاديرة . وكان طبعياً ان ترق ديباجة هؤلاء الشعراء المتحضرين ، وان يتميزوا عن غيرهم من شعراء البلدية ، وبالأخص في خمرياتهم ، لكأن الخمرة قد تسربت الى الحروف والكلمات فانتشت بها بعد ان انتشى الكيان والوجدان . ومرعان ما يبدو الفرق واضحاً حين نتقل الى سائر موضوعاتهم الشعرية حيث يبدأ الجفاف وغريب الكلام وخشن الصور بالتكاثر والتزاحم في تراكمية كثيفة . . . تبعدنا عنهم بقدر ما تقربنا منهم خمرياتهم المتحضرة . . .

### تحضر بدون استقلال :

لم تستطع رحلات الأعشى الى اطراف الجزيرة ومعايشته لأشياء الحضارة في الحيرة واقتباساته منها ان تفصله عن بداوته وجفاف اسلوبه الا بمقدار ضئيل ، لا نحسه إلا في خمرياته ، كما رأينا وحتى هذه الخمريات لم تستقل مع الأعشى في قصيدة ، والموضوعية ، التي هي إحدى مفرزات الفكر المتحضر ، لا نجدها في قصائد الأعشى الخمرية ، مع انه عاش للخمرة ، في صباه ، وكاد ينقطع اليها . علماً بأنه ما مدح وما تكسب

في مدحه إلا من أجلها . وهذا معناه ان الأعشى كان قليل الحظ من الحضارة ، وبالتالي ، قليل الحظ في الموضوعية الفنية التي يتميز صاحبها بالتفرغ والانقطاع لموضوع واحد ، كما تتميز القصيدة الراقية ، في أي موضوع كان ، بالاستقلالية التامة ، فلا خلط ولا مزج ولا تنقل ، في القصيدة الواحدة من موضوع الى موضوع . كما لا تعليل ولا تحليل ولا وحدة .

لذا ظلت خمرياته في أكثرها أبيتان - مطالع - بوطيء بها الى المدح أو الهجاء أو الفخر ، وبالعكس .

وتنحصر موجه « التحضر الفني » عن الأعشى في بقاءه حسي الوصف ، مادي الصورة ، شيمة سابقه ومعاصره من الشعراء الجاهليين ، فلا تجريد ولا انفعال ولا خيال ، بل لصوق بالمشهد لصوقاً شكلياً أو ظاهرياً تحده الباصرة لا البصيرة ، وتعامل مع المرئي كشيء محدود لا أبعاد له ولا صلة له بالنفس أو الوجدان .

فأين امتياز الأعشى إذن ؟ سنرى ان امتيازه في الخمريات هو انه يقل الحساسة أو اللطيفة الى « الفكرة » ، الى الموضوع . صحيح انه لم يرتفع

بالخمرة من المادة الى الروح ، من مظهرها الى جوهرها ، وظل جاهليا ، الا انه « ارتفع افقيا » بها ، اذا صح التعبير ، بمعنى التوسع والاحاطة والشمول ، قبله كان ذكر الخمرة على لسان الفارسي ، والرئيس ، والصعلوك ، سيلا الى التناخر والتباهي والإدلال على الآخر بأنه ذلك الفقي القادر على شرائها « بالمشوف المعلم » على حد قول عترة ، وانه يشربها « بعدما ركذ الهواجر » ، وانه وان سكر فانه يبقى وافر العرض والكرامة . ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد .. فلا تطرق الى الخمرة نفسها ومجلستها ، وصفتها وساقيتها وسائر توابعها ومفاعيلها في الرفاق ، ثم صفة هؤلاء الرفاق قبل السكر وإثناؤه وبعده .. مما توسع به الأعرشى توسعاً لم نعهده قبله . ناهيك بما اضافته على الخمرة من نعوت جديدة واسماء مجلوبة من عواصم المتحضرين الذين زارهم وشرب معهم ..

## نماذج محللة : شلاشل بنت الأعرشى =

وهذه خمرة مقطعة من معلقاته اللامية التي يودع فيها صاحبه « هريرة » بعد ان تفزل بها ما شاء له

التنزل موطناً لكل ذلك إلى مدح يزيد بن مسهر أبي ثابت  
الشياني، جامعاً ، في المعلقة ، كل ما يريده من غزل  
وخمر ومديح وفخر . قال :

وقد اقود الصبا يوماً فتبني  
وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل  
وقد غدوتُ إلى الحانوت تبني  
شالو مثل شلول شُلُشِل شول (١)  
في فتية كسيوف الهند قد علموا  
ان ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل  
نازعتهم نغيب الريحان متكأ  
وقهوة مزة راووقها غفيل  
لا يستيقنون منها وهي راينة  
إلا بهات ا وان علوا وان نهلوا  
يسمى بها ذو زجاجات له نطف  
مقلص اسفل السربال معتمل

---

(١) الشاري الذي يشوي اللحم . الشُل : سوق الإبل ، الشلول :  
خفيف الحركة : روى أبو عبيدة : شول . الذي ينشل اللحم في  
القدر ويقلعه للقيم الشلشل : المتحرك . الشول : الذي يحمل  
الشبر وقالوا : شبل بمعنى طيب النفس والرائحة . أما الذين انتقدوا  
هذا البيت فلم يترشوا لروا ما وراء هذه الشلطة ..

ومستجيب تحال الصنّج يسمعه  
إذا ترجع فيه القينة الفضل  
من كل ذلك يوم قد لهوتُ به  
وفي التجارب طول اللهر والغزل  
والساحبات فيول الخز آونة  
والرافلات على اعجازها العَجَلُ<sup>(١)</sup>

لا ادري ما الذي قَرَّبَ الاعشى ، في لا وحي  
الحافظة ، من بندر شاكر السياب ! لعلها شناسيل بنت  
الجلبي ، لشاعرنا المواتي الرومسي ، وشلاشيل  
الاعشى ؟! في تداع حروفي ساقته الشنشة والشلشة  
لحظة التداعي الوجداني الذي انبثق عن صورتين  
تكادان أن تكونا واحدة .

## صورة الصورة

الساحبات فيول الخز آونة  
والرافلات على اعجاز العَجَلُ ..  
اللواتي يحملن ( العَجَل ) . او جرار الماء ( او

---

(١) العَجَل : جمع عَجَلَة وهي قربة الماء .



الخمرة) متكئات بها على اطراف اردافهن ، يدرن بها ، في الحانة ، على الاعشى ، ورفاق شرابه .. وصورة بنت الجليبي الريفية التي تسحب في قريتها الوداعة ذبول فستانها الحب والاعجاب ، نظير عشة الحب والسكر تحدثها الساقية في كيان ووجدان الاعشى المنهك ، في الحانة ، بشوائه وشوائه ، ذلك المشلشل الشول ( السريع الحركة ) !! ....

وارائي ، أثر هذه الرؤيا واقعا بين تناثر الاضداد وتتابع حركات الجرس الموسيقي ، مستدعياً نشوة وجدانية سرعان ما تتسرب الى كيانني من رؤية بنت الجليبي ، وينات الاعشى<sup>(١)</sup> وهن على تلك الصورة الرائعة ، فأكاد اسحب مثلهن فضلاً ودائي .. لكن ، سرعان ما أتعثر بأذيال الشنائل العراقية والشنائل الاعشوية ، فاتراجع دون ان ادخل ، وأبقى متأملاً<sup>(٢)</sup> ! اما التحليل الفني لهذه المقطوعة الخمرة فقد اجريناه قبل قليل .

(١) قلنا : بنت الاعشى لمراصة النظر . وقصصنا : شلاليله .

(٢) تلك رؤيا نُكِّت عن أحلام اليقظة ، لا أدري ماذا يقول عنها التذاد وعلامات النفس المتجبرون . لو لمها شنة عُرفت عني في الاستطرد والسطح ! والله أعلم .

## مقطوعة خمرية اخرى : ---

جاءت هذه المقطوعة كغيرها ، توطئة الى مدح  
فيس بن معد يكرب ويزيد بن عبد المطلب :

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بَيْنَا  
بَلَى ، غَاذَهَا بَعْضُ إِطْرَابِهَا !  
لَجَّازَتْنَا ، إِذْ رَأَتْ لِمُتَي  
تقول : « ذلك الويل ، أنى بها »<sup>(١)</sup>  
فإن تعهديني ، ولي لِمَّةٌ  
فإن الحوادث أَلْوَى بها  
وكأسٍ شربتُ على لِنْدِ  
واخرى توافيتُ منها بها  
لكي يعلمَ الناسُ أني امرؤٌ  
اتمتُ المَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا  
كَمِيتٌ يُرَى دُونَ قَعْرِ الْإِنَا  
كمثل قلبي العَيْنِ يَفْطَى بها  
وشاهدنا الورد والياسمين  
نُ ، والمسمعاتُ بقصايبِهَا

---

(١) تلوه جازته على تصايه وهو شيخ . قلالة : أنى لك بالتصاي وابت  
أشيب لشمط ١٩٢ .

ومزمرنا مُغَمَّلٌ دَائِمٌ  
فَلْيُثَلِّثِ الثَّلَاثَةَ أَزْرَى بِهَا  
تَرَى الصَّنَجَ يَبْكِي لَهُ شَجْوَةً  
مَخَافَةً أَنْ سَوْفَ يَدْعَى بِهَا  
مَضَى لِي ثَمَاتُونَ مِنْ مَوْلَدِي  
كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُثَايَا  
فَأَصْبَحْتُ وَدَعْتُ لَهُوَ الشَّبَا  
بِ، وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا  
أَحِبُّ أَثَافَتَ وَقَيْتِ الْقَطَا  
فِ، وَوَقَيْتَ عَصَاةَ عُنَابِهَا  
وَكَعْبَةً نَجْرَانَ حَتَّمْ عَلَيْهِ  
كَ حَتَّى تُنَاعِي بِأَبْوَابِهَا  
نَزَرُ يَزِيدَا، وَعَبْدَ الْمَصِيبِ  
حِ، وَفَيْسَا، هُمْ غَيْرُ أَرِيَّاتِهَا  
إِذَا الْحَبِيرَاتُ تَلَوْتُ بِهِمْ  
وَحَبِيرُوا اسْفَلَّ هُدَايَا  
لَهُمْ مَشْرِيكٌ لَهَا بِهَجَّةٍ  
تَرُوقُ الْحَبِيرُونَ بِإِفْعَائِهَا  
يَبْدُو أَنْ اسْتَفْرَاقِ الْأَعْيَى، فِي هَذَا الْمَطْلَعِ، مَعَ

الخمرة والمرأة ، كان طويلا ، ولم يفانزه الا بعد ان اشبع نفسه ذكريات ، وقدأ روحه بما هو آت « بعد الثمانين التي مضت له » . حتى اذا خلا ، بعد لأي ، الى مملوحيه انقلبت الغاية وسيلة ، واصبح يزيد وعبد المسيح وقيس وكعبة نجران هوامش المتن ، واطار الصورة . اما المتن ، او محور الصورة ، فهو ذاته ولذاته ، وخمرته وجارته وصنجه ، وحانته ونالته يحاور الجميع ، مبتدئا بجارته ولُمَّته .. وتتصغر اللمة التي ازرت بها حادثات الدهر وطول العمر بانتصار صاحبها عليهما .. ها هو ، رغم الثمانين ، يشرب الخمرة ليؤكد للناس انه « اتي المعيشة من بابها » وما زال .. ولكي يعلل استمراره معها ، راح يفلسفها ويخفضها للمنطق الطبي القائل بعدم الامتاع كلما عن تناول شراب أو طعام مهيا كان ضاراً<sup>(١)</sup> او قتل الشيء بمثله .. كالسم بالسم او الميكروب بالميكروب نفسه وهو منطق علمي حديث حَتَس به الشاعر ، وفانح عنه فيضا :  
وكأس شربت على لذة  
واخرى تداويت منها بها

ولعله اقتبسه من اولئك الكهنة - الاطباء ، في

---

(١) كالخمرة أو القهوة أو الفخار ، وكل ما هو ضار باليمن عليها .

الحيرة واليمن ، فافرغهُ ، وعيه او لا وعيه ، في حكمة  
 ملمومة واضحة ، اعجب بها ، كما رأينا ، ابو نواس ،  
 ولامت منه عقلاً ومزاجاً ، فعمقها وفلسفها فاصبحت :  
 دلوئي بالتي كانت هي الداء .. وطبيعي ان تمازج  
 الحكمت حين تتماثل الحالات .. فأبو نواس تلميذ  
 الاعشى ، وتلميذه «الشاطر» ! فلا عجب ان يتفوق على  
 استاذهِ ، حضارة وفكراً دون ان يغيره موقفاً وتحدياً ،  
 ونفسية .

وبمضي الاعشى ، في ذلك البيت - الحكمة ،  
 والذي يليه ، في تحدٍ لبقي معلناً انه هو الذي عرف كيف  
 يعيش ، وكيف يدخل الى الحياة ، من بابها الواسع ،  
 وليس كلؤلك المُغْلَقِينَ الذين يجيئون - ثم يذهبون ،  
 خارج السور العظيم ، ثم لا يلدي بهم احد ! ففي ظنه  
 ان الخمرة ، وهي شراب الآلهة <sup>(١)</sup> هي الباب  
 والمآب ، وهي سر الوجود <sup>(٢)</sup> .

(١) في ميثولوجيات الأمم القديمة كالليونان والرومان والفرس ..

(٢) وقد أصبحت الخمرة عند أبي نواس مثلاً هي الإله ، ثم اتخذها الصولية  
 طريقاً إلى الله ، ولو بالترميز ، فخلوا . ثم انقلب الله هو الخمرة  
 نفسها ، فسكروا به واتخذوا .. فضلوا مرتين ! ..

وكذلك فعل الخيل . للتوسع انظر كتابنا : أبو نواس : جدد أم شعوب  
 المصادر من دار ومكتبة الهلال ١٩٨٠ - بيروت . المؤلف .

وخمرة الأعشى كعيت حمراء صافية ، وهي لشدة صفاتها «تريك القلى من فوقها وهي فوقه» حل حد تعبير الأخطل تلميذ الأعشى الأول والمقتبس الخافق:

ولقد تباكرني على لذاتها  
صبياء عمالية القلى خرطوم

وهي لا تشرب في البيوت سرا ، او على الطرقات ، او عند الهاجرة .. بل إن لها حرمة وجوا ومواقف ، لا بد من توفيرها: حانة راقية ، يفرش فيها الورد والباسمين ، لأمثاله من كبار الشاربين المتخصصين ، امام مغنيات جميلات الصوت والأداء ، يوقعن على أعوادهن ، بمرافقة المزممار الدائم العزف ... وها هو الورد ، والمسمعات ، والأعشى ، يشكلون ثالوثاً لذيداً يليق بالحانة والعيشة .. ولا يزري بالخمرة .. فهو الرفاق اكفلوها ، وليس «سفلة» القوم ، او من «يجهل الادبا» كما سوف يقول ابو نواس ..

ويصبح المنج ، في هذه الخمرية ، جزءاً حياً من الحانة .. فهو لكثرة ما عزف عليه ، آلف شجوا حنونا منسجماً مع اللحن .. واذا بجزئيات الحانة وشخصها تنقلب كلا واحداً يفسج بالحياة ، فيتشى الجميع ،

ويتحد الجميع .. وعلنا ، في اصماتنا ، نشاركهم  
نشوتهم ، ونسى معهم كل ما يجري خارج هذا الركن  
الدافئ العميم ، من هموم ومتاعب ، وقضايا ..  
ننسى الحياة في جانبها الروتيني ، وفي وجهها الآخر  
الكالح .. ارايت كيف يتقلنا الشاعر ، اعشى ام غير  
اعشى ، في لحظة استشفاف واستشراق ، الى عالمه  
واسلامه وذكرياته ١٩ ولا يكاد شاعرنا يخرج من عالمه  
الأثير معلنا وداع «المختبر» لاصحابها ، حتى يعود  
الى ذكرياته في «أثافت» : تلك البلدة الحبيبة الى  
نفسه ، لا سيما وقت قطاف العنب وعصره في معصرته  
الخاصة <sup>(١)</sup> وينظر ، الآن ، حوله ، فلا يرى سوى  
شيفوخته وناقته فيخاطبها قائلاً :

وكعبة نجبران حتم عليك  
الى ان تُناخي بابوابها  
وما ذاك منه لمجرد الزيارة بل لانه «يرتاح» هناك

(١) كان للأعشى معصرة للخمر في أثافت وهي قرية في اليمن . انظر :  
شعراء التصوفية ، ص ٣٧٥ للأب لؤي شيفوخ لكن هذه التجارة  
بالخمر لم تكن موروثة الوحد أو الأعم . تجلته الرابطة كتب كما يقول  
صاحب الروائع ما يحصل من الأمراء والملوك لقاء مدح كان يسرين  
العرب والعجم فرفع شأنهم الخ.

حين يزور اصديقاته الاوفياء الكرام : يزيد بن عبد المدان ، وقيس بن معلي كرب وعبد المسيح : هؤلاء الكهنة المتحطرون كهنة كعبة نجران او كنيسة ، وسدنة حباب الخمرة المهرية ، ليتداوى عندهم بالتي كانت هي الداء ، وينعش شيخوخته الهابسة .. فما حظ الاعشى رحالمولناخ ورحلته الا عند امثال هؤلاء الصحاب الذين يكرمون ويعطون ويسقون .. صحاب مترفون يجرّون اذيال النعمة ، ويسكنون الغرف العالية حيث يتبادلون ، مع الاعشى ، كأساً بكأس : منهم الخمرة ، ومنه المديح ، وتتم لكل طرف نشوته !

### فن التعبير فيها :

من الواضح ان «استغراق» الاعشى في هذه الخمرة - المديحة ناتج عن «حالة» او تصور حالة ، طالما احببنا ان يحياها ، ويترجم عنها ، او يتصورها في كيانه ، على الاقل ، ثم في بيانه .. فكيف اذا كان هذا التصور في لحظات اليأس من العودة ، حيث الثماتين تشد على من بلغها شداً عنيفاً ، فاذا به ، هنا يتفجر ... لكن انفجاره جاء غير مُلَوّ .. جاء



هادئاً هلوه العمر كله.. فانسابت التجربة- الذكرى عبر  
 حوار حميم مع الجارة اللاتمة ، في رشاقة حوارية  
 تخيلية تبدو وكأنها عصرية ، وليست لشاعر عاش في  
 القرن السادي الميلادي .. وهذه الكلمات : ورد ،  
 ياسمين ، معيشة ، شجيو ، لهو ، مزمر ، قطاف .  
 ليست كلمات لشاعر اذاعي عصري ينظم ليلحن شعره  
 ويغنى في الاذاعة ؟! واذاعة الاعشى كانت صوته  
 وصنجه .. كل ذلك ساعد على اشاعة جو المرح  
 والمتعة والجمال والموسيقى . جو اندمج فيه الشاعر ،  
 مع انه اطل عليه من مسافة بعيدة ، مسافة الثمانين  
 عاماً .. لكنه كان موصولاً به ، مشدوداً اليه .. فاعت  
 المسافات ، ونسي الشاعر موقعه .. كما نسي القافية  
 الايقاعية هل هي لائتمام المعنى ام هي لكمال اللحن ،  
 فرددها ، تلقاها ، كما هي . فاذا «جاء» تتكرر  
 خمس مرات ، وبصورة متتالية وفي مقطع  
 خمري قصير ... معنى ذلك . في نظرننا ، ان الشاعر  
 مشغول «جوانياً» عن كل ما في هيكلية قصيدته  
 «برانياً» .. او .. لعل حب التطريب في النغم الرتيب  
 الذي تفرضه ضربة الصنح (ططق- ططق : حركتان  
 فسكون مكررة ررة- ررة) هو الذي دعا الشاعر الى

تكرار « بها » خمس مرات . فكانها اللازمة الموسيقية التي جرت عليها بقية القوافي المماثلة ، إذ لم يعد يهم التنوع ، في هذه القافية بقدر ما يهم الترجيح ! ويقتضى ، أخيراً ، بحر القصيدة - المغناة ، وهو المتقارب .. لتقارب تفصيلاته وإيقاعها ولقرب القافية من صدرها . مما يصلح للغناء الراقص ، كما يقول البستاني في مقدمة الأليافى المعربة ، ولوصف مجالس الخمرة والطرب حيث تستعمل الآلات الموسيقية الخفيفة ذات النغم المقتضب والسهل : كالطبل والزمر والصنج والعود ..

كان طبعاً أن يصدر كل ذلك عن شاعر شبه متحضر ، ذي حسن مرهف ، ولياقة تعبيرية تعطي لكل حالة لونَ صورها وتشايبها ، ولكل نغم ما يلائمه من الحروف والحركات ..

لكن الأحرى ، رغم كل هذه الرشاقة واللياقة ، ظل مادي الصور حسي الخيال : نظرا إلى أنه لا يزال لصيق صحرائه وحصره ، مهما سح وطاف ، وعبد لغته التغلّية - القرشية الغريبة الجزلة التي رقت الخمرة والحضارة منها ، بعض الشيء ، لكنها لم ترتفع



فترى إسريرهم مسترعرفاً  
 بشمولٍ صفقت من ماءشن<sup>(١)</sup>  
 غلوة حتى يميلوا أضلاً  
 مثل ما ميل باصحاب الوشن  
 ثم راحوا مغرب الشمس الى  
 قُطْفِ المشي ، قليلات الحزن

نسخة طبق الأصل عن سابقاتها : ابيات ايقاعية  
 نغنى بسهولة على آلات العزف البدائية ، كالطنبور  
 والدف والصنج ، وقد يكفي وحده عشوائياً . . تساعد  
 على ايقاف انسياب النغم : قافية مرناة مشددة ساكنة  
 الحرف الأخير ، متحركة الروي ، على وزن فَعْلُ  
 (حركاتان فكون زره) من المتقارب ايضا . وتراه  
 يحدد سير الايقاع تحليداً مقصودا اذ يربط القافية كلها  
 بالنوطة الموسيقية ، بتعبير اليوم ، وباللازمة ، بتعبيرهم .  
 وهي هنا : صوتٌ وَنَ . . التي لا معنى لها سوى انها  
 ضابط حركي فقط . فاذا كانت القافية العربية ، قبل  
 الأعراس وفي ايامه ويعلما «خطا مسكربا» كما يقول  
 احد النقاد المعاصرين ، او كلاما مسجماً بلغ ذروته ،

(١) مسترعرفاً بالشمول : مليء بالخمرة المبردة .

كما نقول نحن .. فان قصائد «الأعشى وبالأخص  
 خمريات ما هي سوى «خبط وتري» ان صح التعبير  
 ودوزنة عود، وإيقاع دف، وضربة صنج بالأصبع !  
 ضربة منخفضة حتى «يطيع اللحن»، ويتمكن المغني  
 من الانطلاق، كما يقول: فاذا ما غُض من صوتهما  
 ما أطاع اللحنُ غننا مُغْن. كما يلاحظ أن قلابة صدور  
 الايلات: الثاني والثالث والرابع من هذه الخمرية مؤلفة  
 من لفظة: صوتهما، في البيت الثاني، وصوته، في  
 الثالث، وصوتهما في الرابع.. وكأنه قصد الى ذلك  
 قصدا، لئتم تجلوب موسيقى الداخل مع موسيقى  
 الخارج، في القصيدة، الانشودة.. او المعزوفة..  
 وكعادته ايضا مع النداء ينطلق الأعشى في بزل  
 الدن، لشرب هو والرفاق صفوه حتى الثمالة.. منادين  
 همرا بصوت واحد: ان أحسنت، على ما غنى وما  
 سيغني، يقولونها «مناجاة» ورفع كؤوس! انها عادة  
 قديمة معروفة لدى المعاقرين اقتبسوها عن الفرس  
 والرومان كايبرا عن كابر.. وها هو الأعشى يشير اليها  
 بقوله: «فناجوه بدن» هؤلاء الرفاق متحضرون  
 اسخياء: «متألف اعانوا مالهم».. لغناء، وللعب  
 وأذن «لا كأولئك الاغنياء الاشحاء (من حرب

الصحراء ؟ ) الذين يهينون انفسهم من اجل الحرص  
والشح ، فلا يستمتعون بلذياتهم ، فيبرهنون على غباء  
مطلق ، وجلافة بدوية رعناء ..

انها اشارة بعيدة ، رَمَز اليها الشاعرُ بكلمةٍ واحدة :  
متأليفٌ أهانوا مالهم .. فعرفنا قصده ، وكَم في قصده  
من مغامز !

ويسترسل الشاعر ، بعد هذا الغمز ، في وصف  
ظاهري لهؤلاء الندامي واباريقهم التي لا ترى الا  
مسترفةً مترعةً بالخمرة المثلجة .. رغم أنهم يهلون  
منها بين اللحظة واللحظة ، وهم ياكرونها مصبيين ،  
ويميلون عليها أصلاً مفتيقين .. حتى اذا غابت الشمس  
مشوا الى منازلهم بخطى وثيرةٍ، قليلات الحزن ..  
على حد اشاوته ..

هذا المجلس الخمري يبدو انه نهاري ، وكان  
هؤلاء لا عمل لهم، في ليل او نهار، سوى معاورة  
الخمرة .. الا اذا كانت المعاورة بحد ذاتها عملاً ، في  
ظنهم ، كما سيفعل التلميذ « الشاطر » ابو نواس هو  
وعصابتة اذا كانوا لا يُرون إلا « متقلين بأوزارهم  
وزواملهم » بين الكوفة وبغداد ، او بين بغداد وارباضها

واديها « مطبقين باخلاص للمستور النواصي القاتل في  
رأس مواده :

وما الغرم الا ان تراني صاحبا  
وما الغنم الا أن يتعتني الكرا

وتتواتر خمريات الاعشى على نسق واحد ونفس  
قصصي في بدايات لهائه ومطالع حوار ، لكنه يرمض  
لما يمد من قصص خمري متكامل سيظهر على يد  
النواصي وفي بعض الموشحات . قال محاور رفيقا له  
ابيض :

وابيض مختلط بالكرا  
م ، لا يثغلي لانفلاها<sup>(١)</sup>  
اتاني يؤامرني في الثمو  
ل ، ليلا ، فقلت له فادها  
ارحنا بباكر جد الصبو  
ح ، قبل الثموس وحسادهما<sup>(٢)</sup>

---

(١) لا يثغلي : أي لا يتأخر ، إذا غدت الخمرة فيظلمر بالنوم كي لا  
يشترى لرفقه .

(٢) أي نشوب غلوة قبل أن يرقنا التمس ليهلوتنا .

فقمنا ، ولما يصح ديكننا  
 الى جبونة عند حدادها<sup>(١)</sup>  
 تنخلها في بكار القطا  
 ف ، أزيرق آمن إكسادها<sup>(٢)</sup>  
 فقلنا له : هذه هاتها  
 بلعاء ، في جبل مقتادها<sup>(٣)</sup>  
 فقال : نزيدونني تسعة  
 وليست بعدل لأندادها  
 فقلنا لمنصفنا : اعطه  
 فلما رأى خضر شهيدها  
 اضاء مفلته بالسرا  
 ج ، والليل غامر جدادها<sup>(٤)</sup>  
 دراهمنا كلها جيد  
 فلا تحبيننا بتقادها

---

(١) الجونة : الخمرة السوداء إلى حمرة خفية ، حدادها : صاحبها الذي  
 يحد الناس عنها إلا يمشن .  
 (٢) تنخلها : اختلجها . أزيرق : اراد به صاحبها . وصفه بالأبيض ثم  
 بالأزرق . ولعله يقصد الرجل الرومي الأبيض ذا العينين الزرقاوين . .  
 (٣) لعاء : يضل ، في جبل مقتادها : في جبل ساقطها .  
 (٤) المظلة : الخيل . الجناد : الهُف الذي يتن في أسفل النسيج .  
 والمقصود بالخصام بين شقتي المظلة .



فقام ، فصب لنا قهوة  
تسكننا بعد إرعادها  
كمينا تكشف عن حميرة  
إذا صرحت بعد إزيعها<sup>(١)</sup>  
كحوصلة الرأل في ذنها  
إذا صويت بعد إقمادها<sup>(٢)</sup>  
فجال علينا بأبرقه  
مُخَضَّبٌ كَفٍ بفرصاتها<sup>(٣)</sup>  
لقوم فكانوا هم المنفدين  
نَ شرايهم قبل انقلاها  
فرحنا ننغمنا نشوة  
تجوؤ بنا بعد قُصادها  
اصبح واضعاً ، بعد كل هذه المطالع الخمرية ،  
او الغزلية - الخمرية ، ان الأعرشي يقف في نقطة

(١) كميث : حمراء ضاربة إلى السواد . فلما روت بعد الإزيع فالتكشفت  
عنها الرطوبة ، أو إذا لرجت ، بدت حمراء .

(٢) صغير النعام . شبه تجمعها بحوصلة الرأل . القمادها : طول بقائها في  
المدن . . .

(٣) الفرصاد : ثمر التوت .

أعلت هذه التفسير عن الروائع رقم ٣١ ص ٥٧ وما بعدها .

وسطى ، بين النمطية التخليدية والتجديد ، بين الابداع والاتباع . ففي مطالعه الغزلية كان ، كأبي شاعر جاهلي ، يوطيء للمدح أو القبح ، بغزل مصطنع لا ظل فيه لذات الشاعر ، ولا تعبير عن حالة حب ، ما خلا قلة قليلة منهم ، عانت من الحب واكتوت بناره ، او جُلت بفغاره ، فبثته في اشعارها ، كما رى القيس وعسرة وامثالهما . فهذا زهير ، على وقاره ، لا يجد مندوحة من التغزل ، في مطلع معلقته ، فيتغزل بزوجته « أم اوفى » والحاتث بن حلزة ، الشيخ الأشمط الابرص ، يتغزل بصاحبتة « اسماء » ا

وهكذا كان لا بد من هذه التحويلة بضمونها على جبين قصائدهم ومعلقاتهم ، وقاية لها ، ربما ، من حسد الحاسدين من الجن والانس ا حتى جاء الأعشى فمزج بين غزليات مصطنعة وخمريات مبتدعة . وحين نقول مبتدعة نعني ما نقول . اذ لا شك في ان الاعشى ، كما عرفنا من سيرة حياته ، على قلة اخبارها ، كان لا يمدح احداً ، كبيراً او صغيراً ، الا من اجل مالٍ ينفقه على الخمرة والرفق ، حتى اذا وصف ذلك ، ووطأ به واكثر منه ، كان صادقاً ، لأنه يعبر عن حالة يعيشها

يوميًا . وإذا اتهم بأنه كان يلجأ الى « صنع » خمريته  
 « ليوطىء بها لملحه » ، فيصبح الوصف الخمري ، في  
 نظر التهمم « منهجا ادبياً يكاد يسير عليه دون دافع  
 حاضر او ذكرى مخصوصة <sup>(١)</sup> . . ففي هذا الاتهام  
 شيء من الانصاف ، وشيء من التجني على الشاعر .  
 اما الانصاف فهو انه نهج نهجاً جديداً في التوسط  
 بالخمرة ، بدل الغزلية ، تخلصاً وانتقالاً الى ما يريد من  
 المدح او الفخر او الهجاء . اما التجني ففي قول  
 صاحب الروائع ، ان ذلك النهج كان « للتوسع الشعري  
 دون دافع حاضر او ذكرى مخصوصة » . . كما كان  
 الشعراء ( قبله ) « يوطئون بالغزل دون ان يشعروا  
 بمفاهيمه » . .

والحقيقة الخالصة ، في نظري ، هي ان هذا  
 الشاعر الذي ظل طوال شبابه ، وحتى في شبخوته ،  
 تقطر الخمرة من اردائه فتغسل اردائه . . وبلغ من حبه  
 لها ولمجالسها ان اوصى بأن تهرق على ترابه في  
 ضريحه ! وربما قُتل ولم يُسلم من اجلها . . هذا  
 الشاعر لا يمكن ان يُتهم بأن خمريته - المطالع كانت

(١) انظر : الروائع ولم ٣٦ ص ٥٦ .

نهجاً ادبياً وحسب ، وانه حين يقول خمرة ، وإن في  
 معرض المدح ، لا يقولها عن احساس صادق بمفاعيل  
 الخمرة .. فالخمرة التي تجري في دمه وكيانه لا بد ان  
 تجري في بيانه .. نحن لا نملك تاريخ اللحظة التي  
 قال فيها هاتيك الخمريات لكي نتأكد من انسه  
 كان خارجاً لتوه ، من « الحانوت » لكننا نملك شيئاً  
 واحداً هو هذا النفس الأعشوي في الخمرة ، وذلك  
 الجو الحميم الذي يشيعه في « المجلس » ، وتلك  
 « الخبرة » بالخمرة ومذاقها ووصافها ومفاعيلها .  
 صحيح انه كرر نفسه في اكثر خمرياته ، وكان متشابه  
 الارصاف والصفات ، مادي التشايبه والصور ، وانه لم  
 يستقل بالخمرة ، فلم يجعل منها فناً قائماً بذاته ..  
 إلا انه كان على الأقل ، هو نفسه ، ولم يكن غيره ،  
 في خمرياته .. كان اصيلاً فيها ومبدعاً ومتحضرًا ،  
 وهذا حُسنه .. كان كلما وقف على امير او ملك او  
 صعلوك ، يقف اولاً على الخمرة : اميرته الاولى يستلهم  
 منها ايات المدح وصفات المملوح ، ويتوقف طويلاً ،  
 حتى ليكاد ينسى ما هو بصلته من مديح وممدوحين .  
 فؤادهم مملوحوه : قيس بن معدني كرد ، ويزيد بن عبد  
 المدان وعبد المسيح يصيحون ، في آخر خمريته :

ألم تنه نفسك عما بها  
بلى ، عاندا بعض إطرابها

وكانهم غير معنيين بالملح لطول ما توقف عند  
خمرته ونشوته وجارته ولتمتعومعصرته وفلسفته .. فهل  
هذا كله « منهج ادبي » وحسب ؟ أم قطع كيان ثخوب  
على وهج الذكريات فتبعث المعاناة والمعاناة القديمة  
حيّة حارة وكأنها بنت ساحتها ؟

وحين نطلع على سيرة شاعر ما ، من شعره ، ونفهم  
نفسه من خلاله ، كما هو شأننا مع ابن الرومي مثلا ،  
يكون هذا الشعر مرآة صادقة تعكس حقيقة الشاعر في  
شئ حالته ، ويكون الشاعر مترجما امنا له ولها  
عبرة ..

ثم ان هؤلاء الذين وطأ الأعشى بالخمر لمدحهم ،  
كانوا هم انفسهم معتقي خمرة ، وبالعيبها ، وشاربيها  
وباذلي دنائها- للشعراء والأصدقاء : بما قرأها معهم ،  
بمدحهم بصفاتها وبمفاعيلها ، او يجعل منهم وسيلة  
اليها ، والبقاء معها حين يعود ، ومعارقتها بما يجود به  
هؤلاء عليه . فالخمرية الاعشوية اذن ، ليست مجرد  
نهج او مطلع او بديل عن الغزل المصطنع ، او مزيج

منهما معا .. انها ، في الحقيقة ، تعبير عن حالة دائمة  
كان يعيشها الشاعر حتى في صميم مواقف الملاح او  
الفخراو الهجاء ، فهي هاجسه ، وهي غايته ، وما  
الباقى الا وسائل ..

ويعد ما رأيك في هذه الاقصودة الحوارية التي  
بين ايدينا الآن : وايض مختلط بالكرام ؟ هل هي  
مجرد مطلع ، توطئة لملاح سلامة ذي فائق بن زيد بن  
مُرّة الحميري ، ام هي وقفة امام ذكريات لفترة من  
فترات العمر الزاهية المباهية بكل اشياء المتعة واللذة  
واللهو؟ لا إخالك بعد التملّي ، الا مثلي ، معجباً بهذا  
التجلي في الاستدكار واسترجاع حادثة عزيزة على قلب  
الشاعر، هي حادثة دعوة ذلك الصديق الابيض له الى  
تناول كأس في حانة ليلية ، وما جرى بينهما وبين  
صاحب الحانة من حوار ومساومة على نوع الخمرة  
وسعرها ، وكيف انه ، لما اطمان اليهما :

انضاء مظننه بالسراج  
والليل غامر جُدادها

فانكشفت له على ضوء السراج قيمة دراهمها  
الجيدة .. وتلك النقطة في تصوير تضاييق الأعشى

ومضيفه ووصيفه حين جسههم حداد الخمرة عنه دخول  
الحانة إلا بعد التأكد من المبلغ المدفوع ، بقوله :

دراهمنا كلها جيد  
فلا تحببنا بسنقادها

ثم يدخلون فيلادر الحداد بصب قهوة دهرية ترعد  
وتزبد في الكأس لكنها في جوف معاقريها تُسكنة  
لهياجهم وفتتهم وتوتر اعصابهم :

فقام وصب لنا قهوة  
نُسكننا بعد ارصادها ..

ومضي الأعشى في وصفه المادي الدقيق لتلك  
القهوة - الكمية التي تتكشف عن حمرة داكنة اذا  
روقت بعد الإزباد ذهبت عنها رغوتها او اوزبُدُها ، اما  
اذا مُزجت ظهرت حمراء نبيذية ولعلها التبدل نفسه ، او  
تلك الخمرة التي كانت معروفة في الجاهلية والمصنوعة  
من خلاصة التمر . فهي اذن : كمية كحوصلة صغير  
النعام ( الرأل ) ويجب ان نلاحظ الدقة في المقابلة بين  
اللوتين الداكنين ، مع ان الأعشى كان لا يرى جيدا او  
هو كالأعمى ! لكن الشعراء دائما يرون ببيصائرهم لا

بأبصارهم .. وبما يختزنون في ذواكرهم من ملامح  
الأشياء وسمات الأشخاص . وما رأيك بهذه الصورة  
المعقدة لبشار الاعمى حيث يصف معركة ليلية :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا  
وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه  
واعمى المعرة في وصفه ليلة ساهرة :

ليأتي هذه عروس من الزنج  
عليها قللند من جُمان  
ناهيك بهوميروس وإلياذته !

ان الشعراء المبدعين لا يحتاجون الى عيون  
باصرة ، فكل ناحية من كيانهم تشع منها الف عين  
وعين .. لذلك هم يرون ما لا نرى ، ويحسون بما لا  
نحس .. هل نسينا ان في الشاعر جزءاً من الألوهية ١٩

ولا بد ، في نهاية كل مجلس احشوي ، ان يجول  
الساقى او الساقية بايرق الخمرة ، بعد الرقص والغناء  
والمنادمة ، وان يتميز من قنلة الاشحاء بمدح الكرماء  
من ممنوحيه اللين يستغلون الخمرة قبل ان تستفد  
دراهمهم ، وهم القادرون في الحالتين ..



ولا ننسى ايقاعية خمرياته كلها التي نظمها لتغنى  
بالصنج ، على الأقل ، وبلهوات المغنيات المجيدات  
على وقع العود والمزمار . وتعجبي ، هنا ، هذه  
الصورة للأعشى ورفيقه ، حين انتشوا فاصبحوا هم  
النغم مشيةً وتمليلاً :

فرحنا ننغمنا نشوةً  
تجور بنا بعد قُصَّادها ..

ولا يفوتنا ، أخيراً ، ان نلاحظ النفس القصصي  
الحواري الذي يسيطر على هذه الخمرية من اولها الى  
آخرها ، والتي ينتقل خلاله الأعشى برشاقة بين الخير  
والانشاء ، بين الغيبة والخطاب ، في « ديالوج » خفيف  
ومرح يلج به الى اعماق نفسية « الحداد » او صاحب  
الحانة ، تلك النفسية التجارية التي توسع في تحليلها  
تلحيد الأعشى ابو نواس في خمرياته الشهيرة .. تلك  
الخمريات التي تمتد جلورها لتصل بجلود الأعشى  
مع اعتبار فارق الزمن والحضارة .. ولكن الملامح  
والمزج والمزاج تبقى هي ابها عند الشاعرين ..

وتبقى ، بعد ، مسألة المعاناة والتجربة في الصنيع  
الشعري ، والصلق الفني والاخلاقي مدار اخذ ورد

حتى الآن، فهل يتحمّل الشاعر، أي شاعر، أن يمر  
بالتجربة أو معاناة الحالة التي يعبر عنها شعرياً ، وما هو  
معنى المعاناة ونوعية التجربة ؟ هل يمكن للشاعر أن  
يبدع في وصف حرب تحريرية ، مثلاً ، دون أن  
يخوضها أو يعايشها أو يعيشها ؟ أم يكفي أن يتمثلها في  
الضمير والكيان حتى إذا تأثر ببطولات أبطالها  
وبانتصاراتها ، أو انهزاماتها تفجر بالشعر وجاء بالرائع  
منه ؟ أم ماذا ؟

الواقع أن التجربة عماد كل إبداع فني ، فالشاعر  
المبدع هو صاحب التجربة أو المعاناة الخاصة . ويقدر  
ما يعبر بصلى وفن عن تجربته الذاتية بقدر ما يبدع  
ويغايّر . أما إذا عبر عن مجموعة التجارب المشتركة  
والمتوارثة ، ولو بمهارة ، فسوف تفقد تجربته هذه  
حراوتها ، وأصالتها وتفردها ، فيقط في التقليد  
والمشابهة ، وجدلية المنطق العام ، ويهت إبداعه أو  
ينعدم .

تجربة الماضي كانت مشتركة ، بمعنى أنها  
تقليدية ، تشابهية ، وحين شدّ عنها بعض التجديليين  
والإبداعيين رموا بالغموض واتهموا بالسقوط والضلال .

ولا نزال ، نحن العرب ، الى الآن نقلق بالتهمة نفسها  
كل صاحب تجربة شخصية ، مغايوة ومبدعة .

اما بالنسبة الى تمثل الحروب الثورية مثلا ، دون  
الاشترك شخصياً فيها ، فهي تصور لحالات الآخرين  
وليست تصورا لحالة الشاعر ذاته ، وهي التزام بموقف  
سياسي انساني او قومي اكثر منه تعبيرا عن تجربة  
ذاتية ، محض ذاتية ، فيأتي التعبير عنها ضمن نطاق  
الشخصية العامة ، لا الشخص في الشاعر . ويتعبّر  
اوضح . ان التمثل حالة خارجية لنموذج جاهز ، يثير  
جوانب نفس الشاعر دون اعماقها . .

ثم ان التجربة ، بقدر ما يكون التعبير عنها بعيدا  
عن الصحو العقلي والجدلية والتفسير ، بقدر ما تكون  
عميقة الغور في ذات الشاعر ، حتى لكانها حالة مَرَضِيَّة  
لا يشفى منها صاحبها الا باكسير « الفن » والإفصاح  
عنها بالرمز البعيد والظلال والتهاول المدينة من تشابه  
وكتابات ورموز وكلمات موحية ومثيرة تبعث على التأمل  
والمشاركة . والشاعر المبدع هو ذلك الفنان الذي لا  
يفسر . . بل يستوحى ، ويؤثر ، ويشير ويحمل المعاني  
والحقائق اكثر مما يحملها اياه العقل . وهو الذي يعيد

بناء العالم بتجاوز واقعه العقلاني الرتيب وصياغته  
صياغة جديدة ، وحمل الانسان على اشتهاه مثل هذه  
الصياغة بدلا من تقبل العالم ومشاهدته كما هو . وذلك  
لا يكون من الشاعر الا بالانفعال العميق بالعالم واشيائه  
واثاره من ركوده ونسقيته ورتابته الى درجة الاستغزاز  
والتحلي والانعلاية !

اراني بعدتُ عن الأعمى وعن عصر الأعمى ..  
فهو شاعر جاهلي نمطي ، صاحب تجربة عامة اكثر منها  
خاصة . وتجربته هذه لم تكن معاناة بقدر ما كانت  
مباراقومباهة بشرب الخمرة والتفني باوصافها ومجالسها  
في شعره ، بحيث يقف معها ، اكثر من غيره ،  
ويستغرق فيها مدة اطول ، ثم يغادرها الى غيرها من  
فنون الشعر وموضوعاته واشخاصه . واذا كان قد تخطى  
الحالة العامة معها فلأنه امتثلها غاية لا وسيلة . فاذا ما  
غادرها في مطالع مذائحه فلكي يعود اليها في  
اواخرها ، او في ملحمة اخرى ..

فلا مغايرة في الشعر الجاهلي ، ولا ابداع ، الا  
في الشكل ، دون الجوهر ، وحين قست الحياة على  
صماليك الجاهلية ، مثلا ، ثاروا وغايروا ، لكنهم في

الشعر ، في شكل الشعر ، ظلوا نمطين تقليديين .  
والأعشى رفض مثلهم وغاير وظل مثلهم ، على  
السطح . . وإذا اعتبرناه مجددا ففي طريقة كتابة  
القصيدة وأنشادها : بدأها بنهج جديد هو التوطئة  
للمديح بالخمرة بدل الغزل أو كليهما معا ، ولم يكتب  
بأنشادها باللسان بل على الصنج ، معلناً ولادة القصيدة  
العربية المغننة قلباً وقالباً . .

فإذا ما اعتبرنا هذا التجديد تجرية ، فأننا لا يمكن  
ان نعتبره معاناة . او تجرية نفسية خاصة . . ولن نحمل  
الأعشى ، في هذا المجال أكثر مما يحتمل . يكفيه انه  
كشاعر خمري كان اقرب الشعراء الجاهليين إلينا ،  
اسلوبا وحضرة ، وروحا ، ولا ننسى معه عدي بن زيد  
وطرفة وامرء القيس وجزءاً هاما من عترة .

### نموذج اضافي :

أوردنا هذه الخمرة المقطوعة من قصيدة يمدح  
فيها اياس بن قبيصة الطائي لأن فيها «تلاعباً» في  
النهج الذي اتبعه الأعشى ، وهو الوصف الخمري  
الممزوج ، أحياناً بالغزل ، تمهيداً للمدح ، او الفخر .

اما هنا فانه يبدأ بالمديح والحكمة الاعتيادية ، ثم بالخمرة ومجلسها والندامى مستغرقاً ، كعادته ، في وصفها وذكر مفاعيلها ، وكأنه خارج لتوه من الحانة . قال بعد مطلع المدح الذي استغرق ثلاثين بيتاً :

وشمولر تحبيب العين ، . اذا

صفقت ، وردفتها نَوَّرَ اللَّبَحُ<sup>(١)</sup>

مثلَ دَنِي المسك ذلك رِيحُها

صبها السلي ، اذا قبل نَوَّحُ<sup>(٢)</sup>

ذاتِ غُرورٍ ما تبالي ، يومها

غرف الابريق منها والقلع

واذا ما الراح فيها ازيلت

افلُ الإرياذ فيها وامتنع<sup>(٣)</sup>

واذا مكوَّنها صافته

جانباه ، كر فيها فبح<sup>(٤)</sup>

(١) النَّوَّرُ : الزهر . اللَّبَحُ : نية تشبه الشقاق .

(٢) ذَاكَ الْمَسْكُ . انتشرت رائحته . نَوَّحُ : لمر من نوحى . اسرع .

(٣) اَفْلُ : ذهب . اَمْتَنَعَ : ذهب . اراد أن هذه الخمرة غزيرة حتى إذا صب فيها الماء لازيلت دعت رغوئها .

(٤) الْمَكْوَلُ : على قول أبي عمرو بن العلاء : إنله من لغة يشرب به .

فترافقت بزجاج مُعَمَّل  
 يُخْلِفُ النَّازِحُ مِنْهَا مَا نَزَحُ<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زَقْنًا  
 طُلُقَ الْأَوْدَاجِ فِيهَا ، فَاتَسْفَحُ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَسِيحُ مِيلَانُ صَوِيهِ  
 وَهُوَ تَسِيحٌ مِنَ الرَّاحِ . مِسْحُ<sup>(٣)</sup>  
 نَحَسِبُ الزَّقْنَ لَدَيْهَا مُتَنَدًا  
 حَبْشِيَا نَامَ عَمْدًا فَاتَبَطَّحَ  
 وَلَقَدْ اغْدُو عَلَى نَدْمَانِهَا  
 وَغَدَا عِنْدِي عَلَيْهَا ، وَاصْطَبَّحَ  
 وَمَغْنِي ، كَلِمَا قَبِيلَ لَهُ :  
 أَسْمِيعِ الثَّرَبَ ، تَغْنِي فَصْدَحَ  
 وَثَنِي الْكَفَّ عَلَى ذِي عَتَبٍ  
 يَصِلُ الصَّوْتُ بِذِي زَيْرٍ أَبَحَ  
 لِي ثِيَابَ كَمَصَابِيحِ الدَّجَى  
 ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ ، وَالْفَرَحُ

(١) التنازع : العلف منها الضمر .

(٢) طُلُقَ الْأَوْدَاجِ : أي مطول الثمري اتسفع : ساد .

(٣) المِسْحُ : السائل . نَبِيحُهُ تَجْعَلُهُ يَسِيحُ يَسِيلُ .

وَجُمِعَ الْأَعْلَامُ فِي مَجْلِسِهِمْ  
 كُلَّمَا كَلَبَ مِنَ النَّاسِ نَبِيحٌ  
 لَا يَشْعُونَ عَلَى الثَّمَالِ ، وَمَا  
 عَسَوْدُوا فِي الْحَيِّ تَصَرَّازَ اللَّفْحِ<sup>(١)</sup>  
 فَتَرَى الشَّرْبَ تَسَاوِي يُطْحَمُوا  
 مَثَلٌ مَا مُلَّتْ نَصَاحَاتُ الرُّبْعِ<sup>(٢)</sup>  
 بِسِمَنِ مَغْلُوبٍ تَلِيلُ غَنَمٍ  
 وَتَحْلُولِ الرُّجُلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحِ<sup>(٣)</sup>  
 ذَاكَ دَهْرٌ لِنَاسٍ قَدْ مَضُوا  
 وَلِهَذَا النَّاسُ دَهْرٌ قَدْ مَنَحَ ا  
 ثُمَّ يَخْتَمُهَا بِأَبْيَاتٍ فُخْرِيَةٍ يَتَبَاهَى فِيهَا بِمَتَابِهِ  
 وَاخْلَاقِهِ . فَهُوَ ، كَمَا يَقُولُ ، يَمْنَحُ أَهْدَاءَهُ « كَلْ مَا  
 يَحْسَمُ مِنْ دَاءِ الْكَشْحِ » أَوْ الْبُغْضَاءِ .. فَلَاذًا بِأَهْدَائِهِ  
 يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شِزْرًا ، مَطَاطِي الرُّؤُوسِ كَالْخَنَافِسِ ا « قَدْ

- 
- (١) اللَّفْحُ ج لَفَحَ : التَّلَقَّى الْحُلُوبِ . أَرَادَ ابْنُ عَزَّاءَ الشَّبَابَ لِيُؤَا رَحِمَانِ  
 لِيَتَوَدَّوْا عِزَّ النِّيَاقِ ، أَوْ مِمَّا لَا يَصْرُونَ تَقْلَهُمْ بِخَلِّ بَالِيَاتِهَا ..  
 (٢) نَصَحَاتُ ج نَصَحَ وَهُوَ الْحِيلُ : الرُّبْعُ : الْقُرْدَةُ . أَرَادَ أَنَّهُمْ تُضَرَّعُونَ  
 مَمْدُوحُونَ مِنَ السُّكْرِ كَالْحَبَالِ .  
 (٣) تَلِيلٌ : صَرِيحٌ . تَحْلُولُ الرُّجُلِ : لَيْ أَلَّ رَجُلَهُ لَا تَعِيَتْ لِي الْقِيَامَ وَذَلِكَ  
 مِنْ سَكْرِ ، لَا مِنْ كَسَحٍ أَوْ خَرَجٍ .



بنى اللؤم عليهم بيته « وهي صورة موفقة جاء في شكل  
كتابة تجسدية ، حين انسن اللؤم وجعله يني على  
هؤلاء بيتاً لهو قيراً لهم ..

بدأ الاعشى خمريته وهذه لحظة تصورهما « شمولاً »  
تتمايل حين تزيد وتنفور ، كشقائق النعمان في لونها  
الاحمر الادكن وتخاليلها المدلل ، وكالمسك او قارورة  
السطيب يندلق عطرها حين تفتح وتستريح الكؤوس  
بها ، فيدور بها الساقى او الساقية فور استدعائه او  
استدعائها . انها خمرة غالية الثمن لانها عتقت في دن  
دهري اسود وسبح ، يظل ممثلاً مهما اغترفت منه  
الاباريق والاقداح .. وحين تقدم مُصْفَقَة بالماء تطغى  
على الماء فيذهب الزبد جُفَاء ، واما ما ينفع الندامى  
فيمكث في الحلق والجوف والكيان .

ويكاد الاعشى لا يأتي على ذكر الخمرة الا ليذكر  
معها رفاق شرابه اولئك الندامى المترفين المتحضرين  
المنوهجين كمصاييح الدجى ، الراجحين عقولا ،  
المهلبين اخلاقا وأدب شراب ، المتفلقين اموالهم عن  
سعة واربعة ، لا يابسون للوم لائم أو نباحه وهم ليسوا  
اجلافاً ولا رعياناً ليتعودوا صر انداء نياقهم بخلأً بالبانها .

وينطلق المغني ، اثناء المعاقرة ، ضاربا على اوتار عوده ، وينتهي مهرجان اللذة وعرام النشوة بانبطاح هؤلاء الكرام الميامين على ارض الحانة وكأنهم الحبال الممدودة ، بعد ان خارت قواهم ولم تسعفهم ارجلهم ، لا عن كساح او شلل بل عن انتشاء ولذة وثمل ..

ذلك هو دينن الاعشى ورفاقه ، او هكذا تصور نفسه معهم ومع الخمرة . وحين الح على ذلك فكانه يصور لنا جانبا كبيرا من الحياة : تناح اللذة ، في هذه الدنيا ، لانس فيخترفون منها ، ما استطاعوا ، ثم يذهبون ، ثم يأتي غيرهم فيهتبلون مثلهم الفرصة اولا يهتبلون .. وهكذا تمر الحياة ويمر الأحياء الى ابد الأبدنين ودهر الداهرين ..

ذلك هو السياق العام لهذه الخمرية ، وتلك هي معانيها وملاحمها ، ومنها نقف ، كما وقفنا في الخمريات السابقة على تطور هام لم نعهده في خمريات من تقدموه ، اذا جاز لنا ان نسميها خمريات متكاملة ، والحقيقة انها كانت شذرات مبعثرة مبثوثة في نضاعيف المعلقات والقصائد . ولم تأخذ الخمرية سمتها وقوامها فتصبح جزءا هاما من القصيدة الجاهلية

الا على بدالاعشى الذي وان لم يجعل منها فناً مستقلاً ، الا انه جعلها لوحة متكاملة الخطوط والتهاويل بين لوحات اخرى في القصيدة الواحدة . فوقف بامتياز بين لوحتين : اللوحة الجاهلية المشوشة المضطربة واللوحة المباسية المتكاملة . بل ان النواصي الكبير ما كان كبيراً ، ربما ، لولا هذا النواصي الجاهلي الصغير والفضل للمتقدم دائماً .. ولو فاقه المتأخر ..

ولا داعي ، هنا ، لتخصيص كل بيت وكل صورة في هذه الخمرة ، فهي في كل جزئياتها وتفصيلاتها نسخة طبق الاصل عن اية خمرة أهشوية ، لها نفس الصفات والسمات والنفس والنفسية . يضطرب فيها الاعشى ، كما هو دائماً ، بين مادته الجاهلية وصورة الحسية الناجمة عن المشاهدات البصرية لا « البصائرية » اذا صح القول ، فلا يرقى الى التجريد والأنسنة . ولا الى التحليل والتحليل والاسهاب وان كانت له مطولات ، الا انها تبقى في نطاق المحدود والبصير نسبياً .. اطول مطولة عنده لا تتجاوز الستين او السبعين بيتاً ..

فهذه مطولته او معلقته : ودع هريرة لا تتجاوز

السنّة والستين بيتا ، والمعلقة الثانية ، التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال

وسؤالي ، فهل ترد سؤالي ؟

لا تتعدى الخمسة والسبعين . ونحن حين نقف  
عند العدد ، فليس ذلك ايمانا منا بقيمة الكثرة في  
الشعر ، بل لنفي اعتقاد البعض أن الاعشى كان اطول  
الشعراء نفسا .. كان فقط اطولهم نفسا مع الخمرة  
والباقي هم يماثلونه بل يفوقونه ..

واذا توقفتنا قليلا عند مطولته الاولى :- ودع هريرة ،  
فلكي يبرهن ان هذا التوقف ليس عبثا اومضيعة للوقت ،  
بل ان فيها ما يستحق الوقوف عنده :

اولا : لأنها جامعة لشتى فنون الشعر الجاهلي في  
غزل وخمرة وذكر اسفار وتهديد وفخر ووصف مظاهر  
الطبيعة وغزارة معلومات تاريخية وجغرافية وملوك وابطال  
وحكمة ..

ثانياً : وضوحها وانسياب الوصف فيها  
انسيابا ، وتدفق معاني الفخر والتهديد والخمرة تدفقا

« شلاشيليا » بات معروفا<sup>(١)</sup> وخلوها من وحشي الكلام  
وغريه في كثير من اياتها . حتى كأنها لشاعر  
اسلامي .

ثالثاً : تعمق فيها الاعشى في وصف حالات الحب  
فبدأ وكأنه عالم نفسي خبير بشؤون المرأة ونفسيتها حين  
تحب وحين تكره وحين ترجع بين الحالتين . وهذا  
دليل على صفاء ذهن الشاعر ، ودقة احساسه ومعاناته  
الطويلة مع نوع من نساء الحانات كهريرة مثلاً . فإذا ما  
وقف امامها واصفا او مناجيا او شاكيا وقف وقفة المخير  
المجرب ..

رابعاً : صراحته وصدقته وواقعيته . فلا نراه يتورع  
عن المصارحة بذكر حالته ، كما هي ، من عشا  
بصره ، وموه حظه مع الدمر ومعها . مع أنه اهل  
للحُب ، كما يقول :

أأن رأت رجلاً احشى اضر به  
ريب المنون ، ودمر مُقْبِذُ خبِلُ

---

(١) انظر تحليلنا للمقطع الخمري الذي تضمنته هذه المعلقة . وقد ورد في  
نصل : غزليات الاعشى صفحة ٥٧ .

صلت هريرة عنا ما تكلمنا  
 جهلاً بأب خليل . حبلى من نصل ١٩(١)  
 اما عمق معرفته في نفسية المرأة وحالات الحب ،  
 فقد اعطانا صورة رائعة وصحيحة في قوله :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا ، وَعَلَقْتُ رَجُلًا  
 غَيْرِي ، وَعَلَقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ(٢)  
 وعلمته فتاة ما يحاولها  
 ومن بني عمها ميت بها ، وَهَلْ(٣)

---

(١) جهلاً . . استغهام التكراري تعجبى ، معناه - من نصل إذا لم نصلنا ١٩ .  
 (٢) علقتها : احببتها . هذه العلاقة بين المحبين ، ونزوات المحبوبات  
 حيالها لا تزال شغل علماء النفس الشاغل وكبار الشعراء المرححين  
 العالميين ككوري وراسى وشكسبير وأمثالهم الذين برأ مسرحيتهم على  
 هذه الحقيقة : صراع عواطف المحبين وتقلبات لغواء المحبوبات  
 للتوصل إلى : راقعة وراسين « انثرومياك » التي قمنا بشرحها إلى  
 العربية ، والصادرة عن دار الكتاب اللبنانية بيروت ١٩٧٣ ط ٢ .  
 وعلاصة العقدة في هذه المسرحية امرأة تحب رجلاً يحب سواها  
 تحب سواه !

هرميون : بيرس « ٠ » انثرومياك « مكطور (زوجها يقتل) .  
 تملأ كما يقول الأعراس !  
 (٣) الوهل : الذهاب العقل .

وعلفتني اخيرى ، ما تلاثمني  
 فاجتمع الحب ، حُبَا كله تَبْلُ<sup>(١)</sup>  
 فكلنا مضرم يهلي بصاحبه  
 ناء ودانٍ ومخبولٌ ومُخْتَبِلٌ<sup>(٢)</sup>  
 ووجه الروعة والصحة في هذه الأبيات ، انها  
 صادرة عن شاعر جرب كل انواع الحب العملي .. كما  
 يقول في مكان آخر:

واقررت عيني من السفانيا  
 ت إما نكاحاً ، وإما أَرْزًا (من الزن)

وكما نقول سيرته التي بداها عشقاً ، ومعاقرة ،  
 وزِنَى وفجورا ! شيمة سلفه امرىء القيس ! وانتهى  
 العمر ذكريات ، ولا توبة ، وآهات ، ولا معاقرة ،  
 وثمانين ، ولا إسلام ! ... فلا عجب ان يصور لنا  
 حالات المرأة ، مُحِبَّةً ومُخَيَّبَةً ، على هذا الشكل  
 الرائع والصحيح الذي لا يزال ، على مدى العصور ،

(١) تَبْلُ : كانه أصيب بِتَبْلٍ : من تَبَّلَ : ذهب بطله .

(٢) روى أبو عبيدة الشطر الأول مكثاً : « وكلنا هالقم في إثر صاحبه »  
 مخبول ومختبل : مضرم . هالقم . وفي رواية الأصمعي وأهلب . مخبول  
 ومحببل من المحبلة : أي كلنا مولق الروائع ٣١ من ٢٧ .

يثبت صحته ومصداقته ، وسيبقى كذلك ، ما دام هناك  
امرأة ، على وجه الأرض ، وما دام هناك جمال وحب  
وفيرة واعجاب ..

ونزداد إعجاباً بأبياته هذه ، لأنه استطاع ان يصور ،  
بحلمه الصافي ، تلك العلائق المشابكة ، بوضوح  
تام ، وترابية بارعة ، وهذا يعني تآلق الحقيقة في  
اعماله ، وترسبها في كيانه نتيجة ممارستها ، على  
أرض الواقع ، زماناً طويلاً ...

علقها عَرَضاً ، وعلقت رجلاً  
غيري وعلق اخرى غيرها الرجلُ

وتروع هذه الحقيقة مجنون ليلي فيهتف :

جننا بليلى ، وهي جُنت بغيرنا  
واخرى بنا مجنونة لا نريدها

ويأتي شاعر فرنسا المسرحي الشهير راسين Racine  
( ١٦٣٩ - ١٦٩٩ ) فيجعل من تشابك هذه العلائق  
وجود هذه الحقائق موضوع راقته : اندرومك .. ثم  
يأتي سيغمون فرويد ، فيقف مذهولاً امام روائع  
مسرحيات راسين ، وكورني وشكسبير ، التي تعالج هذه



العاطفة الخالدة في الانسان وتصارع الاهواء حولها ،  
بايات من الشعر المسرحي الكلاسيكي . فراح ، وقد  
اوحى له الكثير ، يفوس على اعماق اسبابها  
ومسيباتها .. فيكون علم النفس .. ثم ينبثق عنه علم  
الجنس وبواعثه واغراضه وأمراضه ..

ولا إخال الاعشى ، اذا ما بحث حيا اليوم ، إلا  
مصعوقاً ، اذ لن يصدق انه استطاع . وهو الشاعر  
الجاهلي البسيط ، ان يعبر عن هذه الحقائق الانسانية  
الخالدة والمعقدة ، بأبيات رائحة ، هي هذه التي بين  
ايدينا ، دون إعمال فكر .. بل دون ان يشعر .. ! مرة  
اخرى تبرز عظمة التلقائية احيانا ، وروعة الحفوية ،  
وصفاء الحمن !

### غزله :

قليلات هي المقطوعات ، بَلَّة الأبيات ، التي  
نحس فيها انه عاشق فعلا ، متيم بصدق . كل غزلياته  
مصطنعة داخلة في خمرياته مزوجة بها مُشكلة معها  
مدخلا الى المدح ، لا اكثر . لما المواقف التي ترجمها  
غزلا ، وحالات العشق او الحب الصحيح التي تحدث  
عنها فتكاد تكون معدومة . كل ما نقف عليه ، في

غزله ، انه كان شابا فاجراً يتحدثى المرأة - المعشوقة ،  
وهي من تلك الطبقة المعروفة التي لم يكن يهمها حب  
الأعشى وامثاله . عينت بها طبقة الإماماء وبنات الهوى  
والمحانات ... ها هو يقابل تحدثي هريرة<sup>(١)</sup> ومثيلاتها  
بتحدث آخر ، يغطي فيه «عشا بصر» بجواب تبريري  
واضح . يقول :

ودعي الذكر من عشائي ، فما يد  
ريك ما قوتي وما نصريفي !

مثل هذه « الهرة الصغيرة » لا ترى في الشاب الا  
جمال وجهه وعينه وقوامه ولحمته السوداء بصرف النظر  
عن قواه الاخرى .. لذا فهو يتحدثان بما تفهم وبما  
يهمها من القوى المادية : كقوة الفتك والممارسة ..  
دون ان يذكر لها ما هو عليه من النشاط الفكري  
والشاعرية والشهرة .. فلن يهمها ذلك في شيء !

اما اللواتي شبيب بهن في مطالع قصائده ،  
فكثيرات . ولم يشب انهن ، او بعضهن ، كن زوجاته

---

(١) هريرة : وتكنى أم خلود . هي قبة كانت لبشرير عمرو بن مَرْثَد ، او  
لأخيه حسان .

او معشوقاته .. كهريرة ، هند ، وليلى ، وقتلة ،  
وقتيلة ، رتيا ، ومهند ، وعلوية ، وسعاد ، وسعدى ،  
ومى ، وميثلة ، وسمية ، وزينب ... حتى ليكاد يذكر  
في كل قصيدة وكل مطلع اسماً جديداً لمعشوقة وهمية  
جديدة ... وقد يذكر في القصيدة الواحدة أكثر من  
اسم ، او ما كان يسمى عروس الشعر : فتارة هي  
سعاد ، فاذا بها ، في البيت الثاني سعدى ! الا اذا كان  
هذا من قبيل النجب لسعاد التي تصبح سعدى ! وتارة  
هي هند فاذا هي سلمى ! ومهما يكن ، فان الاعشى ،  
كان قادرا في غزلياته ، ان يوهنا ، بأنه ذلك العاشق  
المذنب . والشاعر المتهم .. لا شيء . الا أنه كان  
قادراً وبارعاً في معرفة صفات المرأة ، وخصائص  
انوثتها .. متمكناً من انتقاء المفردات اللغوية النادرة ،  
واضفاؤها على عروس شعره ، وعلى ذلك النوع من  
الحسنات ، حتى تبدو كل واحدة متين وكأنها عشيقته  
الوحيدة التي حان منها وهانت منه ...

الا ان براعته تلك محصورة في الوصف الخارجي  
والمادي للمرأة ، وذلك النوع من نساء الحوانيت ،  
كالساقية والقينة ، اللواتي لا يخلصن عادة ، للمعشور او  
النديم ، فهن يتقلدن ، مثله ، من نديم الى نديم ، ومن

## عشير الى عشير ..

كما سئرى أن الغزل عنده أن يخرج عن كونه  
توطئة او تمخضا الى المدح ، تماما كالخمرة . جرى  
فيه على سنن الاقلمين ، فلا نطمع بجديد عنده او  
ابداع ، اللهم الا بعض المفردات والصور التي عرفت  
له دون غيره ، وتلك البراعة الاعشوية في رسم قوام  
عروس شعره المتخيلة ، ونعت تمثال رائع لمعشوقاته  
الموهومات ، يكاد يلمس باليد لبروز تنوعاته ، ووضوح  
تفاصيله . حتى كأنه ذلك البارناسي<sup>(١)</sup> الذي يفرغ كل

---

(١) البارناسية (أو سلبب الفن للفن) : هي نوع من الصودة إلى  
الكلاسيكية ، بعد طغيان الرومنية في أوروبا . فقد أعلن البارناسيون  
أن الفن ليس تقبلاً وتلقافاً ، وليس استيعاقاً ورواء المشاعر والانفعالات  
الخاصة . وقالوا ، إن الفن مرند العلم في قصي الحقائق الثابتة ، وهو  
ليس نزوة . أن البارناسية استمادة للحقل ومنع للاضمحلال من التسلط  
والموسم .. الخ . اما الكلمة فمشتقة من اسم جبل يسمى *Parnasse*  
بفرنسا ، اتخذ ، اسطورياً ، مقراً للشعراء البارناسيين وملهماً لهم ،  
على طرف وادي «عبر» في جبالية العرب . وهو واد يسكنه الجن ،  
كما تخيلوا ، الذين يوحون للشعراء بما يقولون . (انظر : موسوعة  
لاروس الفرنسية ج ٨ ص ١٩٩ مادة بولناس) والبارناسيون جماعة من  
الأدباء والشعراء الفرنسيين ( ٤٠ شاعراً ) فلما ، ابتداء من سنة ١٨٦٠  
بنشر قصائدهم في مجلة : البارناسي المماصر *Le Parnasse*  
*Contemporain* - لتوسع أنظر كتاب : المطالع الأدبية الكبرى في -

فنه في منحوتته . حتى يستخرج لنا ، في قصائده ، تماثيل ، تماثيل للطبيعة البكر . وتهاويل ، تهاويل لأمواج البحر وسهول البر وسهوبه العذراء .. دون ان يرف ، لذلك البارناسي ، جفن ، او يتحرك له وجدان ! سوى اتساع الحذقة ، وسوى الريشة والدهن ، والكلمة - المفتاح ..

### منحوتة غزلية اعشوية :

قال في مطلع معلقته ، يصف هريرة :

غراء ، فرعاء ، مصقولٌ حوارضها  
 تمشي المومنا ، كما يمشي الوجي<sup>(١)</sup> الوجلُ  
 كأن مشيتها من بيت جاريتها  
 مرَّ السحابة ، لا ريث ، ولا غجلُ

= فرنسا ترجمة لويد انطونيوس ص ٣٦٠ ط ١ - ١٩٦٧ دار عويدات للنشر .

(١) غراء : يعضه ، واسعة الجبين : فرعاء : طويلة الفرع : شعر الرأس .  
 الحوارض : الأمثال التي بعد التثنية أي الرباعيات والأنتاب . الوجي :  
 الدلية التي تشكي حلقها ، الذي ألت قلمه من المشي حاليها .  
 الوجلُ : الوقع في الوحل .

تَسْمَعُ للحلي وسواساً ، اذا انصرفت  
 كما استعان بريح عِشْرِقٍ رَجُلٌ<sup>(١)</sup>  
 يكاد يصرعها ، لولا تشدُّعُها  
 اذا تقوم الى جاراتها ، الكَسَلُ  
 اذا تقوم يضرع الممسك اصورة  
 والزنيق السورد من لوانها شِمْلٌ<sup>(٢)</sup>  
 ما ووضة من رياض الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ  
 خضره جاد عليها مُنْبِلٌ هَبِلٌ  
 يضاحك الشمس منها كوكب شَرَقُ  
 مؤزَّرُ بنعم النبت ، مُكْهَلٌ<sup>(٣)</sup>  
 يوما ، باطِبٌ منها تُشَرُّ رالحة  
 ولا بأحسن منها ، اذ دنا الاصلُ  
 التمثال ، هنا ، منحوت من حَصَبٍ ودم وحياة .  
 والتمثيل البرناسية منحوتة من عصب الظليمة البكر ،

(١) الوسواس : الصوت . العِشْرِقُ كما يعرف الاصمعي : شجرة مقدار  
 ذراع لها اكمام فيها حب صفار اذا جفت لمزت بها الريح ، تحرك  
 الحَب . شبه صوت الحلي بنشقة على الحصى ..  
 (٢) اصورة . جمع صوار وهي الرالحة الطيبة . شِمْلٌ . شمل .  
 (٣) الكوكب : القنات السطيل . الشَّرْقُ : الرِّيان . مؤزَّر : لابس الزَّار  
 (الروائع رقم ٢٦ من ٢٦) .

ودمها الكامن في اشجارها كمون الحياة في عصب  
هريرة ! كما ان النحت واحد ، والوقفه ، امام التمثال ،  
واحدة ! والفارق هو الزمن وما بين الوهي البارناسي  
واللاوعي الاعشوي ! ها هي هريرة «تبرنس» عند  
الاعشى في صورة المشبه به التمثيلي الذي استغرق  
ثلاثة ايام هي :

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... حتى :  
يوما بأطيب منها نشر راحة ...

فلذا بالطبيعة تشارك في اكمال نحت الصورة ،  
واعتدال التمثال !

وليس من التمثل في شيء نسبة مثل هذه الصورة  
التي نحتها الاعشى لمعشوقته ، الى البرناسية  
الجاهلية ، اي الى المدرسة الاوسية التي تعتمد  
التصوير المادي للمشاهدات البصرية والتعقيد او  
التماذي في جزئياتها بواسطة التشبيه التمثيلي الاستغراقي  
الذي كثر عند النابغة واوس بن حجر والاعشى ثم  
الأخطل وأمثالهم .. ذلك لان الشاعر الجاهلي كان دقيق  
اللمحظ والملاحظة ، فلا يرتفع فوق الارض في تصويره  
وتصويره . ويقتصر لاصتقاً بالمشهد لا يدهمه حتى يأتي

على تفاصيله دون ان يفعل كثيرا به خاصة عند  
الايوسيين . والاعشى هنا ، في وصفه الخارجي والدقيق  
لهزته الصغيرة ، يبدو اوسيا او يرناسيا واضحا .

وتكاد منحوتاته البشرية تتشابه وتتوحد ، صفات ،  
وسمات ، لتوحد الخيال الذي صدرت عنه والشاعر  
الذي توهمها . صحيح ان معشوقاته متعددت  
الاسماء ، كما رأينا ، لكنهن ، في الحقيقة ، واحدة .  
فنحن اذن امام مثال واحد باسماء متعددة .

هذه سعاد بعد هزيمة تحمل نفس السمات ،  
وتجسد نفس الصفات او تكاد :

بسات سعاد وأمسى حبلى رابا  
واحدث الناي لي شوقا وأوصابا  
 واجمعت صرنا سعدى وهجرتنا  
لما رأت ان رأسي اليوم قد شابا  
ايام تجلولنا عن بارد رتل  
نخل نكهتها بالليل سبابا  
وجيد مغزلة تقرو نواجذها  
من يانع المرء ، ما احلولى وما طابا



وعين وحشية اغتت فارتقها  
 صوت الذئاب فاوت نحوه دابا  
 مركولة مثل دمع الرمل اسفلها  
 مكسوة من جمال الحسن جلبابا  
 تُميل جثلاً على المتنن ذا خصل  
 يحبو مواشطه مسكا وتطيابا  
 رعبوية ، فُتق ، خمصانة ، ربح  
 قد أُشربت مثل ماء الدر اشرابا الغ

فالاعشى يحمل في جعبته اللغوية الواسعة العديد  
 من المفردات والصفات ، المعنات منها والسهل ،  
 يوزعه على « عرائس شعره » يمينا وشمالا ، فلا يدعهن  
 الا وقد اكتملت صورتهم في ذهنه ونحت ريشته ..  
 وهي صورة معروفة للمرأة الجاهلية ، لم يأت فيها  
 الاعشى بجديد .. اللهم الا تلك المفردات الغريبة  
 المتزعة من القاموس الاعشوي الخاص والتي تدل على  
 تمكن الاعشى من لغته الجاهلية البدوية والحضرية على  
 السواء . فهيرية عنده وليلي وسعاد وقيا ومهند ، لسن  
 سوى نسخة مكررة عن فاطمة سلفه امرئ القيس ، او  
 عبلة عترة ، واسماء الخواث ومثيلاتهن من معشوقات

شعراء الجاهلية او عرائس شعرهم .. الفارق ، فقط ،  
في الاسماء وبعض التفاصيل والسمات .

اما الوجد واللوعة والحرقه وتوهج الصباية فقلما  
رأينا الاعشى يهتم بأظهارها في شعره . ذلك لأن فاقد  
الشيء لا يعطيه ، الا اذا كان قادراً على توهيم حالات  
الغرام ومن ثم تصويرها ووصفها على انها العشق  
والغرام ، وقطع الكيان تلوّب وجداً وصباية كما في  
القصيدة التالية :

نام الخلي ، ويت الليل مرتفقا  
ارعى النجوم عميداً مشبهاً ارقا  
اسهو لهمي ودائي ، فهي تُشهرني  
بانث بقلبي ، وامسى عندها خلقتا  
يا ليتها وجلت بي ما وجلت بها  
وكان حب ووجداداً ، فاتفقا

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها  
هل يشتني وامق ما لم يُصب رهقا  
صادت فؤادي بعيني مُغزلة خذلت  
ترعى أقرن غصيفاً طرفه خرقا

ويارد رَتلر ، عذب مذاقته  
 كأنما أُعِلُّ بالكافور ، واغْتَبَقَا  
 وجيداً دماء لم تُذَقِر فرائصها  
 ترعى الاراك تعاطى المردِّ والورقا  
 وكَقَلِر كالنفا ، مالت جوانبه  
 ليست من الزَّلِّ اوراكا وما انتظفا<sup>(١)</sup>  
 كأنها درة زهراء ، اخرجها  
 فواص دارين يخشى دونها الفرقا  
 قد رامها حججا مذ طُرُّ شاربه  
 حتى تسمع يرجوها وقد خفقا<sup>(٢)</sup>  
 لا النفس تؤنسه منها فيتركها  
 وقد رأى الرغب رأى العين واحترقا  
 ومارد من غُواة الجن يحرسها  
 ذو نيقة ، مستعد دونها ، ترقا  
 ليست له غفلة عنها بطيف بها  
 يخشى عليها سُرى السارين ، والسرقا  
 مَنْ نالها نالاً خُلدا لا انقطاع له  
 وما تمنى ، فاضمن ناعماً أنقا

(١) ليست من الزل اوراكا : ليست خيفة الوركين .

(٢) تسمع : هزم وشاغ .

تلك التي كلفتك النفس تأملها  
وما تعلقت الا الحينَ والحرقا  
لكن هذه الصبايات والمواجد قلما يقف عندها  
شاعرنا لأنها ليست صادرة من اعماقه ولا من معاناته ،  
وسرعان ما يعود الى ازميله وريشته ينحت ويلون باصباغ  
وتهاويل مأخوذة من حق واحد وقارورة واحدة . اليك  
هذا التمثال الكامل لقوام قتيلة احدى معشوقاته ، او  
عرائس شعره :

صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدما  
يكون لها مثل الأسير المُكبلِ  
لها قَلَم رِيا ، سباطُ بناتها  
قد اعتدلت في حن خَلق مبتلِ  
وساقان مار اللحم مورا عليهما  
الى منتهى خلخالها المتصلصلِ  
اذا التمسَتْ أُرْبَتاهما تسانلت  
لها الكف في رابٍ من الخلقِ مُقبِلِ  
الى هدف فيه ارتضاع ترى له  
من الحسن ظلا فوق خَلقٍ مُكْمَلِ

إذا انبطحت جانبي عن الأرض جنبها  
 وغوى بها رب كهاسية جُبَلِ (١)  
 إذا ما علاها فارس متبذل  
 فنعم فرأى الفارس المتبذل  
 ينوء بها بوم ، إذا ما تفضلت  
 توجب عرض الشرعي المغفل (٢)  
 روادفه تشي الرداء تساندت  
 إلى مثل دفن الرملة المتبذل  
 نهائ كفن البان ترجع ان مئت  
 ديب قفا البطحاء في كل منهل  
 وئديان كالرماطين ، وحدها  
 كجهد غزال غير أن لم يُعطل  
 وتضحك من غر الشاهما كأنه  
 ذرى اقحوان نبته لم يُفعل  
 تلالوها مثل اللجين ، كأنما  
 ترى مقلتي رئم ، ولو لم تكحل

(١) جبيل : قَلَح .

(٢) بوم : دلف . الشرعي المغفل : الثوب الواسع الفضفاض .

سجون برجاوين في حسن حجاب  
 وخذ اسيل واضح متهلل<sup>(١)</sup>  
 لها كبس ملساء ذات أيسرة  
 ونحر كفاتور الصريف الممثل<sup>(٢)</sup>  
 يجول وشاحاها على اخمصيهما  
 اذا انفلتت جالا عليها بجلجل  
 فقد كملت حساً فلا شيء فوقها  
 واني لذلّو قول بها متنخل  
 ... اذا لبست «شيدارة» ثم ابرقت  
 بمصمها، والشمس لما تزجل<sup>(٣)</sup>  
 وألوت بكف في سوار يزنيها  
 بنان كهراب الدمقس المفتل  
 رأيت الكريم ذا الجلالة رانياً  
 وقد طار لب المستحف المقلل  
 وقدما عبّد اليونان إلهة الجمال فينيس، والفينيقيون  
 عشتروت. . فلا أقل من أن يسجد ذلك والكريم ذو  
 الجلالة امام تمثال عشتروت الأعمى، ويطير له قلبه! وهنا  
 التمايز بين النحت التصويري وبين النحت الابداعي!

(١) سجون: من سجا يسجر سكن. برجاوان: واستان على صفا.

(٢) فاتور الصريف: بحوان الفضة.

(٣) شيدارة: غطاء للرأس كالوشاح أو الوشاح.

## هجائيات الاعشى:

يلو من هجائيات شاعرنا انه كان يحمل روحا  
هجائية وسعاً ، فيشتم ويلعن ، الا انه يظل خفيف  
الوطأة ، لا يصل الى درجة الفحش والافتداع .. كتابط  
شر مثلاً ، أو الخطيئة .. وهجؤه ، ان صحت نسبته ،  
او لم تصح ، يتناول القبيلة ، قال يهجو بني قميئة بن  
سعد بن مالك :

ان بني قميئة بن سعد  
كلهم لملصقي وعبيد  
ادنى لشرب من كلاب عقيد  
وهم اذل من كلاب عقيد  
يُغزَوْنَ بين وَيْرٍ وَقَدِ  
جَبْدَانُ بين عاجزٍ وَوَقَدِ  
ان يبصروا قبراً حليت العهد  
ينشوا فيه اختصار الخلد  
انقر فقد بلغت قعر اللحد  
وهامة وشقة من برْدِ

اذا صحت نسبة مثل هذا الهجاء الاخلاقي الى  
الاعشى يكون قد تجاوز حد التهكم الى السخرية

اللاذعة حين جرد بني قميئة مما يفتخر به الجاهلي وهي  
 السيادة ، فجعلهم أتباعاً ملصقين ، وعبيداً تابعين . .  
 ثم نزع عنهم صفة الانسانية فجعلهم كلاباً سائبة . . .  
 بل اذل من الكلاب السائبة . . وعاد فوزعهم بين عَجْزة  
 واوغاد . . « إن ابصروا قبرا حديث العهد » ينشونه  
 حتى يصلوا الى قعره فلا يجدون سوى عظام نخرة  
 وقطع كفن بالية !

فهر أي ارجع ان تكون هذه الارجوزة الهجائية من  
 صنع اسلاميين ارادوا بمثل هذا الشعر المنحول ان  
 يغلوا الصراع الذي قام « بين ربيعة واليمن على  
 مضر » <sup>(١)</sup> بقصد النيل من مضر التي غزت بالاسلام وعز  
 بها الاسلام ، بعد ان هجرت ربيعة اليمن ، كما يقول  
 طه حسين من مناعضة مضر بالاسلام وفيها النبوة  
 والخلافة <sup>(٢)</sup> .

وترى الاعشى ، اذا قسا ، يطمن في نسب  
 مهجوه ، وانتمائه ، ومكانته الاجتماعية ، وقلما نهش

---

(١) انظر : في الادب الجاهلي لطلح حسين ص ٢٩٩ طر المعروف بمصر  
 ١٩٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .



الأعراض والضحى ؛ كما فعل عنلما هجا عمرو بن  
ثعلبة بن الحارث القضاعي . قال :

بنو الشهر الحرام ، فليست منهم  
ولست من الكرام بني العُجَيدِ  
أو حين هجا شيبان بن شهاب الجعفري . قال ،  
بعد التوطئة بالخمرة والغزل كعادته :

ولقد علمت لتكرهم  
نُ الحربِ مِن إضرٍ وغارةٍ  
ولسوف يحبك المفيد  
في فتمنصر اعتصاره  
ولسوف تكلح للاند  
بِ كلمةٍ . غيرَ اختاره  
الى ان يقول :

ولقد علمتم حين يند  
سَبُّ كُلِّ حِي ذِي غضاره  
أنا وورثنا العز والـ  
مَجْدُ الموثَّلِ ذا السراة  
وورثتُ دهما دونكم  
واری حلونكم مُعارة

اذ انتمم بالليل سُرّاً  
قُ ، وصبح غَدِ سُراره  
فانت لا ترى في هذا الهجاء خبثاً ولا قذارة . بل  
هو اقرب الى اللم والتجريح ، منه الى الفحش  
والقذف ، يمازجه لون من ألوان الفخر والاستعلاء على  
مهاجوه وتمييزه مع قومه ، بالجبن في الحروب ، وقلة  
العقل ، والسرقة ...

وقد يفاضل بين سيدين من اسياد القبائل ، فيهجو  
الاول ، حين لم يُجره ، ويمدح الثاني حين اجاره ،  
حتى من الموت . وهي حادثة زعموا انها وقعت  
للأعشى مع علقمة بن علاثة ، الذي لم يجره ، وهامر بن  
الطفيل الذي اجاره (١) قال يهجو علقمة ويمدح عامرا :

علقمُ ، لا لستُ الى عامر  
الناقص الاوتار ، والواتر  
سدتُ بني الأحوص لم تغنهم  
وعامر ساد بني عامر  
ساد والفسى قومه سادة  
وكابرا سادوك عن كابر

(١) تقدم تفصيل الحادثة في فصل سابق من هذا الكتاب .

يا حجب الدهر، متى سُويَا؟  
 كم ضاحك من ذا ومن ساخر  
 فاقن حيلة أنت ضيعته  
 ما لك بعد الشيب من عاذر  
 حلقم لا تسفه ولا تجعلن  
 عرضك للوارد والصادر

الخ

وهما حلقة هذا، يهجاه نر، في مكان آخر.

قال:

أحلقم قد حكمتني فوجلتني  
 بكم عالماً على الحكومة فاعصا  
 كلا أبويكم كان فرعا دمامة  
 ولكنهم زلوا وأصبحت ناقصا  
 تبتون في المشى ملأ بطونكم  
 وجاراتكم غرتي يثن خمائلها  
 لكنه سرعان ما يميل مع طبعه إلى الدخابة  
 والتهكم. قال يهجو قوماً من وائل بن شرحبيل بن عمرو  
 بن مرثد:

لَا قَتْلَ فِي وَلَا بَسَاطَ  
 لَيْسَ أَوْانَ يُكَرِّهَ الْخِلَاطَ  
 بَنُو شَرْحَبِيلَ يَسُوْىَ بَسَاطَ  
 وَعَنْهُمْ ضَبِيعَةُ الْمَضْرَاطِ..  
 صَمَحَمَحُ مَجْرَبُ عَبَاطَ  
 وَوَالِلُ كَأَنَّهُ مُخَاطُ<sup>(١)</sup>  
 يَنْزِلُ عَنْ جِبْهَتِهِ الْأَمَاطَ

أو هذا الهجاء الضاحك الذي يساوي فيه بين  
 الهاجي والمهجور.

قال يهجو عمرو بن المنذر بن عبدان:

أُرَانِي وَعَمْرَأُ بَيْنَنَا قَقْ مَيْثِمُ  
 فَلَمْ يَيْقُ إِلَّا أَنْ أُجَنُّ وَيَكَلِّبَا..  
 كَلَانَا يِرَائِي، أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ  
 فَاعْزَيْتُ حَلَمِي، أَوْ هُوَ الْيَوْمَ أَغْزَمَا..

هذه الذخاية الضاحكة تنم عن روح مُجبة، غير

---

(١) صمصح: شليد.

حاققة، ولا شريفة، تصل به إلى درجة التهكم على  
نفسه، في صراحة مطلقة يصيب رذاذها صديقه الأصم،  
كما يصيب ما هو فيه من عشا. قال:

متى تقرنْ أصمٌ بحبلٍ أَعشى  
يُلْجَا في الضلالة والخسار  
فلست بمبصرٍ شيئاً يراه  
وليس سامعٌ مني حوارٍ..

وقد يشبه نفسه بالعمار. قال له صديقه قيس بن  
معد يكرب، بعد أن استمع إليه يمدحه في قصيدة  
دالية: إنك تسرق الشعر. فقال له الأعشى: قيدني في  
بيت حتى أقول لك شعرا. فحبسه وقيدته، فقال:

أزمتُ من آل لبلى ابتكارا  
وشئتُ على ذي هوى أن تُزارا  
وقيدني الشعرُ في بؤسِهِ  
كما قيد الأسراتُ الجمارا..

وما رأيك بشاعر يعترف بأن طلاقه لزوجته لم يكن  
بسبب تهديد أهلها له، بل بسبب تهديدها له بضربه  
على رأسه! اسمعه يصارحها ويصارحنا:

وييني فلان البين خير من العصا  
والأ تزال فوق رأسي بارقة  
ومنهم من روى البيت معكوساً:

وييني فلان البين خير من العصا  
والأ تزال فوق رأسك بارقة

ولكن المعنى الأول أصح لتم المفارقة، ويصبح  
الطلاق مبرراً من قبل الزوج المخذوع والمهدد  
بالضرب. وتأمل روح الدعابة في قوله:

وذوقي فتى قوم، فلاني ذائق  
فتاة أناس. مثل ما أنت ذائقة!!

كم يصبح الطلاق مثيراً للضحك والسخرية حين  
يخرج من شرعيته وجديته وغايته، إلى غايات أخرى:  
ليلوق غيرها وتلوق غيره!!!

وهكذا يمضي الأعراس في عبث وتهتكه ومجونه  
وظله الخفيف سادراً ومفايراً وسائراً في الزمن! ذلك لأنه  
قادر على الضحكاكنا. ومن كان كذلك يحق له أن  
يعتبر من «أطباء الإنسانية» على حد قول مولير

الفرنسي . وفن الإضحك فن صعب ، في حين ان فن الإيكاه فن سهل ، لأن كل ما حولنا وما فينا يشير البكاء والشفقة ، في نفوس كبار المفكرين والشعراء ، حتى ولو كانوا في صميم النعيم . ألم يقل المتنبي :

ذر العقل يشقى في النعيم بعقله  
واخرو الجهالة في الشقاوة بنعم ؟

فلذا جاء شاعر وابكانا ، في رسالة ، او مسرحية يكون قد جسد لنا مأساة ليست غريبة عنا ، مأساة يعيشها كل يوم . . كلما تأملنا في وجودنا : مبدئه ومنتهاه ، وفي عبثية هذا الوجود . . اما اذا استطاع شاعر او اديب ان يتشكنا من خضم كآبتنا وسوداء احزاننا بالبسمة ينتزعها من اعماقنا ، والضحكة من صميم قلوبنا ، يكون قد غير المقاييس وقلب الحقائق المرة للأشياء ، وأنسانا ، ولو الى هنيهات ، همتا المقيم ، وشقاءنا الدائم . . وسيله دائما الينا هو الملهة وقوامها التهكم ( اي عنصر الإضحك الساخر ) الذي يأخذ على عاتقه تحرير الانسان من سيطرة الآراء السائدة والافكار المتعارف عليها ، كما يتشل اللات من ضياعها وسط الجموع وطفيان المؤلف

والمعتاد... (١) .

ان الدور الايجابي للتهكم هو ان يعيد الفرد من جديد الى نفسه ، وان يخلق فيه اهتماماً بوجوده الاخلاقي ، فلا يمكن ان تكون حياة بشرية اصيلة بدون التهكم (٢) .

ولسنا هنا لنقول ان الاعشى هو ذلك الفيلسوف الصغير المتهكم الساخر . . . فلذلك تمحل واقتراء لا نريده لانفسنا ولا للاعشى . . . ولكنه استطراد ساقطنا اليه فكرة التهكم نعيمها للقائده ، وليس اكمالاً للبحث في خصائص الشاعر الهجائية . علماً بأن للتهكم بعداً فلسفياً يتمحور حول الذات والانا ، والحرية ، والزمن ، يجنر بالقارىء ان يعود اليه في مظانه من المراجع والابحاث الفلسفية الخاصة بفلسفة الضحك (٣) او: التهكم (٤) وما شابهها .

---

(١) للتفصيل انظر كتاب : مفهوم التهكم عند كيركجور - الرسالة التاسعة

عشرة - الحولية الرابعة - من جامعة الكويت ١٩٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤ وخاصة صفحة ٢٥ .

(٣) انظر كتاب فلسفة الضحك La Philosophie du rire ليرغون .

(٤) مفهوم التهكم Concept of irony عند كيركجور .

ترجمة الدكتور عبد الفتاح إمام الرسالة التاسعة عشرة - جامعة الكويت

- ١٩٨٣ .



## رفيقة سفره :

كانوا ثالثا متلازما : الأعشى والناقة والخمرة ، وما  
صداهم كان وسيلة لإغنائهم وراحتهم .. وقد وفى  
الأعشى نفسه حقها من المتعة والتمهر . كما وفأها  
قسطها من التضار والاسقواء بقومه من بكر وتغلب ،  
وام ينس رفيقة سفره ، بل رفيقة عمره الجوال :  
ناقة | تلك التي امضى معها ، وعليها ، اكثر مما  
امضى مع زوجته او زوجته اوفأها حقها وغلأها في  
شعره بما اسبغ عليها من نعوت وصفات واسماء فتارة  
هي : شِمْلَة جِرْف ، من فصيلة النحائم الجند  
المكتنزة . او :

صعلة بالقارطين نروحت

ريداء تبغ الظليم الأريدا (١)

او : طليح ، جِسْرَة ، سُوح (٢) حير ، آدماء ،  
حادرة العين ، خنوف ، هيراة ، شِمْلال (٣) كتنطرة

(١) الظليم : ولد الناقة .

(٢) طليح ، جيرة : سُوح : ناقة شحمة قوية .

(٣) خنوف شملال ، هيراة : نشطة ، سريعة ، تشبه العير . الإرقال : نوع  
من السر .

الرومي تغري الهجير بالإرقال ، حزنلمة ، عتريس ١ :

تقطع الامعزالمكوكبَ وَخُدا

بنواجٍ صريعةٍ الایصالِ

عتريس ، تعدو اذا مها السو

ط ، كعدو المصلصل الجوال (١)

وتارة يُدْكَرُها بعد ثأنيتها ، فلذا هي : شجاع

الجنان ، يحضر الظلماء ا تأمل هذه الصورة الرائعة :

يحضر الظلماء فكان هذا الجَمَل حُفار صخر لا ملج

في ليل .. يشق الظلماء شقاً ..

بشجاع الجنان ، يحضر الظل

ماء ، ماض جلى البلاد غُشوف (٢)

مستقل بالسرف ما يجعل الجر

رة بعد الإدلاج غير الصريف (٣)

ثم يضحى من فوره ذاهباً

يستطير الحصى بخف كثيف ..

ومرة هي تلك الناقة المهزولة لكثرة السفر :

---

(١) عتريس : قبة الإركان ، ملهبة نشاطاً .

(٢) غشوف : ملج في الليل .

(٣) صريف الأسنان : صكها من شدة الخوف أو الجوع

طليح ، رنية ، قداعياها التجوال وشدا الكور على منها ،  
او هي كاتان الثميل <sup>(١)</sup> :

جمالية تغتلي بالرداف  
اذا كُتِبَ الاثمتُ الهجير <sup>(٢)</sup>  
ومرة اخرى هي : عفرنة <sup>(٣)</sup> ، حرجوج <sup>(٤)</sup> ترى لها  
فخدين تحفران ، وصلياً كبنيان الصفا متلاحكاً  
متماسكا :

وزودا ترى في مرفقه تجانفا  
نيلاً كبيت الصيدلاني دامكا <sup>(٥)</sup>  
وراساً دقيق الخطم صلباً مذكرا  
ودأباً كاعناق الضباع وحاركا  
وهي قبل وبعد كل شيء البرفيق الملازم والمركب  
الأمين ، والصاحب الأدنى :

---

(١) الاتان ، أصلاً ، اتن الحمار ، وهنا بمعنى الصخرة القائمة في  
الماء . والثميل هو الماء الغزير .

(٢) الاثمت : التوق الهزلة .

(٣) هي أصلاً : القبول . وقد قصد بها الشدة هنا ، لوصف ذات اللون  
وهي الناقة ، القوية .

(٤) حرجوج : ناقة يهدها طويلاً .

(٥) دامكا : كثيفاً سمكاً .

هي الصاحب الأدنى وينى وبينها  
مجنون علاتي ، وقطع ونمرق  
وتصبح من غيب السري ، وكأنا  
ألم بها من طائف الجن أولق

والك هذه الصورة الموفقة لناقته الناجية « من سراً  
الهبان » حين تدخل فجاج الأرض « فتشاله »  
اختيالاً .. بدل ان يقول : تقطعه بسرعة فائقة ، وهذا  
تجسيد وانسنة حضارية ، شك معها طه حسين ، ومع  
أمثالها ، في ان تكون مثل هذه الصور التجريدية وتلك  
الفصائل الوصفية ، للأعشى الجاهلي البدوي الخشن  
الكلام المادي التشبيه والتصوير .. اما نحن فنقول :  
ان تماثل الصور والتشابه والأسماء في وصف الناقة أو  
الجمال شيء موجود في كل قصيدة من قصائده التي  
تعرض فيها لوصف الناقة ، ولقوتها وسرعتها ولونها .  
وذلك المزج بين وصف الخمرة والمرأة والناقة توطئة  
للمدح ، أمر يكاد يكون خاصاً بالأعشى وهو ما سماه  
صاحب الروائع « بالمتهج الأدبي الذي سار عليه الشاعر  
دون دافع حاضر أو ذكرى مخصوصة <sup>(١)</sup> فتكون النتيجة

---

(١) الروائع رقم ٣٦ من ٥٦ .

غير بما ادعى طه حسين ويكون النحل في غير هذا الباب .. اما التجسيد والتجريد والأنسة ، وهي من خصائص الشاعر شبه المتحضر ، فشيء نادر جداً في شعر الاعشى المادي الحسي ، الجاهلي الصورة والتصور .. ولكنه موجود ..

مدائحه ومفاخره :

ستغرب صفحاً عن ذكر مدحياته وفخرياته .. لا لأنها لا تستحق الوقوف عندها ، سيما وهي تشغل في ديوانه حيزاً كبيراً ، وفي وجدانه مقاماً مماثلاً . لكننا ، كنا وسبقي ، نحترم ، في دراستنا هذه النهج ، الانتقائي ، لا التاريخي : التحليلي لا السردى ، فما نراه جديراً بالنقد والتلوق والإحياء ، وقفنا عنده ، وحللناه ، وأحييناه . وما لم . رفضناه وأهملناه .. والأ ، فَلْيُطَلَّبْ اعشى التاريخ ، والسيرة المفصلة ، والانتاج الكامل عند غيرنا .. أما اذا طلب القارىء الطُلعة اعشى جليداً ، شاعراً فريداً ، في اهم خصائصه ، لا في كلها ، فها هو بين يديه ، قدر ما سمح به الجهد ، وأملأه اللوق ، واكتشفته الخبرة .

## رأيه في الحياة والأحياء :

ليس الأعشى فيلسوفاً كأيي الملاء ، ولا متفلسفاً كأيي الطبيب ، حتى ولا مهتماً بشأن الحياة وما وراء الحياة اهتمام بعض شعراء عصره كزهير وطرفة وعدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت . كل ما في الأمر ، ان له نقفاً من جوامع كليم ، وشيئاً من نظرات نائلة ، في الله وفي الوجود ، لا يجمعها نهج ولا يخلوها قصد . اقتبسها ، فيما اقتبس ، من نصارى الحيرة واليمن ، نراها مضغوطة في بيت أو أبيات ، سماها الاقدمون حكمة ، ونسبها نحن رأياً وموقفاً ، وهما عند شاعرنا غير ثابتين . . . وإذا كان لهما من قيمة فنية فلأنهما حصيلة ملاحظة خاصة ، او تجربة مع الآخرين . وقد يأتيان نتيجة « تجربة عقلية » انفعَل فيها الشاعر بمعانيه انفعالا شديداً ، شيمة المتنبئ مثلاً . فصاغها صياغة الحكماء . او ربما انبثقا عن تجربة شعورية ذاتية ، استطاع الشاعر ، في لحظة تجلٍ ان يصوغهما كحكماء او رأي ، او موقف ، دون قصد منه او صناعة . . . واسوأ الحكم ، في الشعر العربي الكلاسيكي ، هي تلك المعاني والآراء المتداولة بين الناس والتي « ينظمها »

شاعر ما ، دون ان يفعل بها ، او يدعها . كارجوزة  
 ابي العتامة ، على ما في بعض ابياتها من لمحات  
 تأملية حارة . واسوأ منها لامية ابن الوردى ، وشبهات  
 لها كثيرات زحرت بها عصور الانحطاط حين انقلب  
 الشعر العربي عفا النظم احاجي وطلاسم وتعاويز  
 ومواعظ .. كما انقلب مباخر على اقدام السلاطين  
 والمماليك !

وحكمُ الأعشى اين موقفها من كل هذا ؟

لا شك ان حكم شاعرنا ، وهي جد قليلة ، قد  
 نبتت كالفطر ، من خلال الوصف او المدح ، او  
 الهجاء ، هكذا عفو الخاطر ، لم يقصد اليها اطلاقا ،  
 بل اتت نتيجة وضوح رؤيا حينا ، وصفاء ذهن احيانا ..  
 او شيئا من « تجربة عقلية » سرعان ما يعود ، بعدها ،  
 الشاعر الى موضوعه الخاص ، من وصف للخمرة  
 والناقق والمعشوقة والممدوح ، والمهجور وسوى ذلك .

اذ نجد في قصائده حكمة او حكمتين ، وقد لا  
 نجد .. ففي مطوخته : ودع هريرة ، نجد وصفا صادقا  
 لحالات الحب ومواقف المحبين ، خصوصا ذلك الحب  
 السلي يجري بين فتيان الحانات وفتياتها . نجده

مضغوطا في اربعة ابيات بشكل رأي او حكمة . قال :

عَلَّقْتُهَا فَرَضًا ، وَعَلَقْتُ رَجُلًا  
غَيْرِي ، وَعَلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ  
وَعَلَّقْتُهُ فَتَةً مَا يَحَاوِلُهَا  
مَنْ أَهْلَهَا مَيِّتٌ يَهْلِي بِهَا وَهْلُ  
وَعَلَّقْتَنِي أُخْرَى مَا تَلَامَنِي  
فَاجْمَعْ الْحُبَّ حَبًّا كُلَّهُ تَبْلُ  
فَكُلْنَا مَغْرَمٌ يَهْلِي بِصَاحِبِهِ  
نَانَ وَدَانٍ ، وَمُخْبُولٌ وَمُغْتَبِلُ

وقد قَيِّمْنَا هَذَا الرَّأْيَ ، فِي فَصْلِ سَابِقٍ ، وَبَرَهْنَا  
مَصْدَاقَتَهُ فِي حَالَاتٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا ثَلَّةَ تَحَلَّتْ فِي كُلِّ زَمَانٍ  
وَمَكَانٍ ..

كما نجد له حكمة ماثورة في قوله :

مَنْ كُلَّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ  
وَلِي التَّجَارِبُ طُولُ اللَّهْوِ وَالْفَزَلُ  
وهذه الحكمة السائرة :

كُنَّا طَحْرَ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِفَلَقِهَا  
فَلَمْ يُضْرَها ، وَاهَى قَرْنَهُ الْوَحْلُ  
او :



قالوا الركوب ؟ فقلنا تلك عادتنا  
او تنزلون فقلنا معشَرَ نُزُلُ  
كل هذا نجده في «ودع هريوة» في حين لا نجد  
في مطولته الثانية ، شيئاً منه ..

وقال في معرض الفخر بنفسه وتعداد مناقبه :  
وقور اذا ما الجهل اعجب اهلَه  
ومن خير اخلاق الرجال وقورها

وتعجبني لمحة بارعة من لمحات ذهن الأعشى  
الذي يتفنى أحياناً عن فكرة إنسانية جلية ، في قوله  
يتفزل بسلمي احلى عرائس شعره :

انت سلمى هم نفسي ، فاذكري  
سَلْمُ ، لا يوجد للنفس ثمن !

لعل اللهفة والتضرع الى سلمى بالا تُحمل نفسه  
هما فوق همها ، هما اللذان جعلاً وجدانه يهف بهذا  
المعنى الرائع : لا يوجد للنفس ثمن ! اجل ايها  
الظالمات شقيقات سلمى ، ايها الظالمون ، في كل  
مكان وزمان ، ايها المتاجرون بالأنفس ، تذكروا قول  
هذا الأعشى الذي لا يبصر ، كما تبصرون ، ولكنه يرى  
ما لا ترون ! لا يوجد للنفس ثمن .. هل تفهمون ؟!

والإنسان أكبر رأسمال في العالم ١ هل تدركون ١٩

وقد نجد عند الأعشى آراء مبثوثة ، هنا وهناك ،  
في الديوان ، ولكنها ليست بمستوى حكمه السائرة ،  
ولا قيمة فنية لها .

ومن حكمه السائرة التي نردها دائما دون ان نعرف  
صاحبها ، قوله :

وكأسٍ شربتُ على ليلٍ  
وأخرى تداريتُ منهاها

وهي حكمة في ثوب مثل أو تورية . نردها  
باعتجاب لا يقل عن إعجابنا بحفيذتها الشرعية :

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء  
وداوي بالثي كانت هي الداء

ومن آرائه العابرة :

جماع الهوى في الرشيد أدنى الى التقى  
وترك الهوى في الغي أنجى وأوقن

أو :

ومن يطمع الواشين لا يتركوا له  
صديقاً ، وإن كان الحبيب المقربا

وعلى سبيل الاستعارة ، يمكن ان يمثل بقوله يهجو  
علقة بن علاثة :

تبتسون في المشنى ملاء بطونكم  
وجاراتكم جوعى يبتن خمائصا  
وفي قصة السمؤال التي صاغها الأعشى شعرا جاء  
قوله على لسان السمؤال :  
وقال :

لا اشتري عارا بمكرمة  
واختار مكرمة الدينا على العار

### ===== قيمة الحكمة =====

وبعد . فاذا كان للحكمة في شعرنا العربي  
الكلاسيكي من قيمة ففي كونها قادرة بصياغتها الفذة ،  
ان تخرج من مناسبتها الخاصة الى المناسبات العامة  
المماثلة ، ذلك لان تجارب الناس مع الحياة والوجود  
متشابهة . ومن هنا نحن نردد حِكَم الشعراء وكأننا نحن  
قائلوها ، ومننا من يُبدل ويُغير في صياغتها وفقاً لمزاجه  
وثقافته وحافظته . . وهكذا يشركنا الشاعر الحكمي  
بتجاربه وآرائه الخاصة ، فيخرج بهذا ، من إطار

قصيدته ومشاعره الأنية المحلولة الى اطار اللاتناهي  
واللامحدود ..

اما في الشعر الحديث واحتراما للفكر العربي  
الجديد ، والروح الحضارية والانسانية الجديدة فلم تعد  
الحكمة شيئاً مقبولا في صياغة التجربة الشعرية او  
العقلية التي يمر بها شعراء الابداع الحديث .  
والأفضل ، كما يقول ادونيس ان نغلب الحكمة الوعظية  
ذات الصبغة الخطائية الى تساؤل . بمعنى ان ننقل  
الحكمة التقريرية التي هي يقين وتقبل الى شك  
وتساؤل . فلم يعد العالم ، امام الشاعر شيئاً مسلماً به  
وحيزاً مُطْمَئِناً يعيش فيه ، جاء في كتاب زمن الشعر ، قوله :  
«هل كراهية التجديد غريزة لنا، نحن العرب؟ هل نحن  
محضون ضدالمجهول، الخطر، المفاجيء؟ هل سقطنا  
والحكمة؟ فلا نستطيع بعدما أن نشرب نحو البحث  
والتساؤل؟» ..

ومهما تكن خلفية هذا القول وغاياته فنحن مع  
صاحبه في رفض « اخلاقية الحكمة » في الشعر العربي  
الحديث ، واستبدالها « باخلاقية التساؤل » ان صح  
التعبير . ونحن اذا بررناها في الشعر العربي القديم ،

او الشعر العربي الجديد - القديم . فذلك لان الشاعر القديم كان شاعر النموذج الجاهز في القيم والاخلاق والمعادن وحقائق الوجود ، يحتليه ويصب شعره على مثاله . حتى النقد في اكثريةهم الساقطة كانوا سلفيين يقيمون الشعر على أساس احترامه لذلك النموذج او تنكره له .. وكثيرا ما يدّعون كل شاعر يخرج بعض الشيء عن السمت المرسوم ، وكالوا لهشتى التهم : كالغموض والشعرية والهرطقة .

### يحاوّر الأشخاص والأشياء : =====

وبعد ، هذا هو الاعشى : محاور متعدد الأصوات ..

حاور الصنّج ، والناقّة ، والظليم ..

حاور الآخرين بالذهاب اليهم ، ولو على اطراف الجزيرة .

حاور الخمرة والخمارين .. وبالحوار انقلب المحاور صليقا ايضا مشاركا ..

(١) زمن الشعر ط ٢ ص ١٤٤ ديار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ .

حاور المحلق ويناته العوانس ، فانقلت ابو كلاب  
سيدنا ، وانقلبن عرائس ..

حاور عتاة قريش ، والصعاليك ، ورواد  
المواخير ..

حاور السجان وشرريح وكسرى وقيس وعبد  
المسيح ..

دخل بالشعر ، الى صميم الأشياء والناس ،  
واللغات ، والحضارات والأديان والتوافه .. الأعراس ،  
في نظري ، اول من اخضع الشعر للحوار ، والأخذ  
والرد ، والمتاجرة ، والقصة ..

رافضا ، بعض الشيء ، الاتباعية الموروثة ، خاصة  
في المطالع ، فلم يقف على الاطلال ، ووقف على  
الخمرة ، ودخل الى الحاتوت ، رأساً ، وبلا  
مقدمات ..

تصحبه « شلاشيله » ورفاقه ، وحرته ، وريادته ..  
وهناك ، شربها مع كل هؤلاء .. وغناها .. وشربها ،  
خارج الحاتوت ، مع الكبار والصغار ، مع الأغنياء  
والفقراء ، وعاقرها في جميع حالاته :

على كل احوال الفنى قد شرعتها  
غنيا وصلوكا وما إن أقاتها<sup>(١)</sup>

كما سماها بما يليق بها من أسماء الحضارة وكنى  
الفرس والروم والمجوس ..

وفي الهجاء سعى الأشياء باسمائها ، وكشف  
السوءات والمساويء بلا مواربة ، ولكن : بلا وقاحة .  
وفي المدح والفخر وصل الأرض بالسياء وجعل المجد  
حكراً على قبيلته ونفسه واصدقائه ..  
وحين لم يجد ما ومن يحاوره .. مات !

ذلكم هو ما يفرضه منا : حواراته وشعبته  
وصراخه !

وفي الحقيقة : ان الشعر حوار فني ونفسي بين  
الشاعر والأشياء ، والصور والقيم ، والأشخاص  
والرموز ، يعانق ما يرضيه منها ، فيخفيه ، ليحييه ..  
ويرفض ما يؤذيه منها ، فيبحث ، ليرديه ..

وحسب الأعتى شاعريةً انه أكثر من الاستيحاء  
والحوار .

---

(١) كانت الشيء : الحلق ، القتر عليه .

## تجنعه قريش ويرفعه المعري!

تقدم معنا أن شاعرنا أدرك الإسلام، وأن مشركي قريش وعلى رأسهم أبو سفيان اعترضوا مسيله وكان في طريقه إلى النبي ليعلن إسلامه بين يديه ويلقي قصيدته كان قد أخذها يوم سمع بالمبادئ الجديدة والمثل العليا التي أعلنها النبي ويشر بها. وتخصي الرواية فتزعم أن القصيدة هي:

ألم تغتمض هناك ليلة لرمدا  
وعادك ما عاد السليم المسهدا  
وما ذاك من عشق للنساء وإنما  
تناسيت قبل اليوم خلة مهتدا  
ولكن أرى الدهر الذي هو خاتل  
إذا أصلحت كفاي عاد فافسدا



شبابٌ وشيْبٌ وافتقارٌ وثروةٌ  
 فلهذا هذا الدهرُ كيف ترددا  
 وما زلت أبغي المالَ مذ أنا يافع  
 وليداً وكهلاً حين شُبْتُ وأمردا  
 وابتدُلُ العيسُ المراقيلُ تغتلي  
 مسافةً ما بين «النجى» و«فصرخدا»  
 فإن نسألي عني فما رب سائلٍ  
 حفي عن الأعشى به حيث اصعدا  
 ألا أهدا السائل: أين يمضُ  
 فإن لها في أهلٍ يشرب موهدا  
 فأما إذا ما ادلجت فترى لها  
 رقبين «جديا» لا يغيب وفرقدا  
 وفيها إذا ما هَجَرْتُ حِجْرِيَّةً  
 إذا خَلَّتْ جِرباء الظهيرة اصيدا  
 اجذُتْ برجلِها نِجاءً وراجعتْ  
 يداها خِنافاً ليناً غيرَ أحرِدا  
 فآلِبتُ لا أرني لها مِن كِلالَةٍ  
 ولا مِن خَفَى حتى نزورَ محمدا  
 متى ما تُناخي هند بابِ ابنِ هاشمٍ  
 تُريحي وتُلقي من فواضله يدا

نبي يرى ما لا ترون، وذكره  
 أغار، لعمرى، في البلاد وانجدا  
 له صدقات ما تُغْبَى، ونائل  
 وليس عطاء اليوم مانعه غدا  
 أجذك لم تسمع وصاة محمد  
 نبي الإله، حين أوصى واشهدا:  
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى  
 ولاقيت بعد الموت من قد تزودا  
 ندمت على ألا تكون كمثله  
 وأنك لم ترصد لما كان ارضدا  
 فلياك والمجنات لا تأكلنها  
 ولا تأخذن سهياً حديداً لفضدا  
 وإذا النُصْب المنسوب لا تُسْكَنهُ  
 ولا تعبد الأوثان، والله فاعبدا  
 وصَلِّ على حين العشيات والضحى  
 ولا تحمد الشيطان، واللَّهُ فاحدا  
 ولا السائل المحروم. لا تتركه  
 لمسابقة، ولا الأسير المقيدا  
 ولا تسخرن من يائس ذي ضراوة  
 ولا تحسبن المرة يوماً مُخلدا  
 ولا تقربن جارة، إن مرها  
 عليك حرام، فانكحرن أو تأبدا

ومنها قيل في هذه القصيدة (المصباح ١١) فإني لا أرى فيها إنساناً ينوي أن يُسلم حقاً.. فليس تنضح عنها حرارة الشوق إلى الدين الجديد. ولا تلك اللهفة التي يتصور معها صاحبها طلباً للخلاص.. فلا يبدأ له بالحق يزور عمده كما زعم أنه قال. بل إنه توارى خلف ناقته وجعلها هي التي ولا يرثي لها من كلاله ولا من حفي حتى تزور عمده ثم إنى أراه ما فقه منشغلاً بفتاته ومهدده - وبأليتها فتاة حقيقية - أكثر من انشغاله بملاقاة النبي والاستماع إلى مبادئه ومثله وتعاليمه. ولعله قد فطن أخيراً، وفي منتصف القصيدة، إلى أنه بصد مدح الرسول، فنادى ناقته وأقسم ألا يرثي لها من كلاله حتى تنتهي به إلى رحابه بئد أن ينتهي بها.. ثم نراه ينحرف عند باب النبوة ولتلقى من فواضل النبي بدءاً... بدل أن يتلقى هو من مبادئه وتعاليمه ما يتطهر به من دنس الجاهلية.. وبعد، فليست هذه عما يسمى «مشاركة وجدانية»، حين استخدم الناقة وجعلها تشاركه مشاق السفر إلى مكة أو يثرب، بل هي مواربة ولجأيل يحمي وراءهما نفساً جاهلية غير تواقفة، ولا مشتاقة قادمة بكل جوارحها إلى غايتها، تتمجّل التوبة والغفران.. لا إلى الصدقات، ولا إلى الأعطيات! لكن النبي لا يقصد إلا من أجل توزيع الصدقات.. ثم إن تعاليم الإسلام لا

ثاني، في هذه القصيدة الفاشلة، في المقام الأول من سائر  
التعاليم والمبادئ.. فنراه يسارع إلى ذكر بعضها:  
كالامتناع عن أكل الميتة، وعبادة الأوثان.. والأدهى من  
ذلك أن الأحمى لم يصور نفسه في وعصمائه خاشعاً  
تائباً منياً ووجهاً لوجه أمام النبي وظل مختفياً وراء ناقته  
وفتاته وذكرياته وأحوال صباه وأسفاره.. حتى إذا انتهى  
من طوافه بعيداً عن ممدوحه، لبث بعيداً عنه.. وراح  
يخاطب أهل يثرب ويروي لهم بصورة الغائب بعض  
التعاليم الإسلامية التي سمع بها.. من مثل التزود  
بالتقوى، والتندم، يوم الحساب، على عدم التزود بها..  
والامتناع عن عبادة الأوثان، وإقامة الصلوات الخمس،  
والتصدق على السائل والمحروم، واجتناب الزن واحترام  
المرأة ولا سيما الجارة، والتقرب إليها بالزواج، ولأ  
فالتأبد، أي البقاء أهزب إلى الأبد، ذلك خير وأبقى.

بما تقدم تنضح، في هذه القصيدة البليدة، الحقائق  
التالية:

إنها، برمتها، منحولة مصطنعة وضعها بعض شعراء  
قريش من غير المفسرين لينالوا من النبي ودهوته، ومن  
الأحمى على السواء. من النبي حين صوره، في  
القصيدة، أقرب إلى كونه زهياً أو رئيس قبيلة غنياً..

يوزع الصدقات والأعطيات لا نبياً مرسلأ فقيراً «عائلاً» .  
والأعشى، حين جعلوه يلهو عن غايته بأمور جاهلية  
وذكريات أعز عليه من مطلبه، فقدمها وأخره . .

وتلعل خلف ظل ناقته الكثيف، يدل أن يدخل إلى  
رحاب النبي المنيف مباشرة، وبحرقة النادم عما أسلف  
وأساء، والاسترسال في مخاطبته أو الضراعة إليه،  
والارتفاع إلى مستوى شخصيته الخارقة برسمانيته  
ونورانيته والمعيش في رحابها، وهو القادر فعلاً لو كانت  
القصيدة حقاً له . . كما فعل كعب بن زهير وقبله حسان  
والخواريون من شعراء الدعوة. علماً بأن الأعشى أستاذ  
لهم في مجال الشاعرية والتأثر بأشياء الحضارة ولو بنسبة  
ضئيلة . .

أما الصياغة فلمست على الإطلاق اعشوية متينة  
السبك بارعة الخيال: كل ما هنالك أبيات نائلة  
ضحلة، ضعيفة الأركان هزيلة البنيان إلى درجة الركاسة  
والزحاف النظمي والابهتاض المضطرب. أما ناظمها، وهو  
غير الأعشى، حتماً، فليس من طبقة فحول الشعراء  
بالتأكيد . . فنحن نربأ بأي بصير، وهو من هو أصالة  
وأوسمة ألا يرتقي، في هذه القصيدة المزعومة، إلى  
مصاف النبي، وهو من هو . . فالقصيدة، إذن، لا

شك منحولة مدموسة لغاية في نفس يعقوب... وهذا ما أشار إليه طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي صفحة ٢٩٥ وقصّله وذكر أسبابه.

والحقيقة الثانية هي: أن الأعمى لو كان حقاً يريد أن يُسلم، ويتطهر بالإسلام، ويفضل به أوزاره، لما قفل راجعاً، إلى خمرته وهو الشيخ الكهل، بمجرد أن نهاه المشركون عن بلوغ قصده، وبمجرد أن النبي ينهي عن شرب الخمر... فمن كان كالأعمى، في أخريات أيامه وقد أثقلت أوزاره، أخرب به ألا يرتد، ولو وهبه أبو سفيان مائة ناقة جزور حمراء.. أو هكذا يخيّل إلي.. وهو ليس من الغباء بحيث لا يدرك مدى ما في نصيحة قريش من خش.. أو أنه لم يسمع من جملة ما سمع، بتحريم النبي للخمر ونهيه عنها..

ويجيء المغربي - بعد أربعة قرون - ليرفع الحيف عن الأعمى ويقر له بالشاعرية، والكرامة عند النبي والإمام علي، نكامة بأولئك الشعراء الذين يتربعون على الأرائك في الجنة، وهم مثله وأكثر منه جاهلية وكفراً<sup>(١)</sup>.

أما هو فيصوره أبر الملاء وقد راحت زبانية جهنم،

---

(١) رسالة الطوفان لمحقق نبت الشاطيء من ١٧٧ ط ٦ دار المعارف.

تدفعه دفعاً إلى الجحيم . فلماذا؟ . لاحظ النقد المريب الذي يرمز إليه حكيم المعرة مشيراً إلى التسرع في المحاكمة هناك!! ولولا مبادرة الأعمش، وإسراعه في رفع شكواه وضراعه إلى النبي حين رآه وقد تجمع حوله الأقارب والأصدقاء والمتضرعون من كل أمم الأرض يسألونه الشفاعة .

تماماً كضراعه الأعمش في الدنيا حين أُسِرَ هشوائياً، إلى شرحبيل بن السمّوأل الذي كان في ضيافة أسره فأطلق ضراعه تلك ضمن قصيدة قصصية رائعة معروفة، أدت إلى إطلاق سراحه يومها . فكيف لا يطلق سراحه هنا، في الآخرة، ويتقل من الجحيم إلى النعم، إنصافاً له على أنه قد نوى - يوماً - أن يُسلم ولو لم يُسلم!؟ . . . وإلا فما الفرق، وأين العدالة؟! ويروي له أبو العلاء (في الرسالة) بيتين غير موجودين في ديوانه فيثبتهما له بالرغم من كذب الرواة حين نسبوهما إلى عمرو بن العلاء وراحوا يعنعنون النسبة، كابراً عن كابر، وشيخاً عن شيخ . .

ويبدأ التصحيح على الصراط بين الجنة والنار حين يتف الحاتف (وهو الأعمش): أأنا صاحب هذين البيتين، وليس عمرو بن العلاء . ولقد مَنَّ الله علي بعدما صرت

من جهنم على شفير وليست من المغفرة والتكفير،  
 فيلنظت إليه الشيخ هشاً بشاً مرتاحاً، فإذا هو بشاب  
 غُرَاق، غَيَّرَ النعيم المقاتق<sup>(١)</sup>، وقد صار هشاً حَوْرًا  
 معروفًا، وانحناء ظهره قواماً موصوفًا. فيقول: أخبرني،  
 كيف كان خلاصك من النار، وسلامتك من قبيح  
 الشنار؟ فيقول: سَحَبَتِي الزبانية إلى سَقَر، فرأيت رجلاً  
 في حَرَصَاتِ القِيَامَةِ يتلألا وجهه تلالق القمر، والناس  
 يبتفون به من كل أوب: يا محمد، يا محمد، الشفاعة،  
 الشفاعة! ثُمْتُ بكذا، وثُمْتُ بكذا. فصرختُ لي أيدي  
 الزبانية: يا محمد أُنْثِي فَإِن لِي بِكَ حُرْمَةٌ! فقال: يا  
 حَلِي، بادره فانظر ما حرمته؟ فجاءني حلي بن أبي طالب  
 صلوات الله عليه وأنا أُحْتَلُّ كِي الْقَى فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ  
 مِنَ النَّارِ، فزجرهم عني، وقال: ما حرمتك؟ فقلت: أنا  
 القاتل:

أَلَا إِذَا السَّائِلُ ابْنَ ثَمَّتْ  
 فَإِن هَا فِي أَهْلِ يَثْرِبِ مَوْعِدَا  
 فَالَيْتُ لَا أُرْثِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ  
 وَلَا مِنْ حَفَى حَقِي تِلَاقِي عَمْدَا

---

(١) غير مقاتق: ناعم، ولحق: تائق (الرسالة).



وذكر للإمام علي سائر أبيات قصيدته التي جاء يوماً  
ليلقبها على مسمع النبي في دار الدنيا، ولكن كفاهم  
قريش منعه وردوه عن قصده، كما تقدم معنا .

ويقول الأحشي: قلت لعلي: وقد كنت أومن بالله  
وبالحساب وأصدق بالبعث وأنا في الجاهلية الجاهلاء .  
فمن ذلك قولي: (من رائية في مدح قيس بن معد يكرب،  
الكندي).

يرأوح في صلوات الملك  
طوراً سجوداً وطوراً جواراً  
بأعظم منك تقى في الحساب  
إذا النسمات نفخن الغبارا

فذهب علي إلى النبي ﷺ . فقال: يا رسول الله، هذا  
أحشي قيس قد روى مدحك، وشهد أنك نبي  
مرسل . فقال: هلأ جامني في الدار السابقة؟ فقال علي:  
قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر، فشفع لي،  
فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خراً، ففرت حينئذ  
بذلك . وإن لي متادح في العسل وماء الحيوان (بمعنى  
اللبن هناك) الخ .

وهكذا ينقل الأحشي نفسه، أو ينقله المعري، على

الأصوب، وغلصه من النار ومن جور الرواة وجهلهم  
ومن قرعش في آن..

مع شرحبيل برسالة شعربة شفوية من وراء قضبان  
السجن.

ومع النبي بواسطة الإمام علي..  
ولتأمل، بعد، الحيات العلاتي والنظرة النقدية  
العلانية الجريئة البعيد الرمز، إلى حقيقة شعر وشعراء،  
وجنة ونار، وبراءة أحرار، وتصحيح مفاهيم وأفكار،  
ولفصح أسرار. إنها الماسة إليها في دنيا الأقدار حين  
تنقلب ملهاة في عالم الليل والنهار، وحتمية قاهرة في  
الدينونة بين يدي قاهر جبار... ولولا شفاعة محمد  
وهي لقلب الأهشي في دار ليس لها قرارا ويمر الحق،  
في آخر الصراع، ليهتصر على شواصة الأقدار حيث  
الرحمانية أقوى من الأقدار..

ويكتمل العدل الإلهي - في رؤيا المعري - كما يشاء  
الأبرار، لا كما يشاء العابثون والفجار..

- يكفي الأهشي أنه لم يسقط في اليوم والاجترار -  
كما العتاهي - بل وصل إلينا عبر المعري، بل عبر  
المعاناة والتجربة.. ثم عبر طه حسين أخيراً لا آخراً..

## بين دفتي الكتاب :

٥٨..... تفرغه	٥..... استهلال
٦٥..... تحضر بلون استقلال	٩..... هويته
٦٧..... شلاشل بنت الأحمى	١٠..... صفته
٦٩..... صورة الصورة	١٢..... قبيلته
٧١..... مقطوعة خمرة	١٤..... مكانة الخمرة
٧٧..... فن التعبير فيها	١٨..... سكانها
٨٠..... خمرة ثلاثة	١٩..... ملهه
٩٨..... نموذج اضافي	١٩..... رواة شعره
١١٠..... غزله	٢٢..... شيطان الأحمى
١١٤..... منحوتة غزلية اعشوية	٢٨..... قصته مع حلقة
١٢٤..... محاثيات الأحمى	٣٠..... مسافر زاده الخيال
١٣٤..... رفقة سفره	٣٧..... التقريضان
١٣٨..... رأيه في الحياة والأحياء	٤٣..... أسرار أنتج رائحة
١٤٤..... قيمة الحكمة	٥١..... قصة اسلامه
١٤٦..... مجلور الاشخاص والأشياء	٥٤..... وفاته
١٤٩..... تمنعه قريش ويرفعه المعري	٥٦..... حياته الخاصة
	٥٧..... لمحاته









Bibliotheca Alexandrina



0580912